مراجعات قرآنية

أسئلة شـــبـــهات.. وردود

تـــأليـــف

السيد رياض الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه الأكرمين سلاماً إلى يوم الدين.

س ١ ــ يترد في كلام كثير من المسلمين أن القرآن دستور الإسلام، مع أن المعروف أن يقتصر الدستور على القوانين الرئيسية العامة ويخلو من التكرير، بينما نجد القرآن يتضمن بعض الأحكام الفرعية والقضايا الجزئية ويشتمل على تكرير الموضوعات والقصص، مما لا ينسجم مع طبيعة الدساتير، فما هو الدور والمهمة التي يؤديها القرآن الكريم؟

ج ــ القرآن الكريم كتاب متميّز، له مجموعة من الخصائص والأدوار، لعل أهمها هي..

١ ــ إنه أحد المرجعين الرئيسيين للمسلمين، في معرفة أصول دينهم وتعاليمه إلى جانب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسنّته كما قال تعالى: **((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول))** وقد جعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أحد الثقلين اللذين خلّفهما لأمته بعد رحيله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، كما أكده حديث الثقلين المعروف: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) (١).

٢ ــ إنه معجزة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) والإسلام الخالدة التي تحدى بها البشرية وغيرها على مرّ العصور: **((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً))** (٢) بل تطور التحدي إلى الإتيان بسورة مثله: **((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))** (٣) و(٤).

٣ ــ إنه مَعلم شامخ لثقافة الإسلام وتعاليمه وأحكامه يحول دون مسخ وتحريف الهوية الإسلامية الأصيلة، وذلك إن المبادئ والأديان تتأثر بثقافات الأمم والنظريات المخالفة ولا تصمد عادة أمام أعاصير الزمن وتحولاته، ولذلك نلاحظ المدى الواسع للتشويه والمسخ الذي عانت منه الأديان السابقة بسبب انعدام النسخة الأصلية المعتمدة لكتبها السماوية، حتى شمل أهم ركن فيها وهي عقيدة التوحيد.

وهنا نعرف أهميّة اشتمال القرآن على بعض الأحكام الفقهية والفرعية والتعاليم والجزئيات الثقافية المتنوعة وعدم اقتصاره على أُسس العقيدة والقوانين الرئيسية، لأن وجود نص قرآني واضح يتناول تلك المفردات والجزئيات في المجالات المختلفة يكون

داعماً قوياً لما تضمنته النصوص الحاكية عن السُنّة المشتملة على باقي التفاصيل، ومانعاً من تخرّصات وآراء وتحليلات متأثرة بثقافات أجنبية، تحس الكيان الثقافي الإسلامي وتمسخ محتواه.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) يقول: إن ستكون فتن. قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم وما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء.. (٥).

٤ ــ إن القرآن الكريم لا يقتصر على سرد القوانين والتعاليم الإسلامية ضمن قوالب قانونية جافة، بل يؤدي دور وسيلة الإعلام المؤثرة التي تتناغم مع مشاعر الناس وعواطفهم من خلال اسلوبه المتميز في الفصاحة والبلاغة والتأثير، ولذلك ورد الحث على الإكثار من قراءته والتحذير من هجرانه، وقد أشار إلى هذا الدور قوله تعالى: ((**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)) (٦) وهنا تبرز أهمية التكرار وتنّوع الأساليب القرآنية وحيويتها، للتكيف مع مخاطبة مختلف المستويات وضمان الفاعلية والتأثير في كل الظروف.

٥ ــ إن القرآن الكريم بالإضافة إلى كونه كتاباً دينياً فهو كتاب علمي دقيق يصلح مرجعاً للعلماء والباحثين على مرّ العصور، ولذلك لا نستغرب من اشتماله على كم ضخم من المفاهيم والبحوث العلمية الدقيقة والمعمّقة، في مجالات علمية متنوعة، قد لا يكون بعضها دينياً بالمعنى الضيّق. ولذلك ورد التأكيد على التدبر والتعمق في أغواره باعتباره مرجعاً للعلماء والباحثين. ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) يتحدث عن القرآن: ((... وله ظهر وبطن، فظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعروف لمن عرف النصفة، فليرعَ رجل بصره...)) (٧).

وهناك بحوث مفصلة حول أهمية القرآن الكريم نوكلها إلى فرصة أخرى ان شاء الله تعالى.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، وأخرجه الذهبي، واعترف كلاهما بصحته على شرط الشيخين.

(٢) سورة الأسراء: ٨٨.

(٣) سورة يونس: ٣٨.

(٤) لمعرفة جوانب من وجوه الإعجاز القرآني يراجع كتاب ((علوم القــرآن ــ دروس منهجيــة)) للمؤلف.

(٥) المختصر النافع: ١٧، وقريب منه في سنن الدارمي: ٤٣٥/٢.

(٦)الحشر:٢١.

(٧) مقدمة الميزان: ١٢/١.

سورة الفاتحة

س ٢ ــ لماذا تسمى هذه السورة بالفاتحة وبأم الكتاب وبالمثاني؟

ج: ــ ذكرت عدة وجوه لتسمية السورة بالفاتحة:

منها: أنها أول سورة كاملة نزلت.

ومنها: أنها تفتتح بها القراءة في الصلاة.

ومنها: أنها تفتتح بها المصاحف وعلى هذا الأساس تكون هذه التسمية من الشواهد على ان جمع القرآن في مصحف كان في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأنها كانت بداية ذلك المصحف المجموع في عصره، بناء على ما روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلّم) من التسمية المذكورة، ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال: ((قال الله عزَّ وجلَّ: قسّمتُ فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل...)) (١).

٢ ــ وأما التسمية بأمِ الكتاب فإما باعتبار أنها متقدمة على سائر السور. والعرب تسمي كل أمر جامع أو متقدّم لما يتبعه ((أُمّاً)) أو باعتبار ان هذه السورة أصل القرآن ولبّه، لأن نصفها مرتبط بالله تعالى وتحميده وتمجيده، ونصفها متعرض لشأن العبودية له تعالى، كما أشارت إليه الرواية المتقدمة.

٣ ــ وأما التسمية بالمثاني فباعتبار أنها تثنّى في كل صلاة، وقيل لأنها نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) مرتين.

وقد تسمى السبع المثاني باعتبار أن آياتها سبع.

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))(١).

س ٣ ــ ما معنى: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))؟

ج ــ هناك وجهان في تفسير البسملة:

الأول: أن المقصود الاستعانة بالله تعالى، والمعنى أستعين بالله ــ واضيف لفظ ((الأسم)) باعتبار اتحاد الاسم والمسمّى كما قال السيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر(٢)

((وفي الحديث عن الإمام العسكري (عليه السلام): ((بسم الله)) أي استعين على أموري كلها بالله...)) (٣).

الوجه الثاني: أنه تبّرك بالابتداء بذكر الله تعالى واسمه، والتقدير ابتدئ باسم الله، ويشهد لهذا ما روي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) ــ في قوله لعبد الله بن يحيى ــ:

((أما علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) حدثني عن الله جلّ وعزّ: كل أمرٍ ذي بال لم يذكر فيه ((بسم الله)) فهو ابتر (٤). وكذلك الحديث عنه (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال: قال الله عزَّ وجلَّ:... إذا قال العبد ((بسم الله الرحمن الرحيم)) قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أتمم له أموره وأُبارك له في أحواله)) (٥).

ويمكن رجوع كلا الوجهين للآخر.

س ٤ ــ ما الفرق بين الرحمن والرحيم؟

ج ــ جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: ((الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة)) (٦) والمقصود أن ((الرحمن)) اسم خاص لله تعالى لا ينسب لغيره، وهو يتضمن رحمته تعالى العامة لجميع خلقه المؤمن منهم والكافر، بينما الرحيم صفة عامة يمكن أن يوصف بها غير الله تعالى، ويراد منها رحمته لخصوص المؤمنين. والله العالم.

((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) (٥)

س ٥ ــ لماذا لم يقل ((نعبدك ونستعينك)) مع أن الكلام البليغ ينبغي مراعاة الإيجاز فيه؟

ج ــ لأنّ تقديم المنصوب على الفعل يفيد الحصر، أي حصر العبادة والاستعانة بالله تعالى دون غيره. بعكس ما لو قال: ((نعبدك ونستعينك)) فانه لا ينافي مشاركة غيره تعالى في العبادة والاستعانه.

((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)) (٦)

س ٦ ــ المؤمن مهتدٍ للصراط المستقيم، فما معنى دعائه بالهداية؟

ج ــ المقصود طلب الهداية في المراحل اللاحقة لإيمانه، حيث يتعرض الإنسان للفتن في مختلف مراحل حياته والظروف التي تمرّ به.

((صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)) (٧)

س ٧ ــ كلّ ضال مغضوب عليه فلماذا فرّق بينهما؟

ج ــ كأن المنظور من المغضوب عليهم الذين تعرّضوا لغضب الله تعالى وعذابه في الحياة الدنيا أيضاً، في مقابل الضالين الذين أرجأ الله عذابهم للآخرة فحسب. وقد تضمنت بعض النصوص تطبيق ((الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)) على اليهود ــ ولعلّه باعتبار الانتقام من كثير منهم في الدنيا قبل الآخرة ــ وتطبيق ((الضالّين)) على النصارى الذين أصرّوا على الكفر.

---

(١) الميزان: ١ / ٣٩ ، نقلاً عن عيون أخبار الرضا.

(٢) مجمع البيان: ٩٣/١.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣٢/٩٢.

(٤) المصدر: ٢٤٢/٩٢.

(٥) المصدر: ٢٢٦/٩٢.

(٦) مجمع البيان: ٩٤/١.

سورة البقرة

((الم))(١).

س ٨ ــ ما معنى الحروف المقطّعة؟

ج ــ اختلف المفسّرون فيها على أقوال، فمنهم من جعلها تعبيراً عن التحدي القرآني للبشر، فانّ القرآن رغم تأليفه من الحروف العربية المألوفة إلاّ أن البشر يعجزون عنه. ومنهم من قال إنها رموز لأسماء أو معاني سامية لا يعلمها إلاّ الله والراسخون في العلم، ويشهد لهذا الرأي مجموعة من النصوص والأدعية والأذكار التي تتضمن التكريم و التوسل بمقام أو مضمون هذه الحروف المقطّعة.

((ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى للّمُتقين))(٣).

س ٩ ــ لماذا أشار للكتاب بلفظ الإشارة للبعيد (ذلك) مع أن الآية الكريمة من ضمن الكتاب فهو حاضر وقريب فيفترض الإشارة إليه بهذا؟

ج ــ إن في الإشارة إليه بلفظ البعيد إشارة إلى مقامه الشامخ، وأنه بعيد عن التناول.

س ١٠ ــ بما أن هذه الآية لست آخر الآيات القرآنية فلا يمكن أن يكون المقصود من الكتاب كل القرآن، وإذا كان المقصود منه بعض القرآن وهو النازل لحين هذه الآية، فلا يكون فيه دلالة على نفي الريب عن كلّ القرآن ــ كما يستشهد بها العلماء والمفسرون ــ فما هو المقصود منه؟

ج ــ يمكن أن يكون المقصود منه كلّ القرآن، حيث لا يشترط عند الإشارة إلى المندرج وجوده بتمام اجزائه بالفعل، كما تقول ــ قبل إكمال البناء ــ ((هذه العمارة محكمة)) إذا علمت أن العمال سيكملونها كذلك.

وهناك رأي أن المقصود منه القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى **((وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم))**، والقرآن بوجوده المذكور موجود قبل تفصيل آياته ونزولها بالتدريج.

س ١١ ــ كيف ينفي الريب عن القرآن مع أن كثيراً من الناس قد ارتابوا فيه ولم يؤمنوا به؟

ج ــ كأن المقصود أنّه ليس محلاًّ للريب، وليس من شأنه ذلك، كما جاء في الحديث ((المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه)) فانه بصدد بيان شأن المسلم والسلوك الذي ينبغي أن يكون عليه، لا أن من لم يسلم منه المسلمون كافر وليس بمسلم.

س ١٢ ــ كيف يكون القرآن هدىً للمتقين مع أنّ المتقين مهتدون؟

ج ــ باعتبار ان القرآن هو السبب في هداية المتقين، أو انّه منارهم في حياتهم أمام الفتن والشبهات التي يواجهونها، نظير ما جاء عن الإمام علي(عليه السلام) ــ في حديث له عن القرآن ــ: ((جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطُرق الصلحاء، و دواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس بعده ظُلمة)) (١).

((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ))(٣)

س ١٣ ــ لماذا قال ((يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ)) ولم يقل (يصلون)؟

ج ــ باعتبار أن لصحة الصلاة ولقبولها اجزاءً وشروطاً عديدة قد لا يحققها المصلّي، فلا تقبل صلاته رغم الإتيان بها.

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ))(٦).

س ١٤ ــ إذا كان إنذار الكافرين غير مؤثّر فيهم فلماذا بعث الله الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) على أننّا نجد أن كثيراً منهم قد نفعهم الإنذار فآمنوا بالرسول؟

ج ــ يكفي في فائدة بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) إقامة الحجة لله على الناس أو تأكيدها كما قال تعالى **((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رسولاً))**، والمقصود من هؤلاء المذكورين في الآية الكريمة هم خصوص المعاندين للرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) رغم قيام الحجة عليهم، لا كلّ الكافرين، و لعلّ التعبير بالفعل الماضي يشير إلى حدوث كفرهم عند دعوة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) لهم وإقامة الحجة عليهم ليكون المقصود من الكفر هنا رفض نداء الإسلام، ولا يشمل الذين لم يصلهم بعدُ هذا النداء، واستجابوا له عندما وصلهم فيما بعد.

((خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ)) (٧).

س ١٥ ــ إذا كان الله قد ختم على قلوبهم فكيف يذمّهم ويعذّبهم على كفرهم؟

ج ــ إنّ الختم لم يكن ابتدائياً، وانّما جاء بعد جحودهم وكفرهم رغم قيام الحجة عليهم، كما قال تعالى: ((وَقولــهمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً)) (٢).حيث احتجوا بأن عدم إيمانهم بسبب رفض قلوبهم وعقولــهم وعدم استجابتها للإيمان. فردّ عليهم بأن لعنة الله تعالى وسلب توفيقهم بسبب كفرهم ــ بأختيارهم ــ للخضوع للحق والإيمان به.

س ١٦ــ إذا كانوا قد كفروا فما هو أثر الختم على قلوبهم؟ وإذا افترضنا أن أثره استمرار كفرهم فيكون ذلك مفروضاً عليهم، فيطرح هذا السؤال، انّ الله كيف يمنــع عبــاده مــن الإيمان؟ وكيف يعذبهم على ذلك؟

ج ــ يمكن الإجابة على ذلك بجوابين:

أ ــ انّ الختم عقوبة الجحود والكفر، فيكون الإيمان فرصة ــ شأن كــل الفــرص ــ تفوت الإنسان عندما لا يستثمرها في حينها، وبذلك يتضح الجواب عن الشق الثــاني مــن السؤال، لأن الكافر هو الذي حرم نفسه من فرصة الهداية بكفره فيستحق العقوبة عليه، كما لو اقترف جريمة القتل فحكم القاضي بقتله قصاصاً، فانّه يحاسب يوم القيامة على كفــره، مع أنّه كان يمكن ــ نظرياً ــ أن يؤمن ويهتدي لو لم ينفّذ فيه حكم القصاص.

ب ــ انّ المقصود من الختم على القلوب عدم وعيها للحقيقة، وهو النتيجــة الطبيعيــة لعدم الاستجابة لنداء الحق، فمن يجحد ويعاند تنمو في أعماقه حالة الإضــرار والمكــابرة على طوال الخط، وتكون نسبة ذلك لله تعالى باعتباره القاضي والمحيط بكل شــيء علــى غرار قولــه تعالى ((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)) (٣) مع أن الرمي صدر مــن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم).

ومما يشهد بأن هذا الحرمان هو النتيجة الطبيعية لموقف الكافر وعمله قولــه تعــالى: ((كَلاّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)). وفي حديث زرارة عن أبي جعفــر (عليــه السلام) قال: (قال) ما من عبد إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتــى يغطــي البياض فإذا (ت) غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزّ وجــلّ: ((كَلاّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (٤).

ومما يؤيد الجواب الثاني أن الغشاوة على البصر لم تُسند لله تعالى. فالختم على القلوب والأسماع نتيجة الغشاوة وإعراضهم عن الحق. والله العالّم.

س ١٧ــ يفهم من هذه الآية وغيرها من الآيات أنّ القلب هو مصدر الوعي في الإنسان مع أنّ العلم الحديث أثبت أنه مجرّد مضخّة لتحريك الدم وتوزيعه في الجسم؟

ج ــ يتضح عند مراجعة المصادر اللغوية أنّ لفظ القلب يراد به مصدر الوعي، قال ابن منظور: ((القلب تحويل الشيء عن وجهه... وقلّبه: حوّله ظهراً لبطن.. وقلّب الأمورَ: بَحَثها، ونظر في عواقبها..)) (٥)، الاّ انّ القدماء طبّقوه على هذا العضو الخاص في الجسم ــ المضخة ــ فغلبت عليه التسمية، ولا دليل على أنّ (القلب) في الاستعمال القرآني يراد منه هذا التطبيق، بل معناه اللغوي وهو مصدر الوعي.

على أنّ المصادر اللغوية ذكرت أنّ من معاني القلب العقل. قال ابن منظور: ((وقد يعبّر بالقلب عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ((إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)) أي عقل. قال الفراء: ((وجائز في العربية أن تقول: مالك قلب، وما قلبك معك: تقول: ما عقلك معك، وأين ذهب قلبك؟ أي أين ذهب عقلك؟ وقال غيره: لمن كانله قلبٌ أي تفهُّمٌ وتدبُّرٌ)) (٦).

وفي الموارد القليلة التي يظهر من بعض الآيات والروايات تطبيق قوّة الوعي على العضو الخاص فإنما هو من باب الجري على العرف العام، كما نلاحظ ذلك في كلمات الكتّاب والشعراء المعاصرين مع وضوح عدم ارتباط العضو الخاص ــ علمياً ــ بالوعي الإدراك في العصر الحديث.

س ١٨ــ بما أن الحواس مجرد آلات لنقل المعلومات فيكفي في انعدام الوعي الختم على القلب، فلماذا ذكَر السمع وغشاوة البصر؟

ج ــ الختم على القلب إشارة إلى أنّهم لا يستثمرون عقولهم للتفكر والوصول إلى الحقيقة، والختم على السمع إشارة إلى أنّهم لا يستوعبون كلام الرسول ونحوه من المسموعات، و غشاوة البصر إشارة إلى عدم وعيهم للآيات والشواهد التي يرونها بأبصارهم، فكلّ منها إشارة إلى صنف خاص من المعلومات وجوانب من الحقيقة أعرضوا عنها.

س ١٩ ــ لماذا جاءت:((قُلُوبِهِمْ)) و((أَبْصَارِهِمْ)) بصيغة الجمع، و((سَمْعِهِمْ)) بصغية المفرد؟

ج ــ باعتبار أن المقصود بالأوّلَين آلة التفكير والبصر، بينما المقصود من السمع قوة السمع لا آلته، لأن استخدام السمع بمعنى آلة السمع (الأُذن) غير شائع، نعم في الموارد

التي أُريد فيها آلة السمع أي الأذن، جاءت بصيغة الجمع كما في قولـــه تعالى: ((أَمْ لَهُـــمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)) (٧).

((أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـــكِن لاَّ يَشْعُرُونَ))(١٢)

س ٢٠ ــ كيف حصر الفساد فيهم ــ المنافقين ــ مع أنّ الفساد لا ينحصر بهم إذ قد يكون غيرهم مفسداً أيضاً؟

ج ــ الحصر هنا نسبي في مقابل نسبة الافساد للمؤمنين، لأن قولـــــهم ((إنمـــا نحـــن مصلحون)) ــ كما أشارت إليه الآية السابقة ــ يتضمن نسبة الإفساد للمؤمنين، فجاء الرد عليهم بأنهم المفسدون دون المؤمنين.

ويشهد على ذلك الآية اللاحقة حيث نسبوا السفاهة للمؤمنين ((قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَـــا آمَـــنَ السُّفَهَاء)) فجاء الردّ عليهم: ((أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـــكِن لاَّ يَعْلَمُونَ)).

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـــكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ)) (١٣ و١٤).

س ٢١ ــ كيف ينسجم إعلانهم الإصرار على الكفر واستهزاؤهم بـــالمؤمنين بقولـــــهم: ((أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء)) ردّاً على المؤمنين الذين يحثونهم على الإيمان مـــع قولـــــه: ((وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا))؟

ج ــ الذين يعرفون حقيقة المنافقين ويصارحهم هؤلاء هم الذين تربطهم بهم علاقـــات اجتماعية وثيقة مثل أقاربهم وأصدقائهم، بينما الذين يتظاهر المنافقون أمامهم بالإيمان هـــم المسلمون عامة، لأن النفاق ليس من الخصال الظاهرة التي يطلـــع عليهـــا كـــل شـــخص ويتجاهر بها صاحبها.

ويحتمل أ ن يكون إصرارهم على الكفر واستهزاؤهم بالمؤمنين في أحاديثهم فيما بينهم. بينما يتظاهرون أمام المؤمنين بالإيمان.

((اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (١٥).

س ٢٢ ــ يبدو من بعض الآيات الاخرى ان الله سبحانه يريد الهداية لعباده ولا يرغب في انحرافهم مثل قولـــه تعالى: ((يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُـــولٍ إِلاَّ كَـــانُوا بِـــهِ يَسْتَهْزِؤُون)) (٨). فمن يتحسّر على جماعة كيف يستهزئ بهم؟

ج ــ بما أن الله سبحانه منزه عن الصفات والانفعالات النفسية ــ كما ثبت في الفلسفة وعلم الكلام ــ فلابدّ أن يكون كل ذلك كناية عن معانٍ اخرى، مثل أن يكون المقصود من استهزاء الله تعالى أنه يجازيهم ويفعل ما يفعله المستهزئ بهم، من دون حدوث صفة نفسية.

((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ)) (١٧).

س ٢٣ ــ ما هو وجه الشبه بين المنافق و((الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً))؟

ج ــ حيث ان ((الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً)) ــ المشبّه به ــ يجد النار التي تضيء ما حوله ولا ينتفع بها و يعيش حالة الخوف والحيرة والضياع والتخبط في الظلمة الحالكة، فكذلك المنافق الذي يشاهد نور الإيمان الذي يحيط بما حوله ــ المجتمع الذي يعيش في وسطه ــ ولكنه لا ينتفع به، بل يعيش ظلام الكفر وحالة الخوف والحيرة والتوجس الدائم بسبب نفاقه.

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (٢١)

س ٢٤ ــ لماذا رتّب ((لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))على عبادة الله، مع أن معنى(لعل) مجرّد الترجي والاحتمال فلا تكون عبادته موجبة لضمان اتقاء العذاب والأمن منه؟

ج ــ الآية الكريمة تشير إلى أنّ السبيل الوحيد الذي يمكن معه اتقاء العذاب وعقوبة الله تعالى والخطوة الأولى بهذا الاتجاه هو عبادة الله والإيمان به، وأما ضمان الأمن من العذاب فيرتبط بسلوك الإنسان والتزامه بالحكم الشرعي، والآية ليست بصدد بيانه.

((فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ))(٢٢)

س ٢٥ ــ كيف فرض المشركين عالمين بنفي الندّ والشريك لله تعالى مع أن كثيراً منهم لا يعلمون؟

ج ــ انّ المشركين جميعاً يدركون ــ بفطرتهم وعقولهم ــ أن الأنداد المزعومين مثل الأصنام وغيرها لا يصدر منهم هذا الخلق العجيب والمنتظم.

((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))(٢٥).

س ٢٦ ــ لماذا قال ((جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)) مع أنّ النهر يجري في الجنّة لا تحتها؟

ج ــ كأن فيه إشارة إلى عمق هذه لأنهار وجريانها تحت الأشجار المتشابكة فانّ الجنّة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلّل بالتفاف أغصانه.

على أنّه روي عن مسروق أنّ أنهار الجنّة جارية في غير أخاديد(٩) فتكون تحت الجنّة.

س ٢٧ ــ ما معنى ((كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً))؟

ج ــ ذكر المفسّرون عدّة وجوه للتفسير، والأقرب إلى دلالة الآية انّ ثمار الجنّة وان بدت متشابهة، إلاّ انّ لكل منها طعماً ونكهة تختلف عن الأخرى، مما يوجب دهشة أهل الجنّة وحيرتهم **((قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً))**، وبما أن الإنسان ــ بطبيعته ــ يرغب في التنويع فيكون في هذا التفاوت والجدة ــ رغم التشابه ــ زيادة في النعمة الإلهية والدلالة على قدرته وعجائب صنعه.

وقد فسّره بعضهم بالتشابه بين ثمار الجنّة وما رزقهم الله من ثمار في الدنيا، لكنه بعيد، لأن جلّ المؤمنين لم يطعموا في الدنيا إلاّ ثماراً محدودة خاصة الفقراء، فلا ينطبق معنى الإطلاق المستفاد من (كلّما).

س ٢٨ ــ ما معنى ((أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ))؟

ج ــ أي هنّ مطهرات من دنس الدماء والإفرازات المبتلاة بها نساء أهل الدنيا، مثل دم الحيض ودم الاستحاضة والصفرة.

((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))(٢٧)

س ٢٩ ــ إذا كانت الهداية والإضلال من الله تعالى فلا يستحق أصحابها مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً؟

ج ــ الله تعالى لا يجبر الإنسان على الهداية أو الضلال، ولذلك صح أمر العباد بالطاعة ونهيهم عن المعصية، وانّما نسبت الآية الهداية والإضلال لله، باعتبار أنه تعالى

يوجد الموضوع ــ كالمثل الذي أشارت إليه الآية ــ الذي يهتدي به المؤمن ويخطأ في فهمه الفاسق فيضلّ، كما قال موسى(عليه السلام) ــ بعد أن طلب خيار قومه رؤية الله وصُعقوا ــ ((إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء)) مع أنّ الله لم يجبرهم على موقفهم الذي أدّى إلى عقوبتهم.

س ٣٠ ــ كيف يصف الفاسقين بأنّهم الذين ينقضون عهد الله وغير ذلك مع أن هذه الأوصاف لا تعمّ كل الفاسقين؟

ج ــ الأوصاف المذكورة تعمّ كل الفاسقين، لأن العهد الذي نقضوه هو عهد الإيمان و الطاعة المأخوذ على البشرية جمعاء ــ على اختلاف بين العلماء والمفسّرين في تحديده، حيث قد يحمل على الإشارة إلى نعمة العقل القادر على تمييز الحقيقة عن الباطل ــ كما أشارت إليه مجموعة من الآيات والنصوص: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) (١٠).

وكذلك قطعُ ما أمر الله به أن يوصل والفساد في الأرض، فإنهما ينطبقان على جميع الفاسقين باعتبار أنّهم تجاهلوا علاقتهم كعبيد بخالقهم وحقّه عليهم في الإيمان به وطاعتهم له، كما أنّ في مكابرتهم لله وإنكارهم ومخالفتهم له ولرُسله الفساد الأعظم في هذه الأرض، كما تشير إليه الآية التالية:

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))(٣٠)

س ٣١ ــ ما هو وجه توصيف آدم بأنه خليفة؟

ج ــ هناك رأيان مشهوران للمفسرين، الأول: أن آدم خليفة الله في الأرض، فله حق الحكم بين الناس، كما جاء في الخطاب لداوود(عليه السلام): ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)) (١١).

الثاني: أنّه وصف لآدم وذريته باعتبارهم خلفوا خلقاً آخر لله تعالى أسكنهم الأرض ومكّنهم فيها ــ وهم الجنّ أو غيرهم ــ.

ويشهد للقول الثاني أمران: أحدهما ان تساؤل الملائكة لا يرتبط بشخص

آدم (عليه السلام) ،وانما بالجنس البشري حيث يصدر منهم الإفساد وسفك الدماء، مما يعني أنهم فهموا من الخليفة استخلاف الجنس البشري محل الخلق الآخر الذي كان قبلهم لا استخلاف شخص آدم في الحكم عن الله تعالى.

ثانيهما: بما أن الجعل الوارد في تساؤل الملائكة ((أتجعل فيها)) تكويني بمعنى الخلق فيكون الجعل السابق كذلك، لا تشريعي بمعنى جعله حاكماً.

س ٣٢ ــ كيف عرف الملائكة أنّ الجنس البشري يصدر منهم الإفساد وسفك الدماء؟

ج ــ قد يكون ذلك بسبب معرفتهم بطبيعة الكائنات المادية العاقلة حيث تتقاذفه الأهواء والنزوات النفسية ــ إلاّ من عصمه الله تعالى ــ، وجاء في بعض النصوص ان تجربة المخلوقات السابقة ــ المرتبطة بالمادة ــ هي التي أوحت لهم بتكرارها من البشر، روى العياشي عن هشام بن سالم قال: قال: أبو عبد الله (عليه السلام): ((ما علم الملائكة بقولهم **((أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء))** لولا أنّهم قد كانوا رأوا من يُفسد فيها ويسفك الدماء(١٢))).

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الآيات وغيرها من الشواهد توحي بأن الأرض محور للكون من بين الكواكب الأخرى، لذلك انصب اهتمام الملائكة بأحداثها ومخلوقاتها.

((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))(٣١)

س ٣٣ ــ ما هي الأسماء التي علّمها آدم؟

ج ــ اختلف المفسرون على أقوال:

(منها): أن المقصود بالأسماء الأشياء، ففي الحديث عن أبي العباس عن أبي عبدالله(عليه السلام) سألته عن قول الله ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)) ماذا علّمه؟ قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علّمه(١٣).

(ومنها): أن المقصود بالأسماء موجودات عاقلة لها مقامات عالية.وقد أشارت إلى ذلك بعض الروايات(١٤).

وعلى كل حال، فالذي يبدو أن استيعاب آدم وتعلّمه للأسماء كشف للملائكة عن قدرة هذا الكائن الجديد على الرقي والتكامل، لأنه جاء بعد تساؤل الملائكة عن حكمة خلقه بعد علمهم بطبيعته البشرية التي من آثارها الفساد وسفك الدماء.

((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ))(٣٤)

س ٣٤ ــ هل كان ابليس من الملائكة؟ وإذا لم يكن منهم فهو غير معني بالأمر الإلهي الموجه إليهم فلا يكون عاصياً بمخالفته؟

ج ــ يبدو من مجموع الآيات الكريمة والنصوص ان ابليس كان من الجن لا من الملائكة، من ذلك قوله تعالى ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً)) (١٥).

وأما شمول الأمر بالسجود لإبليس فقد كان معلوماً له، دلت عليه مجموعة كثيرة من الآيات والشواهد الأخرى حتى صار من الضروريات الواضحة مثل قوله تعالى: ((مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)) (١٦)، ولم يتصدّ القرآن الكريم إلى بيان كيفية إيحاء هذا الأمر الإلهي إلى إبليس، ولم ينقل عنه شكاً أو التباساً حول ذلك، وحينئذٍ فيكون عدم التصريح باسمه في الآيات الحاكية عن الأمر الإلهي بالسجود اعتماداً على القرائن الدالة على شموله له.

س ٣٥ ــ كيف يوصف ابليس بالكفر مع أنه لم ينكر وجود الله أو يشرك به أحداً؟

ج ــ الكفر في اللغة التغطية، قال الأزهري: ((.. إن الكفر في اللغة التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السلاح كافر، وهو الذي غطّاه السلاح..))(١٧).

وعلى هذا فيمكن أن يكون كفره باعتبار أن موقفه تابع للمكابرة والتحدي لله، وإنكار علمه تعالى بحقائق الأمور ومراتب عباده، فرغم انه تعالى أمره بالسجود لآدم إلاّ أنه ردّ بقوله ((أنا خير منه))، فلم يكن موقفه مجرد معصية، بل كان تحدياً ورفضاً لعلم الباري أو حكمته فيكون كافراً.

س ٣٦ ــ كيف يفسّر سجود الملائكة لآدم مع أنّ السجود لا يكون لغير الله؟

ج ــ قد يكون السجود هنا بمعناه اللغوي وهو الخضوع والإقرار بفضله عليهم ــ كما اشارت إليه بعض النصوص (١٨) ــ وهو ما رفضه ابليس تكبراً وجهلاً، وليس هو السجود المعبّر عن العبادة للمسجود له.

((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ)) (٣٥)

س ٣٧ ــ ما هذه (الجنة) التي أسكن الله فيها آدم وزوجته، هل هي جنّة الخلد أو غيرها؟

ج ــ اختلف العلماء والمفسرون في ذلك على أقوال ثلاثة:

الأول: انّها جنّة من جنان الأرض.

الثاني: انّها جنّة الخلد.

الثالث: انّها جنة من جنان الدنيا في السماء.

ويبدو ومن مجموع الشواهد القرآنية ــ بالإضافة إلى بعض النصوص ــ انّها ليست من جنان الأرض منها:

أ ــ قوله تعالى: **((وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ))**، فانّ التعبير بالهبوط يشهد باختلاف الجنّة وعلوّها ــ ولو معنوياً ــ عن الأرض، كما انّ قوله: **((وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ))** يوحي أن هذه الأرض غير تلك الجنّة التي كانا فيها.

ب ــ قوله تعالى: **((إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى))** (١٩). وكذلك قوله تعالى: **((فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ))** (٢٠)، فانّها توحي أنّ طبيعة الحياة والنظام الكوني هناك يختلفان عما في الأرض، حيث تنعدم في تلك الجنّة المعاناة المادية مثل الجوع والظمأ والبرد والحرّ. وأنّ شعورهما بالعري والمعاناة بدأ من حين الأكل من الشجرة ــ إما عقوبةً من الله تعالى أو كان أثراً طبيعياً لثمرة تلك الشجرة ــ.

ج ــ ان ظاهر الآيات الكريمة حرمان آدم وذريته من تلك الجنّة، وهو لا ينسجم مع كونها من جنان الأرض، لأن ذرية آدم منتشرون في بقاع المعمورة وجنانها ــ خاصة في العصور الأخيرة.

فهذه الشواهد القرآنية وغيرها من النصوص تشهد بأنّ هذه الجنّة ليست من جنان الأرض، وأما تحديد كونها جنّة الخلد أو جنة أخرى في هذا الكون فليس عليه دلائل قرآنية واضحة، والنصوص مختلفة في ذلك، والذي يحضرني منها ضعيف السند.

س ٣٨ ــ هل المراد من الظلم في قوله تعالى: ((فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)) المعصية الموجبة لاستحقاق العقاب أو شيء آخر؟

ج ــ يتضح الجواب من خلال توضيح طبيعة النهي عن الأكل من تلك الشجرة، فانّ الأوامر والنواهي الصادرة من الله سبحانه ــ وكذا كل مولى وحاكم ــ على قسمين:

القسم الأول: الأوامر والنواهي الصادرة منه تعالى باعتباره مولى الإنسان وخالقه الذي يتحتم عليه إطاعته، وما كان من هذه إلزاماً يتحمل الإنسان مسؤولية تنفيذها ويستحق العقوبة الأُخروية على مخالفتها، مثل الأوامر بالواجبات والنواهي عن المحرّمات الشرعية.

القسم الثاني: الأوامر والنواهي الإرشادية، وهي الصادرة من الله تعالى باعتباره حكيماً وعالماً بمصلحة الإنسان ومرشداً له، من دون أن يحمّله مسؤولية تنفيذها، كما في قوله

تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى)) (٢١)، فانّ من يُبطل صدقته بالمن والأذى ــ غير المحرّم ــ لا يستحق عقوبة أُخروية وانما يخسر ثمرة صدقته فحسب، وعندما نلاحظ الآيات الحاكية عن نهي آدم عن الأكل من الشجرة لا نجد ما يشير إلى كونه نهياً مولوياً حتّى يوجب عصيانه العذاب الاخروي ــ الذي وعد الله به العاصين ــ، بل في بعض هذه الآيات ما يشير إلى كونه إرشادياً كما في قوله تعالى: ((فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)) (٢٢)، حيث كان تحذير آدم من الشيطان باعتبار أن متابعته توجب الخروج من الجنّة، ولو كان النهي الإلهي ــ عن الأكل من الشجرة ــ مولوياً لأشارت هذه الآية إلى أن أثر متابعة الشيطان استحقاق العذاب الإلهي الذي هو أهم من الخروج من الجنّة، ولعلّ إلى ذلك يشير قوله تعالى: ((فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ)) حيث اقتصر على ذكر إخراجهما من الجنّة من دون ان يشير إلى تعرضهما إلى الغضب الإلهي وسخطه.

س ٣٩ ــ كيف استطاع إبليس دخول الجنّة وغواية آدم؟

ج ــ أما على افتراض أنّها من جنان الدنيا فلا محذور في دخول إبليس إليها، وأما على فرض أنّها جنّة الخلد فلا دليل على منع إبليس من دخولها آنذاك قبل يوم القيامة، بل تشير بعض الآيات إلى تحذير الله تعالى لآدم وحوّاء من الشيطان مما يكشف عن إمكانية دخوله الجنّة، قال تعالى: ((وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ)) (٢٣).

((فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))(٣٧)

س ٤٠ ــ ما هي الكلمات التي تلقّاها آدم؟

ج ــ اختلفت النصوص في تحديدها، فبعضها تضمنت التسبيح ومناجاة الله تعالى، مثل ((اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنّك خير الغافرين))، وفي بعض النصوص انّه توسل لله سبحانه بالنبي محمّد وآله صلوات الله عليهم.

س ٤١ ــ إذا كان النهي عن أكل الشجرة إرشادياً فما معنى التوبة من مخالفته وما هو أثرها على آدم؟

ج ــ التوبة في اللغة الرجوع، وبما أن الأكل من الشجرة لم يكن منسجماً مع حقّ الله تعالى وفضله على آدم، فكأنه أبعده عن ربّه، فتكون توبته رجوعاً منه لله تعالى حيث

استحق بذلك قربه وفضله، فاجتباه ((ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)) (٢٤) واصطفاه ((إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)) (٢٥)، وقد استعملت التوبة في القرآن الكريم بهذا المعنى في موارد عديدة منها: قوله تعالى: **((لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))**(٢٦). فان التوبة هنا ليست بمعنى غفران الذنب، إذ لم يصدر منه ذنب آنذاك، وإنما هو شمولهم بفضله ورحمته برفع كربتهم. والله العالم.

((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ))(٤٠)

س ٤٢ ــ ما هو عهد الله لهم وعهدهم لله تعالى؟

ج ــ لعلّ المقصود منه ما أشارت إليه الآية الكريمة **((وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ))** (٢٧).

((وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))(٤٥ ــ ٤٦)

س ٤٣ ــ كيف تكون الصلاة كبيرة على غير الخاشعين؟

ج ــ المقصود أنّها ثقيلة وشاقة على غير الخاشعين، إما باعتبار ما تتضمنه من التواضع والخضوع لله تعالى الذي لا يستسيغه المتكبرون، أو باعتبار أن من لا يخشع في صلاته تتحول صلاته إلى ممارسة رتيبة مملّة فيستثقلها، وتصعب عليه إدامتها.

س ٤٤ ــ كيف وصف الخاشعين بأنّهم يظنّون ملاقاة ربّهم، والظن غير اليقين؟

ج ــ الظن هنا بمعنى اليقين عن تدبّر ــ وهو من معاني الظن ــ في مقابل العلم بمعنى يقين المشاهدة والعيان كما نص عليه علماء اللغة(٢٨). وفي الحديث عن أبي معمر عن علي(عليه السلام) في قوله: **((الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))** يقول: ((يوقنون أنّهم مبعوثون، والظن منهم يقين))(٢٩).

((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ))(٤٧)

س ٤٥ ــ في أى شيء فضّل الله بني إسرائيل على العالمين؟

ج ــ قد يكون تفضيلهم باعتبار وفرة النعم عليهم، ومنها كثرة الأنبياء والرسُل منهم، من دون أن يعني ذلك رفعة مقامهم في الآخرة، بل ذلك يرتبط بمدى ايمانهم وطاعتهم لربّهم، إذ الذي يرفع مقام الأُمة ويفضّلها على غيرها هو ايمانها وسلوكها، كما قال تعالى: **((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّـه))** (٣٠).

((وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ))(٤٨)

س ٤٦ ــ ألا تنفي هذه الآية شفاعة الإنسان بقول مطلق؟

ج ــ الشفاعة من المفاهيم التي تكرر الحديث عنها في القرآن الكريم والسنّة المعتبرة لدى المسلمين جميعاً، ولأجل الخروج بنتيجة موضوعية دقيقة لابدّ من ملاحظتها جميعاً وعدم الاكتفاء بدلالة ظاهر آية واحدة، ويكفينا هنا إلقاء نظرة على العديد من الآيات الكريمة التي تصرّح بثبوت الشفاعة يوم القيامة مثل قوله تعالى: **((يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً))** (٣١)، و **((وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَه))** (٣٢)، **((وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى))**(٣٣)،**((مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ))**(٣٤)، **((يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ))**(٣٥).

فهذه الآيات الكريمة وغيرها بالإضافة إلى عدد كبير من النصوص المختلفة تؤكد على ثبوت الشفاعة يوم القيامة لكثير من الملائكة والناس وفي مقدّمتهم نبي الإسلام محمد(صلى الله عليه وآله وسلّم)، بالإضافة إلى الأنبياء والأئمة وبعض الصالحين.

وقد ادعي إجماع المسلمين على ثبوت الشفاعة وإنما الاختلاف بينهم في تفاصيلها، قال الفخر الرازي: ((أجمعت الأُمة على أن لمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى: **((عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا))** وقوله تعالى:**((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى))** ثم اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته(عليه السلام) لمن تكون.. وقال أصحابنا تأثيرها في إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب)) (٣٦).

ولعلّ الآيات النافية للشفاعة ناظرة إلى طبيعة ما يقدّمه الفاسقون شفيعاً لهم أو من يعتقدون بأنه يشفع لهم مثل الأصنام ورؤوس الضلالة كما توحي به بعض هذه الآيات ومنها هذه الآية ــ التي نتحدث عنها ــ فانها واردة في سياق الحديث عن بني اسرائيل الذين كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار **((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّـهِ**

وَأَحِبَّاؤُه)). ويتخذون رهبانهم أرباباً من دون الله، معتمدين على شفاعتهم، وعلى أموالهم، ولذا جاء الرد عليهم **((وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ))** أي فدية.وكذلك قوله تعالى: **((... وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...))** (٣٧).

ومنها قوله تعالى: **((وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء))** (٣٨). وقوله تعالى:**((لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))**(٣٩) ، وغيرها من الآيات، فانّها بمثابة تحذير للكافرين والفاسقين أن لا يتبعوا في الحياة الدنيا الأصنام ورؤوس الضلالة اعتماداً على شفاعتهم في الآخرة، فانهم سوف يندمون آنذاك حيث لا ينفع الندم **((وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ))**(٤٠).

فاتضح أن هذه الآيات لا تنفي شفاعة الأنبياء والأئمة وغيرهم من المؤمنين ممن يأذن الله له بذلك.

((وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ))(٥١).

س ٤٧ ــ كيف تجعل الآية المواعدة أربعين ليلة مع أنها كانت ثلاثين وأُكملت بعشر ليال إضافية كما جاء في قوله تعالى: ((وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)) (٤١).

ج ــ جاءت الآية هنا من باب التغليب، باعتبار أن الليالي العشر ملحقة بالموعد الحقيقي المحدّد بالثلاثين، فصحّت نسبة المواعدة لكل الأربعين من باب الايجاز. وهذا تعبير عرفي مألوف.

((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ))(٥٥).

س ٤٨ ــ كيف نسب هذا القول لبني اسرائيل مع أن القائلين كانوا مجموعة قليلة قد لا تتجاوز السبعين شخصاً ــ كما جاء في بعض النصوص؟

ج ــ باعتبار أنّ هذه المجموعة كانوا خيرة بني اسرائيل، فمن الطبيعي أن ينعكس عليهم سلبيات سلوكهم، وليست الآية بصدد مجازاتهم حتى تقتصر على الممارسين للخطأ على أساس **((وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))** وإنما مجرد تذكيرهم بالعديد من مواقفهم التي لا تنسجم مع النعم الإلهية المتتالية عليهم.

س ٤٩ ــ إذا أخذتهم الصاعقة حتى فقدوا الوعي أو ماتوا ــ كما تشير إليه بعض الآيات ــ فكيف ينظرون؟

ج ــ ليس في الآية دلالة على نظرهم بعد نزول الصاعقة بهم، وإنما نظرهم عند نزولها، باعتبار أنهم كانوا ينظرون إلى السماء لكي يروا الله تعالى بزعمهم فشاهدوا الصاعقة التي أخذتهم، كما تقول: قُتِل المجرم واقفاً. فانه لا يعني وقوفه بعد القتل، وإنما كونه واقفاً حين القتل.

((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ))(٦١).

س ٥٠ ــ بما انّ الرغبة في تنويع الطعام مقتضى الطبيعة البشرية فلماذا أنّبهم موسى (عليه السلام)؟

ج ــ إن إنزال المن والسلوى عليهم إنما كان في ظرف طارئ حيث كانوا يهيمون آنذاك في الصحراء ــ في طريقهم إلى مصر وبيت المقدس ــ فمنّ الله عليهم بإنزال المنّ والسلوى لتهون عليهم فترة المكث في الصحراء بدلاً من تكلّفهم مؤنة توفير الغذاء هناك، فكان المفروض فيهم شكر هذه النعمة والرعاية الإلهية بدلاً مما دأبوا عليه من التعنت والجهالة وكفر النعم.

س ٥١ ــ كيف قال: ((أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)) مع أنهم استبدلوا الذي هو خير ــ المن والسلوى ــ بالذي هو أدنى؟

ج ــ كلاّ، لأن الباء الداخلة على أسم الموصول ــ الذي هو خير ــ باء البدلية، والمعنى اختاروا الذي هو أدنى بدل الذي هو خير.

((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ))(٦٢)

س ٥٢ ــ ألا تدلّ هذه الآية على أن أتباع الأديان السماوية يؤجرون في الآخرة ويأمنون العذاب إذا كانوا صادقين في إيمانهم وصالحين في أعمالهم مثل المؤمنين ــ المسلمين ــ ، رغم عدم إيمانهم بالإسلام، باعتبار أن العطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه؟

ج ــ تدل هذه الآية على أن أتباع الأنبياء في زمانهم الذين التزموا بدينهم يستحقون أجرهم، كما يستحق المسلمون ذلك، لكن ذلك لا يعني أن من يصرّ على الدين المنسوخ ولم يؤمن بالنبي اللاحق يستحق ذلك، وإلاّ لم تكن هناك فائدة في إرسال الرسل بشرائع ناسخة

لما قبلها، لأنّ هؤلاء يبعثون لأتباع الدين السابق أيضاً، بل إنّ بعضهم يُبعث في وسط أتباع الدين السابق، مثل عيسى (عليه السلام) الذي بعث في وسط بني إسرائيل ودعاهم إلى الإيمان برسالته.

هذا، وربّما يطلق على الذين أسلموا منهم لفظة اليهود والنصارى والصائبين باعتبار قرب عهدهم بأديانهم تلك، كما قال تعالى ــ في حديثه عن اليهود ــ ((لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...)) (٤٢)، فاعتبرهم ــ مجازا من اليهود، مع أنهم قد اصبحوا مسلمين.

((فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ))(٦٦)

س ٥٣ ــ ما هي التي جعلها الله نكالاً؟ وكيف تكون كذلك؟

ج ــ تلك الأمة التي مُسخت جعلها الله تعالى عبرةً للأمم المعاصرة والأمم اللاحقة لها، يتعظ بذلك المؤمنون، وفي الحديث عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) وابي عبد الله (عليه السلام) في قوله: ((فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)) قال: لما معها ينظر إليها من أهل القرى ولما خلفها قال: ونحن، ولنا فيها موعظة(٤٣).

((.. وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ))(٧٤).

س ٥٤ ــ هل الحجارة الثانية التي تشقق مغايرة للأولى أو عينها؟

ج ــ الحجارة الثانية إشارة لمنبع العيون ونحوها، وهي تختلف عن الأنهار المتدفقة، وبعض المفسرين اعتبر الأولى رمزاً للخير والنفع، والثانية رمزاً للّين والتفاعل مع العوامل المؤثرة بينما قلوبهم صلدة قاسية لا تستجيب لنداء الله تعالى، ولا نفع ولا خير فيها.

س ٥٥ ــ كيف تهبط الحجارة من خشية الله وهي جماد لا يعقل؟

ج ــ تضمنت بعض الآيات والنصوص نسبة بعض مراتب الأدراك والشعور لبعض الحيوانات والجمادات، بل لكل شيء كما في قوله تعالى: ((وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)) (٤٤) وقد أكدتها بعض النظريات الفلسفية، وسوف نشير إلى ذلك في محله ان شاء الله تعالى.

((أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))(٧٥).

س ٥٦ ــ هل تحريف البعض يقطع الأمل بإيمان الآخرين؟

ج ــ نعم، إذا كان التحريف من الكبار المطاعين فيهم ــ كما هو العادة ــ فمن الطبيعي أن يمنع ذلك من إيمان أتباعهم.

ويحتمل أن يكون قوله ــ في آخر الآية ــ ((وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) راجعاً إلى العامة الذي كانوا عالمين بفسق أحبارهم وتحريفهم ــ كما نلاحظهم في عصرنا ــ وجاء في الحديث: قال رجل للصادق (عليه السلام): إذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلاّ بما يسمعونه من علمائهم فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلاّ كعوامنا يقلّدون علماءهم ــ إلى أن قال ــ فقال (عليه السلام): ((بين عوامنا وعوام اليهود فرق من جهة... فانّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وأكل الحرام والرشا وتغيير الأحكام، واضطرّوا بقلوبهم إلى أنّ من فَعل ذلك فهو فاسق لا يجوز أن يصدّق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمّهم..)) (٤٥).

((وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ))(٧٦).

س ٥٧ ــ إلى من تشير هذه الآية مع أنّ موقف اليهود في عنادهم وجحودهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) معروف؟

ج ــ تشير الآية الكريمة إلى بعض اليهود الذين كانوا يتودّدون إلى المسلمين ويتظاهرون بالإيمان حتى إنّ بعض هؤلاء كان يحكي للمسلمين ما قرؤوه في كتبهم وما سمعوه من أحبارهم من ذكر أوصاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وبعدما يخلون فيما بينهم يلوم بعضهم بعضاً على ذلك، ففي الحديث عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: ((كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئي،ن إذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمّد فنهاهم كبراؤهم عن ذلك، وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمّد فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآية)) (٤٦).

((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ)) (٨٣)

س ٥٨ ــ بما انّ التولّي هو الإعراض فما فائدة قوله: ((وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ))؟

ج ــ قد يكون التولي بمعنى الإدبار، قال ابن منظور: (... وقد ولّى الشيء وتــولى إذا ذهب هارباً ومدبراً...) (٤٧) وبما ان جملة((وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ))حاليــة، فيكــون المعنــى: تولّيتم معرضين، وفي ذلك إشارة إلى انّ إدبارهم وعدم التزامهم بالميثاق عــن إعــراض وإصرار منهم، لا بسبب نزوة أو في حالة طارئة.

((ثُمَّ أَنتُمْ هَــؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...))(٨٥).

س ٥٩ ــ ما هو البعض الذي آمنوا به من الكتاب والبعض الذي لم يؤمنوا به؟

ج ــ كانوا يمارسون القتل والعدوان والتشريد فيما بينهم خلافاً لما أمرهم به الله تعــالى وعندما يؤسر بعض هؤلاء يدفعون الفدية لإطلاقهم ــ وهو ما أمر الله به ــ ولعــلّ هــذا الموقف منهم جزء من اعتزازهم القومي أمام غيرهم، بينما لا يطبّقون الضوابط الشــرعية في تعاملهم فيما بينهم،إذ كانت تسود بينهم النفرة والضغينة والأهواء المختلفة، كما أشارت إليه الآية الكريمة **((تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى))**.

((وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)) (٨٨).

س ٦٠ ــ ما هو هدفهم من هذا القول، وماذا يقصدون به؟

ج ــ هدفهم توجيه موقفهم الرافض للإيمان بالاسلام الذي جاء به النبي محمد (صــلى الله عليه وآله وسلّم). والغُلْف جمع أغلف، قال ابن منظور: ((وسيف أغلف وقوس غلفاء، وكذلك كل شيء في غلاف)) (٤٨). ويقصدون هنا انّ قلوبهم لا تستجيب لدعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) لهم للدخول في الإسلام فكأنها مغطاة ومحجوبة عن ذلك.

وهناك قراءة بضم اللام ((غُلُف)) فيكون جمعاً لغلاف، بمعنى انّ قلوبنا أوعية للعلم كما انّ الغلاف وعاء، وأنّ ما يذكره محمّد (صلى الله عليه وآله وســلّم) لا ينسجم مــع معلوماتنــا، ولذلك لا نؤمن به.

((بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ)) (٩٠).

س ٦١ــ كيف ينطبق شراء النفس الذي هو بمعنى حفظ النفس من الضلال مــثلاً علــى موقف اليهود المعاند للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)؟

ج ــ الاشتراء هنا بمعنى البيع ــ الذي هو من معاني الشراء والاشتراء لغةً ــ فاليهود حيث خسروا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) بغيّاً وحسداً له (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ لكونه من ذرية إسماعيل ولا ينحدر من سلالة إسحاق كما كانوا يترقبون ــ فكأنهم باعوا أنفسهم وخسروها، إذ استبدلوها بالكفر.

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) (٩١).

س ٦٢ــ ما هو وجه الارتباط بين قوله: ((قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ...))ومقدمة الآية مع أن هؤلاء لم يكونوا هم الذين قتلوا الأنبياء؟

ج ــ بعد أن رفض اليهود الإيمان برسالة الإسلام،وإصرارهم على الاقتصار على الإيمان بما أُنزل عليهم، ردّت الآية الكريمة عليهم بأمرين:

أحدهما: انّ ما أنزل الله تعالى على محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) مصدّق لما أنزل على أنبياء بني إسرائيل ــ كما كانت تؤكده مصادرهم وأحبارهم من قبل ــ فيفترض مبادرتهم إلى الإيمان به.

ثانيهما: إنّ ادعاءهم الايمانَ بما أُنزل على أنبيائهم غير صحيح، لأنّ تاريخ بني إسرائيل مليء بجرائم قتل هؤلاء الأنبياء الذين كانوا بين ظهرانيهم، وبالرغم من ذلك فأنّ ذريّتَهم يدّعون الإيمان من جهة ويَرون لبني اسرائيل تميّزاً عن غيرهم وأنهم شعب الله المختار من بين الشعوب، فالرضا والاعتزاز بالأسلاف يصحّح انتساب أفعال أولئك وممارساتهم لهؤلاء، لأن من رضي بفعل قوم حُشر معهم.

((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)) (٩٣).

س ٦٣ــ بما انه ليس المقصود من السماع هنا سماع الكلام فلابدّ أن يكون بمعنى الطاعة، وعلى هذا الأساس فكيف يجمع بين الطاعة والمعصية في قولهم: ((سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا))؟

ج ــ السماع يأتي بمعنى الاستجابة والقبول، قال ابن منظور: ((ومنه الحديث: اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع أي لا يستجاب ولا يعتدّ به، فكأنه غير مسموع...) (٤٩) وعلى هذا فيكون معنى الآية أنهم قبلوا الميثاق وتحمّلوا مسؤوليته ثمّ عصوا وتخلوا عن ذلك.

واحتمل بعض المفسرين أن يكون قولــه ((وَعَصَيْنَا))حكاية عن فعلهم وما آل إليه من المعصية وليس هو حكاية عن قولــهم.

((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ))(٩٦).

س ٦٤ــ ما فائدة ذكر الذين أشركوا مع أنهم ضمن الناس؟

ج ــ التصريح بذكر المشركين لتأكيد حرص اليهود على الحياة، وأنه أشدّ من حــرص المشركين عليها بالرغم من عدم إيمانهم بالبعث والحياة بعد الموت.

((وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ))(١٠٢).

س ٦٥ــ بعد أن فرضهم عالمين بخسارة نصيبهم في الآخرة كيف ينفي علمهــم ببــؤس وتفاهة الثمن الذي باعوا به أنفسهم؟

ج ــ لعلّه إشارة إلى ما يلاحظ لدى كثير من أتباع الأديان الســماوية ــ بمــن فــيهم المسلمون ــ فإنّهم في الوقت الذي يعرفون بحرمة بعض الأعمال والعقاب الــذي يترتــب عليه، لكنّهم يستخفّون بها ويستهينون بالعقاب المترتب عليها، لعدم استيعابهم لطبيعته ومداه وآثاره، فهؤلاء اليهود رغم علمهم بحرمة السحر وخسارة صاحبه يوم القيامــة، لكــنّهم لا يستوعبون مدى تفاهة الثمن الذي يبيعون به أنفسهم، لعدم علمهم بطبيعة ومــدى العقــاب الذي ينتظرهم جزاء عملهم هذا.

ويحتمل أن يكون العلم المنفي عنهم هو العلم الذي يستتبع العمل أي التعقــل لا مجــرّد المعرفة، واستعمال العلم بهذا المعنى شائع في القرآن والسنة حيث ورد انّ العقل ما عُبــد به الرحمن، وقد أشار إلى ذلك بعض علماء اللغة وغيرهم(٥٠) ، ويؤيد ذلك قولــه تعالى في الآية اللاحقة: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَمَثُوبَــةٌ مِّــنْ عِنــدِ اللّــهِ خَيْــرٌ لَّــوْ كَــانُواْ يَعْلَمُونَ))(البقرة:١٠٣). إذ من البعيد انّ بني إسرائيل لا يعرفون أنّ المثوبة المترتبة على الإيمان والتقوى خير من السحر وغيره من المعاصي، لكنّهم حيث لم يعملوا علــى طبــق علمهم، نفت الآية عنهم العلم بالمعنى الثاني.

((أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ))(١٠٨).

س ٦٦ــ لماذا استحقوا الذم في سؤالهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)؟

ج ــ السؤال هنا بمعنى الطلب، وقد ورد في سبب نزول الآية أنّ البعض قد طلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ما يشبه طلب بني اسرائيل من موسى (عليه السلام) بأن يروا الله جهرةً أو يجعل لهم آلهة أو يأتيهم بالآيات التي يقترحونها، كما يشير إليه قوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قولهمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ))(البقرة:١١٨).

س ٦٧ــ التبدل في اللغة بمعنى الاستبدال، فمن يستبدل الكفر بالإيمان كيف يكون ضالاً؟

ج ــ الاستبدال والتبدل بمعنى جعل الشيء بدلاً، وحيث كانت الباء الداخلة على ((الإيمان)) باء البدل، فيكون المعنى: ومن يختار الكفر بدل الإيمان فقد ضلّ، وهو نظير قوله تعالى: ((وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)) (٥١) أي لا تختاروا الخبيث وتجعلوه بدل الطيّب.

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ..)) (١٤٣).

س ٦٨ــ ما معنى شهادة هذه الأمة على الناس، وشهادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) على الأمة؟

ج ــ كأن شهادة هذه الأمة ــ المؤمنة ــ على الناس باعتبار أنّ استقامتهم وإيمانهم بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أسقطا عذر الكافرين في كفرهم وضلالتهم، لأن إيمان المؤمنين يكشف عن قيام الحجة وتمامها **((لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ))** (٥٢).

وأما شهادة الرسول على الأمة فباعتبار أنه قد بلّغ رسالات ربّه وأبلغهم تعاليمه، فلا يبقى عذر للجاحد والعاصي.

((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)) (١٥٨).

س ٦٩ــ كيف يفتي الفقهاء بوجوب السعي بين الصفا والمروة مع انّ نفي الجناح ــ أي الذنب والمعصية ــ لا يعني وجوب السعي بل غاية ما يدل عليه هو جواز السعي وعدم حرمته؟

ج ــ ان الفقهاء لا يستندون في وجوب السعي إلى هذه الآية، بل إلى النصوص الواردة في السنة التي تضمنت وجوب السعي بينهما في الحج والعمرة.

وأما اشتمال الآية الكريمة على نفي الحجاج فكأنه يشير إلى خلفية وضع الصفا والمروة في عهد الجاهلية، حيث ذكر المؤرخون ان الجاهلية كانوا قد وضعوا صنماً اسمه ((أُساف)) على الصفا، وصنماً اسمه ((نائلة)) على المروة وهم يسعون ويتمسحون بهما، فكأنما تحولاً إلى رمزين للجاهلية وعبادة الأصنام، فلما اقّر الاسالم تشريع السعي بين الصفا والمروة ضاقت نفوس بعض المسلمين من ذلك على أساس تلك الخلفية لهذين الجبلين، فنزلت الآية الكريمة لتؤكد موقعهما في الإسلام وأنهما من شعائر الله تعالى، وأن الممارسة الخاطئة للمشركين بوضع الأصنام عليهما لا يمنع من السعي إليهما ضمن التعبد المشروع لله في الحج والعمرة، وفي حديث الإمام الصادق (عليه السلام) عن كيفية حج النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله فابدأ بما بدأ الله تعالى به، وإن المسلمين كانوا يظنون ان السعي بين الصفا والمروة شيء صنعة المشركون فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)) (٥٣).

س ٧٠ــ إذا كانت الآية تشير إلى السعي فلماذا قالت: ((يَطَّوَّفَ بِهِمَا)) ومعناه الدوران حولهما مع أن السعي هو بين الصفا والمروة؟

ج ــ يبدو من بعض النصوص أن الآية الكريمة تشير إلى ما قبل تشريع السعي على كيفيته الفعلية، حيث كان النسك الدوران حول الصفا والمروة، ففي الحديث عن بعض أصحابنا عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: سألته عن السعي بين الصفا والمروة فريضة هو أو سنّة ــ أي مستحب ــ؟

قال: كان ذلك في عمرة القضاء، وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان شرطه عليهم ــ أي على المشركين قبل فتح مكة ــ أن يرفعوا الأصنام ــ أي عن الصفا والمروة ــ فتشاغل رجل من أصحابه حتى أُعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فسألوه، وقيل له: إن فلاناً لم يطف ــ أي بالصفا والمروة ــ وقد اعيدت الأصنام، قال: فأنزل الله: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا))أي والأصنام عليهما (٥٤).

كما روي عن عروة عن عائشة ــ في حديث لها حول الآية الكريمة ــ((... إنما كان هذا الحيّ من الأنصار قبل أن يُسلموا يُهلون لـ ((مناة)) الطاغية التي كانوا يعبدون، عند المُشَلَّل ــ اسم جبل ــ، فكان من أهلّ لـ ((مناة)) يتحرّج أن يطوف بالصفا والمروة، فلّما

أسلموا سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا كنّا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ...)) الآية، ثم سنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) الطواف بينهما، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بينهما(٥٥).

فهاتان الروايتان تدلاّن على أن نزول الآية الكريمة قبل فرض السعي بين الصفا من جانب النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم).

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) (١٦١).

س ٧١ــ كيف يفرض لعنة الناس أجمعين على الكافرين مع أن أصحاب دينه لا يلعنونه؟

ج ــ إما أن يقصد من الناس من يُعتنى بلعنه وهم المؤمنون، أو باعتبار أنّ أصحاب كل دين يعتبرون أنفسهم المؤمنين ويلعنون الكافرين، وبما انّ الكافرين بالله تعالى هم الكفار الحقيقيون فتشملهم في الحقيقة لعنة أبناء دينهم.

((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ))(١٧١).

س ٧٢ــ كيف يشبّه الذين كفروا بمن ينعق، وينعتهم بعد ذلك بأنّهم صمٌّ بُكمٌ، والخَرس لا ينسجم مع النعيق؟

ج ــ هناك عدة تفاسير للآية:

الأول: انّه تشبيه لموقفهم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بموقف البهائم من الراعي فكما انّ البهائم لا تفهم شيئاً من الراعي ــ غير صوته ــ فكذلك هؤلاء الكافرون لا يستوعبون دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وتعليمه لهم، وفي مجمع البيان قال قتادة: صُم لا يسمعون الحق، بُكم: لا ينطقون به، عُمي: لا يبصرونه... وإنما شبّههم الله بالصُم لأنهم لم يحسنوا الإصغاء إلى أدلة الله تعالى فكأنهم صمّ، وإذا لم يقرّوا بالله وبرسوله فكأنهم بُكم، وإذا لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض فكأنهم عُمي، لمّا لم تصل إليهم منفعة هذه الأعضاء فكأنهم ليس لهم هذه الأعضاء(٥٦).

الثاني: انّ موقف هؤلاء الكفار في دعوتهم للأصنام كموقف الراعي في خطابه للبهائم فكما أنها لا تفقه كلامه، فكذلك الأصنام لا تفقه دعوة الكافرين وعبادتهم لها. فهؤلاء

الكافرون في دعوتهم وعبادتهم لها لا يعقلون ولا ينتفعون بعقولـــــهم وحواســـهم فكـــأنهم فقدوها.

((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (١٧٣).

س ٧٣ــ كيف أستعمل أداة الحصر (إنما) مع انّ هناك أطعمة كثيرة محرّمة في الإسلام؟

ج ــ الحصر هنا إضافي أي نسبي باعتبار انتشار استخدام المذكورات في الآية آنذاك، ولا يعني حصر التحريم بها دون غيرها من المأكولات.

س ٧٤ــ جاء في بعض النصوص عن الإمام جعفر الصادق (عليــه الســلام): البــاغي: الخارج على الإمام، والعادي: اللص وحينئذٍ يطرح هذا الســؤال لمــاذا يســتثنى البــاغي والعادي من نفي الإثم، مع انّه يجب عليهما حفظ الــنفس عنــد الاضــطرار ولــو بأكــل المحرّمات؟

ج ــ أشار بعض الفقهاء إلى انّ حرمة الأكل تختص بما إذا كان البغي أو العدوان هو منشأ الاضطرار للحرام(٥٧)، وعلى هذا فيكون من الطبيعي أن يتحمّل البــاغي والعــادي مسؤولية ما يترتب على معصيتهما من آثار، وأما وجوب الأكل عليهما حفظاً للنفس فهــو وجوب عقلي لا يتعارض مع تحمله مسؤولية أكل المحرَّم.

وهذا ينطبق على كل حالة يوقع الإنسان نفسه في الاضطرار إلى ارتكاب أحد فعلــين محرّمين، فيفرض عليه العقل أن يختار فعل الأخفِ حرمةً من دون أن يرفع عنه مسؤولية عمله.

س ٧٥ــ بما انّ أكل هذه المحرَّمات محلَّل للمضطر فما معنى قولــه: ((إِنَّ اللّــهَ غَفُــورٌ رَّحِيمٌ))؟

ج ــ عند مراجعة المصادر اللغوية يتضح انّ مادة ((غفر)) لا تختص بستر الذنب، بل تأتي بمعنى أصلح، قال الفيروزآبادي: ((غفر الأمرَ... أصلحه بما ينبغي أن يُصلحَ بــه)) (٥٨) وعلى هذا فتشير الآية إلى ان الله سبحانه أصلح شأن عباده ورحمهــم مــن خــلال تجويز الأكل حفاظاً على أنفسهم وحياتهم. والله العالم.

أو نقول انّ هذا المقطع يعود إلى مجموع الآية، بمعنى أنّه تعالى لرحمته أحلّ الطيبات وحرّم الخبائث في الدنيا، وإنه غفور يغفر ذنوب عباده ويسترها في الآخرة.

((.. وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) (١٧٧).

س ٧٦ــ ما الفرق بين الباساء وحين البأس؟

ج ــ روي عن ابن عباس أن البأساء إشارة للفقر، والضراء إشارة للمرض وحين البأس إشارة للجهاد والقتال في سبيل الله(٥٩).

((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...)) (١٧٨).

س ٧٧ــ يلزم على ذلك أن يكون القصاص واجباً مثل الصيام الذي قال تعالى عنه: ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)) مع ان من حق ورثة المقتول طلب الفدية بدل القصاص؟

ج ــ المقصود هنا حق القصاص، فيلزم الإذعان بهذا الحق ويوكل استخدام هذا الحق إلى الولي، وهذا بخلاف الصيام فانّه عبادة وليس حقاً فامتثال أمره باتيانه لا بمجرد الاعتراف والإذعان به.

((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (١٧٩).

س ٧٨ــ إذا كان في القصاص حياة فكيف يكون العفو خيراً منه، كما أشارت إليه الآية السابقة؟

ج ــ لم تتضمن الآية حصر الحياة في القصاص حتى يتعارض مع رجحان العفو، وإنما تعرضت للقصاص فقط دون العفو، باعتبار أن ثمرة العفو واضحة، بينما مصلحة القصاص قد تكون خفيّة.

والرأي الأرجح ان المقصود من القصاص هو حق القصاص لا تنفيذه، وأنّ شعور المجتمع بحقّ أولياء المقتول في القصاص يمنع من الجريمة، ومن جانب آخر فانّ تشريع حق القصاص من القاتل دون غيره بهدف الحدّ من حالات القتل الانتقامية لغير القاتل ــ كما كان وما زال سائداً في بعض المجتمعات ــ فأشارت الآية إلى حكمة وثمرة تشريع هذا الحق، من دون ان يعارض ذلك رجحان العفو الذي أشارت إليه الآية السابقة، لأن ثبوت الحق لا ينافي أفضلية العفو والتنازل عنه.

((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ..))(١٨٥).

س ٧٩ــ كيف ينسجم مدلول الآية مع ما هو معروف من نزول القرآن تدريجياً على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) خلال عشرين سنة أو أكثر؟

ج ــ اختلفت النصوص وآراء المفسرين والباحثين في ذلك على عدة أقوال منها:

١ ــ ان القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى البيت المعمور، ثم نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) متفرقاً خلال ثلاثة وعشرين سنة، وقد اختار هذا الرأي جماعة من المحدّثين وغيرهم اعتماداً على عدة نصوص، منها ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألتُه عن قول الله عزَّ وجلّ: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)) وإنما أُنزل القرآن في طول عشرين سنة، بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ((نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة...)) (٦٠).

وروى الطبراني وغيره عن ابن عباس أنه قال: ((أُنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا)) (٦١).

٢ ــ ان المقصود هو ابتداء نزوله في شهر رمضان ــ وفي ليلة القدر بالذات ــ ونسب هذا الرأي لجماعة منهم الشعبي، قال الشيخ المفيد (رحمه الله): وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر أنه نزلت جملة منه ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)...)) (٦٢).

وقد وجّهه الشيخ معرفة بقوله: ((لأن كل حادث خطير إذا كانت له مدة وامتداد زمني، فإنّ بدء شروعه هو الذي يسجَّل تأريخياً، كما إذا سُئل عن تأريخ دولة أو مؤسسة أو تشكيل حزبي... فإن الجواب هو تعيين مبدأ الشروع أو التأسيس لا غير. وأيضاً فإن قوله تعالى: ((أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)) والآيات الأُخر حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكي، وإلاّ لكان اللفظ بصيغة المضارع أو الوصف. فنفس هذا الكلام دليل على أنَّ من القرآن ما نزل متأخراً عن ليلة القدر، اللهم إلاّ بضرب من التأويل غير المستند)) (٦٣).

((أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...))(١٨٧).

س ٨٠ ــ ما معنى كون الزوجين لباساً لبعضهما؟

ج ــ إما باعتبار التصاقهما ببعضهما كالتصاق اللباس بالجسد، وإما باعتبار أن كلاً منهما يستر الآخر ــ من الحرام ــ كما يستر اللباس الجسد، أو لأنّ كلاً منهما لا يستغني

عن الآخر، كما لا يستغني عن لباسه، ولذلك منّ الله سبحانه بتحليل العلاقة الجنسية بينهما في ليالي شهر رمضان.

س ٨١ ــ ما هي الخيانة التي صدرت منهم؟

ج ــ ذكر المفسّرون أنّ بعض المسلمين كانوا يجامعون زوجاتهم سرّاً في ليالي شهر رمضان قبل نزول آية التحليل، فخانوا بذلك عهد الإيمان والطاعة، وبسبب انعكاس سلبية ذلك عليهم فكأنّهم خانوا أنفسهم، أو لكونهم كانوا يخدعون زوجاتهم بالتظاهر بعدم قصد الجماع وبعد ذلك يفاجئونهنّ بذلك.

س ٨٢ ــ أليس الخيط الأبيض هو الفجر الكاذب حيث يكون عموداً كالخيط، دون الفجر الصادق الذي هو مبدأ الصيام فإنه ينتشر في الأُفق ولا يظهر على شكل خيط وعمود؟

ج ــ كلاّ،لأنّ من معاني الخيط اللون، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ)) يعني الصبح(٦٤). وقال ابن فارس: ((والخيط الأبيض: بياض النهار. والخيط الأسود: سواد الليل. قال الله تعالى: **((وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ))**. ويقال: لما يسيل من لعاب الشمس: خيطُ باطلٍ..)) (٦٥). وقال ابن منظور: ((وقيل: الخيط: اللون، واحتج بهذه الآية، قال أبو عبيد: يدل على صحة قوله ما قاله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في تفسير الخيطين: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار، قال أميّة بن أبي الصلت: الخيط الأبيض: ضوء الصبح منفلِق، والخيط الأسود: لون الليل مركوم. ويروى مكتوم...)) (٦٦).وفي الحديث عن عبد الله الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، فقال: بياض النهار من سواد الليل(٦٧).

((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (١٨٩).

س ٨٣ ــ لماذا خصّ الحج بالذكر مع أنّ الصيام موقّت بالهلال أيضاً؟

ج ــ لعلّه باعتبار التمهيد للآيات اللاحقة التي تتحدث عن الحج، فكان المناسب ذكره بالخصوص.

س ٨٤ ــ ما هي الفائدة والداعي لبيان عدم الارتباط بين البرّ وإتيان البيوت من ظهورها؟

ج ــ ذكر المفسّرون أنّ بعض أهل الجاهلية كانوا إذا أحرموا ينقبــون خلــف بيــوتهم ويدخلون منها ويعتبرون ذلك من البّر مستلزمات الإحرام، ويتجنّبون الدخول من الأبواب، وذكروا أيضاً أن المسلمين في أوائل الإسلام كانوا يفعلون ذلك، فأشارت الآية الكريمة إلى رفض ذلك وأنّه ليس من البرّ، ولكن البرّ بالتقوى.

((وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)) (١٩٣).

س ٨٥ ــ بعد أن ذكرت الآية الأولى ان الله لا يحب المعتدين كيف يفرض أن العدوان قــد لا يكون مرفوضاً من الله تعالى مثل العدوان على الظالمين، والبــدء بقتــال الكــافرين إذا أصرّوا على كفرهم، كما تشير إلى ذلك الآية الأخيرة؟

ج ــ روي عن ابن عباس ان الآية الأولى نزلت بعد صلح الحديبية حيث تضــمّن أن يرجع النبي (صلى الله عليه وآله وسـلّم) والمسلمون إلى المدينة آنذاك، ويعودوا في العام المقبل إلى مكة لأداء العمرة، وخشي المسلمون أن لا تفي لهم قريش بذلك وأن يصــدّوهم عــن المسجد الحرام، وكره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) قتالهم في المسجد الحرام، فنزلــت الآية الأولى لتحدّد موقف المسلمين مشيرةً إلى قتال من يقاتلهم فحسب، ومنعهم من قتــال غيرهم التزاماً بالعهد المبرم في الحديبية، لأنّ الغدر بهم ومبادأتهم بالقتال اعتداء لا يحبــه الله تعالى، بينما الآية الثانية نزلت بعد فتح مكة ونقض العهد من جانب المشــركين، فــلا يكون قتال المسلمين لهم غدراً واعتداءً، وإنما من باب تحمّلهم للمســؤولية وأداء واجــب الجهاد، ودعوة الناس إلى الإيمان بالله وبرسالة الإسلام، ولإخلاء أرض الوحي من رجس الشرك وعبادة الأوثان، خاصّة انّ المشركين كانوا قد بدؤوا باخراج المسلمين مــن مكّــة وتعذيبهم في بدايات بعثة الرسول، إذن ليس المقصود من العدوان في الآية الأخيــرة هــو الظلم والاعتداء ــ المبغوض لله ــ وإنما هو السبيل، قال ابن منظور: ((وقولــه تعــالى: **((فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ))** أي فلا سبيل، وكذلك قولــه: ((فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ)) أي فلا سبيل عليّ)) (٦٨).

ويمكن ان يكون إطلاق العدوان على قتال الظالمين باعتباره ردعاً وعقوبــةً لظلمهــم، وهو شائع في اللغة العربية، كما قال تعالى: **((فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَــا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ))**. قال ابن منظور: ((سماه اعتداءً لأنه مجازاةُ اعتداءٍ فسمّي بمثــل اســمه،

لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان احدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمتُه، أي جازيتُه بظلمه لا وجه للظلم أكثر من هذا، والأول:ظلم، والثاني: جـزاءٌ ليس بظلم، وإن وافق اللفظُ اللفظَ مثل قولـه: ((وَجَزَاء سَـيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)) السّيئة الأولى سيئة والثانية مجازاة وإن سمّيت سّيئة، ومثل ذلك في كلام العرب كثير... قال الله تعـالى: **((ومن يفعلْ ذلك يلْقَ أثاماً)) أي جزاءً لإثمه))** (٦٩).

س ٨٦ ــ ما هو الهدف من قولـه ((وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ))؟

ج ــ بعد أن ذكرت الآية السابقة أن الله لا يحب المعتدين، قد يتوهم الإنسان أنّ الأمـر بقتل المشركين أينما ثُقفوا من الإعتداء المبغوض لله، فأشارت هذه الآية إلى دفع هذا التوهم بأن فتنة المشركين بكفرهم أشد من القتل، فلا يكون قتلهم ظلماً واعتداءً لأن الشرك ظلـم عظيم، كما أشارت إليه موعظة لقمان لولده ((يَا بُنَيَّ لا تُشْـرِكْ بِاللَّـهِ إِنَّ الشِّـرْكَ لَظُلْـمٌ عَظِيمٌ)).

((فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ))(١٩٦)

س ٨٧ ــ لماذا قال ((تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)) مع أنّ ذلك واضح، وذكره لا فائدة فيه؟

ج ــ كأن هذا التنصيص للإشارة إلى أن هذا التفصيل في الصيام ــ ثلاثة في السـفر وسبعة بعد الحج ــ هو الفرض الواجب والكامل، لا أنّ لصيام ثلاثة أيام في السفر مختص بحالة الاضطرار أو أنّ الإنسان مخيّر في ذلك وبامكانه صيام عشرة أيام بكيفية أخرى.

((فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا))(٢٠٠)

س ٨٨ ــ لماذا هذا التأكيد على ذكر الله بعد المناسك في مقابل ذكر الآباء؟

ج ــ روى منصور بن حازم عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: ((كـانوا إذا أقـاموا بمنى بعد النحر تفاخروا، فقال الرجل منهم، كان أبي يفعل كذا وكذا، فقال الله جـلّ ثنـاؤه ((فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا))، قـال: والتكبيـر ((الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هـدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام)) (٧٠).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ))(٢٠٨).

س ٨٩ ــ كيف يتوجه هذا الأمر مع أنه لم يعهد من المسلمين مخالفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وإصرارهم على الحرب، وإذا كان السِّلم بمعنى الإسلام ــ كما جاء في بعض التفاسير ــ فكيف يتوجه أمر المؤمنين بالدخول في الإسلام؟

ج ــ ذكرت عدّة معانٍ للسلم:

(منها) أنه بمعنى الاستسلام والانقياد، وذكروا أن سبب نزول الآية انّ قوماً من اليهود أسلموا وأقاموا على تعظيم شرائع موسى (عليه السلام) فعظّموا السبت وكرهوا لحم الإبل وألبانها، وكانوا يقولون: ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام، وواجب في التوراة، فنحن نتركها احتياطاً، فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة أي في شرائع الإسلام كافة.

(ومنها): أنه بمعنى الإسلام بتعاليمه ورحابه، والمقصود في الآية الأمر بالتزام تعاليم الإسلام وأحكامه، فهو نظير قوله تعالى: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ))**(النساء: ١٣٦). ويؤيده قوله فيما بعد: **((فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** (٧١).

((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) (٢١٣).

س ٩٠ ــ ما فائدة قوله: ((وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ)) مع أنّ هذا واضح، إذ من الطبيعي وقوع الاختلاف بين أبناء المجتمع الذي يخاطَب بالإيمان؟

ج ــ ليس هدف الآية تحديد من اختلف فيه ــ كما جاء في السؤال ــ بل الآية تتضمن ذمّ أحد الفريقين، وهو الفريق الذي خالف الحق بسبب البغي والحسد ونحو ذلك مع سبق قيام الحجة ومجيء البينّات لهم.

((يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ))(٢١٥).

س ٩١ ــ كيف يكون الجواب بهذا مع أنّ سؤالهم كان عمّا ينفقونه؟

ج ــ بما أن السؤال عمّا يُنفَق يكشف عن جهل السائل بتحديد مصرف الإنفاق بطريق أولى لذلك جاء الجواب ببيان ما يُنفق بإيجاز ((مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ)) مع ذكر مصرف النفقة الذي هو أهم، وقد جاء في سبب نزول الآية أنّ عمرو بن الجموح كان شيخاً كبيراً ذا مال

كثير فقال لرسول الله: يا رسول الله بماذا أتصدّق وعلى من أتصدّق فنزلت هذه الآية(٧٢)، فيكون إيجاز الجواب عن نفس سؤاله في الآية والتعرض للمصرف لأجل ما ذكرناه من أهمية بيان مصرف النفقة.

((...أُولَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) (٢٢١).

س ٩٢ ــ ما دام الداعي إلى الجنة والمغفرة هو الله فما معنى قوله: ((بِإِذْنِهِ))؟

ج ــ الدعوة هنا في الفعل لا في القول، بمعنى أنّ الارتباط بالمشركين يجرّ الإنسان إلى النار تأثراً بهم بينما إطاعة الله والسير في صراطه يوجه الإنسان نحو الجنة والمغفرة، ولكي لا يتوهم أنه تعالى يجبر المؤمنين على الطاعة، قال (باذنه) يعني أنّ دور الباري سبحانه هو الإذن والتيسير من دون جبر رغم أن كل شيء خاضع لقضائه وتقديره، فيكون نظير قوله تعالى **((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ))** والله سبحانه يوفق السائرين في صراطه، كما أشار إليه قوله تعالى: **((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا))**.

((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))(٢٢٢)

س ٩٣ ــ بعد أن أمر باعتزال النساء ما فائدة قوله ((وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ))؟

ج ــ لتوضيح أنّ المقصود من الاعتزال تجنّب الممارسة الجنسية، لا تجنّب مجالسة المرأة ومؤاكلتها، كما كان يصنعه الجاهليون وغيرهم.

س ٩٤ــ لماذا علّق الأمر باتيانهنّ على التطهير ــ بالماء أوغيره ــ بينما اكتفى قبل ذلك بالطهارة من الحيض ــ اعتماداً على القراءة المشهورة (يطهُرنَ) ــ؟

ج ــ لعلّه باعتبار أن حرمة الجماع تنتهي بمجرد الطهارة من الحيض، ولكنّه مكروه قبل التطهّر بالغُسل، أو بغَسل الموضع وتطهيره ــ كما ذهب إلى ذلك: بعض الفقهاء ــ ولذلك لم يتوجه الأمر بالإتيان والندب إليه إلاّ بعد الطهارة، وهناك آراء فقهية متعدّدة في المسألة.

((فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي))(٢٤٩)

س ٩٥ــ لماذا قال ((وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ))مع أنّ الماء يُشرب ولا يُطعم؟

ج ــ الطعم هنا هو التذوّق لا الأكل، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((الطعم، طعُم كلّ شيء وهو ذَوقُه)) (٧٣).

((فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ))(٢٥١)

س ٩٦ــ كيف يكون دفع الناس لبعضهم مانعاً من فساد الأرض؟

ج ــ لعلّه إشارة إلى طبيعة الإنسان الاجتماعية التي أودعها الله سبحانه فيه وما تستتبعه من اعتماد نظام اجتماعي يمنع الفوضى والانفلات المؤدي إلى الفساد. وقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: ((لابدّ للناس من أمير بر أو فاجر))، وإلى هذا يشير قوله تعالى: **((وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ))**.

وقد يكون إشارة إلى أن الحياة الدنيا ابتنت على عدم التدخل الإلهي المباشر لردع الظالمين والمفسدين، وإنما يحمّل المؤمنين مسؤولية ذلك، فمن خلال جهادهم تسلم الأرض من الفساد وعموم الطغيان فيها، فيكون هذا المقطع من الآية الكريمة توجيهاً للأمر الإلهي بالجهاد رغم ما يستتبعه من عناء المجاهدين وتضحيتهم ــ مثل معاناة طالوت وصحبه التي أشارت إليها الآيات السابقة ــ فتكون الآية نظير قوله تعالى: **((وَلَولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا))**(٧٤).

((وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ))(٢٥٣)

س ٩٧ ــ لماذا كرر قوله ((وَلَوْ شَاء اللّه))؟

ج ــ لعلّه للتأكيد والتنبيه إلى أنّ مشيئة الله تعالى لا تقتصر على مرحلة إنزال البيّنات التي أدّت إلى اختلافهم، وإنما بعد اختلافهم أيضاً لولا مشيئة الله لم يتقاتلوا، فيكون في ذلك تأكيد على فاعلية المشيئة في كل مرحلة وكل فعلٍ إنساني ــ من دون إجبار وقسر طبعاً، كما هو موضح في محلّه ــ.

((اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ))(٢٥٥)

س ٩٨ــ نفي السِّنَة عنه تعالى يقتضي نفي النوم عنه بطريق أولى، لأن مَن ينــزّه عــن السِّنَة ــ النعا سَ ــ فهو منزّه عن النوم بطريق أُولى، فهلا قال (لا يأخذه نوم ولا ســنِة) ليصحّ الترقي؟

ج ــ الجواب عن ذلك بوجهين:

الأول: إن عطف الأعظم أو الأشد على الأخف في النفي يقتضي النفي المطلق لكل مــا هو من ذلك الجنس، بينما عطف الأخف أو الأقل على الأشد والأكبر لا يدل إلاّ على نفــي المذكور في الكلام فحسب. فإذا قلت: ما أعطيت ديناراً ولا درهماً فانه يــدلّ علــى عــدم إعطاء أحدهما فحسب ولا ينفي إعطاء الفلس، بينما إذا قلت: ((مــا أعطيــت درهمــاً ولا ديناراً)) فهو يدل على نفي الإعطاء مطلقاً حتى الفلس، ففي الآية الكريمة بمــا أن الهــدف بيان القيمومة الدائمة لله ونفي كلّ ما ينافيها مثل النوم والسنة و الغفلة وغيرها، فلو قــال: (لا يأخذه نوم ولا سنة) فانه لا يدل على ذلك بل يقتضي نفي السنة والنوم عنــه فحســب، بينما قولــه: ((لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ)) يقتضي النفي المطلق فيشمل نفي الذهول والغفلــة أيضاً، ما أعطيت درهاً ولا ديناراً، كما ذكرناه آنفاً.

الثاني: أنّ الآية استخدمت لفظة (لا تأخذه) وهي تتضــمن معنــى نفــي الاســتيلاء والســيطرة، فكان مقتضــى الترقي أن يكون نفي ســيطرة الأشــد ــ النوم ــ بعد نفــي سيطرة الأخف، كما تقول: لا يصرعني الذئب ولا الأسد، ولو قدّم نفي سيطرة النوم علــى نفي السِّنة لم يصح الترقي. وهذا الوجه أرجح من الأول.

((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (٢٥٦)

س ٩٩ــ كيف ينفي الإكراه في الدين مع أنه تعالى قال: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُــونَ فِتْنَــةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاعَلَى الظَّالِمِينَ))؟

ج ــ الآية الكريمة تشير إلى أن الدين إنما يكون بالاختيار لا بالإكراه، وأن من يــروم إكراه الآخرين على الدخول في دين الإسلام ــ كما جاء في بعض روايات ســبب نــزول الآية ــ فان جهده غير مثمر، لأن الله لم يشأ أن يجبر عباده على الدين وانما مَــنّ علــى عباده فأوضح لهم سبيل الرشاد من غيره، ويبقى عليهم أن ينصاعوا لعقولــهم ويتّبعــوا الحجة والبرهان، ليقطف المؤمنون في الآخرة ثمرة إيمانهم، بينما يواجه أتباع الطــاغوت مصيرهم القاتم ((يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (٧٥).

وليست الآية بصدد تحديد الموقف الشرعي من الكافرين حتّى تعارض الآيات التي أمرت بقتال المشركين.

((اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (٢٥٧).

س ١٠٠ ــ ما هي الظلمات التي كان فيها المؤمنون وما هو النور الذي كان فيه الكافرون حتّى أُخرجوا منهما؟

ج ــ بما أنّ الآية بصدد المقارنة بين المؤمنين والكافرين فكأنّ من أوصل كلّ فريق إلى غاية معينة يكون قد أخرجه من مصير الفريق الآخر، كما تقول: (أخرجت صديقي من الفتنة)، إذا منعته من الدخول فيها. فيكون الإخراج هنا بمعنى المنع من الدخول. فالله سبحانه حيث يهدي المؤمنين إلى النور ويجنّبهم الظلمات فيكون قد أخرجهم منها. وبالعكس موقف الطواغيت من أوليائهم.

ولعلّ المقصود من الآية: أن الله يخرج المؤمنين من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، وانّ الطاغوت يحجب أولياءه ويبعدهم عن نور الهداية التي تتضمنها آيات الله ودلالاته ويجرّهم إلى ظلمات الكفر والباطل.

س ١٠١ ــ لماذا ذكر النور بصيغة المفرد والظلمات بصيغة الجمع؟

ج ــ لأن النور كناية عن الصراط المستقيم وهو واحد، بينما الظلمات كناية عن سبل الباطل وهي متعددة ومتنوعة.

س ١٠٢ ــ لماذا قال: ((أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ)) ولم يقل (اولياؤهم الطواغيت)؟

ج ــ لأن الطاغوت مصدر ــ بصيغة المبالغة ــ يطلق على المفرد والجمع، فلا موجب لصيغة الجمع.

((قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))(٢٥٨).

س ١٠٣ ــ لماذا بُهت الذي كفر مع أنه كان يمكنه أن يعترض على إبراهيم ويطالبه أن يأتي الله بالشمس من المغرب؟

ج ــ كلاّ، فانّ عجزه عن إتيان الشمس من المغرب كافٍ في نفي ربوبيته، وأما دعوى إبراهيم (عليه السلام) فهي أن الله تعالى قدّر ظهور الشمس من المشرق منــذ خلــق الأرض والشمس وقبل وجود نمرود، لمصالح معينّة وضمن نظام كوني دقيق ومحكم، من دون أن يكون لعباده ــ بمن فيهم إبراهيم ــ تأثير في تغيير نظام التكوين، فهو لم يدّع أنّ التقــدير الإلهي خاضع لإرادته الشخصية حتّى يطالبه نمرود بشروق الشمس من المغرب.

((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٢٥٩)

س ١٠٤ ــ كيف يسأل عُزير أو أرميا ــ كما جاء في بعض النصوص ــ ذلك مــع أنــه يقتضي التشكيك بالمعاد؟

ج ــ كلاّ، فانه للاستيضاح واطمئنان النفس برؤية الأمر العجيب نظير سؤال إبــراهيم (عليه السلام) في الآية اللاحقة ــ أو نقول: انّ السؤال عن كيفية حدوث الأمــر العجيــب ــ خاصة مثل الإحياء بعد الموت الذي هو في غاية الغرابة ــ لا يعني التشكيك فــي أصــل حدوثه، بل مجرّد التحيّر والانبهار بكيفيّة تحققه، علماً ان لفظة (أنّى) بمعنى كيف، فيكــون سؤالاً عن كيفية الإحياء لا عن أصله. ولعل قولــه ــ في الآية ــ ((أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))حيث لم يقل (علمت) يشهد لما ذكرناه من أنه كان ــ من أول الأمر ــ عالمــاً بقدرة الله تعالى، لا أنّ علمه حدث فيما بعد.

س ١٠٥ ــ لماذا لم يتمّ تذكيره عقيب سؤاله بمراحل خلق الانسان الحيــوان كمــا قــال تعالى:((وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٧٦)،بدلاً من تأخر ذلك إلى مائة عام من سؤاله أي بعد إماتته وإحيائه؟

ج ــ أشرنا قبل قليل أن سؤال عزير لم ينبع من تشكيكه بقدرة الله تعــالى وبالمعــاد، وإنما تعجبه وعدم استيضاحه لكيفية المعاد، لذلك كان المناسب أن يــتلمّس الإحيــاء بعــد الموت بنفسه، ثم تذكيره بعموم قدرة الله تعالى من خلال دعوته لملاحظة مراحــل خلــق الحيوان.

((مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (٢٦١)

س ١٠٦ ــ ما وجه هذا التحديد بالسبعمائة؟

ج ــ باعتبار أن المنتوج الجيد للحبة يكون بهذا المقدار. وقد أكد أحد المهندسين الزراعيين أن هذا المقدار من المنتوج مألوف في الحنطة والشعير والرز، خاصة الحنطة، كما قال.

((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (٢٦٢)

س ١٠٧ ــ إذا كان المنّ خصلة غير حميدة فكيف يثبتها الله لنفسه في عدة آيات مثل قوله تعالى: ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ)) (٧٧)، وقوله تعالى ((بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٧٨)؟

ج ــ يستعمل المنّ بمعنيين: أحدهما نفس الإنعام، والثاني الفخر وتقريع من تنعم عليه، فالأول محمود وليس مذموماً، بينما الثاني مذموم يُنزّه عنه الباري، فانه تعالى لا يقرّع عباده بنعمه عليهم، ولا تكبر هي في نفسه، نعم قد يطلق المنّ على تذكير العباد بالنعم الوفيرة عليهم ليحفّزهم ذلك على استقامتهم وتحمل مسؤولياتهم في طاعته بما يعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة، وهذا ليس أمراً مذموماً حتى يمتنع في حقه تعالى.

((أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ))(٢٦٦)

س ١٠٨ ــ لماذا خصّ النخيل والأعناب بالذكر مع كون الجنّة المفروضة حاوية لكلّ الثمار؟

ج ــ لعلّه باعتبار اشتمال هذين على النّور والظلال ــ فيضيفان على الجنّة سحراً وروعة ــ من بين أشجار الثمار المنتشرة عندهم.

س ١٠٩ ــ ما هو الهدف من هذا المثل الذي تضمنته الآية الكريمة؟

ج ــ بعد أن تعرضت الآيات السابقة إلى أنحاء الإنفاق وأن منه الإنفاق رياءً ومنه الإنفاق في سبيل الله، تضمن هذا المثل أهمية الإنفاق في سبيل الله الذي يكون ذخراً للإنسان في آخرته حيث تشتد حاجته هناك، بينما من لا ينفق في سبيل الله لا يدّخر ليوم

فاقته ما ينفعه آنذاك فيكون نصيبه الندم و الحسرة مثل الذي يخسر كلّ أمواله الطائلة في حال كبره واشتداد حاجته إليها والإنفاق منها على نفسه وعائلته.

((الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (٢٦٨)

س ١١٠ــ أليس المقابل للفقر هو الغنى، والمغفرة أجنبية عنه فلماذا ذكر الوعد بالمغفرة؟

ج ــ كلاّ، لأن الآية ترتبط بإنفاق الكسب الطيّب في سبيل الله، فالشيطان يصدّ عنه من خلال دعوته لعصيان الأمر الإلهي، ووعده بالفقر والفاقة، بينما الله سبحانه يحثّ المنفق من خلال وعده بالمغفرة له في الآخرة والإفضال عليه في الدنيا.

((يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) (٢٧٣)

س ١١١ــ عدم إلحاحهم بالسؤال يوحي بأنهم يسألون الناس من دون إلحاح، فكيف ينطبق عليهم قوله ((يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ))؟

ج ــ قوله ((لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)) بصدد نفي الحالة الشائعة بين كثير من الفقراء من الإلحاح بالسؤال لرفع الفاقة المادية التي يواجهونها، وجاءت هذه الفقرة ((يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ...)) لتأكيد تعففهم الذي وصفهم به من قبل، كما تقول: فلان مهذّب وليس فحّاشاً ــ إذا كان في مجتمع اعتادوا على الفحش ــ فانه لا يدل على صدور الفحش القليل منه، بل على مجرّد استثنائه منهم تأكيداً لتهذيبه.

((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (٢٧٤)

س ١١٢ ــ لماذا ذكر الإنفاق علانية مع أن الإنفاق سرّاً أفضل؟

ج ــ الآية بصدد مدح الذين يداومون على الإنفاق، فينفقون كلما تحقق موجبه، ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانية، وعن أبي إسحاق أن الآية نزلت في علي(عليه السلام) حيث أنفق في الليل والنهار سرّاً وعلانية(٧٩).

((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ

فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))
(٢٧٥)

س ١١٣ ــ ما هو وجه الشبه بين المرابي وبين المصروع أو المجنون ((الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ))؟

ج ــ إن تراكم أموال المرابي بسبب الربا ينمي في نفسه حبّ المال حتى يتهالك على جمعه ويصبح همّه ومحور تفكيره وسعيه إلى أن تعمى بصيرته وينعدم شعوره الإنساني، ولذلك نجد المرابي لا يتورّع عن مراباة من يضطر إلى اقتراض قليل من المال لعلاج أو سد رمق أو غير ذلك، ولتوجيه مشروعية الربا يقول هؤلاء المرابون: ((إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا)).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ))(٢٨٢)

س ١١٤ ــ ما فائدة قوله ((بِدَيْنٍ)) مع أنّه معلوم من قوله ((إِذَا تَدَايَنْتُمْ))؟

ج ــ قيل: لأن التداين يأتي بمعنى التعامل، فذكر الدين لتوضيح المقصود. ولعلّ فائدته أن يرجع ضمير ((فَاكْتُبُوهُ)) إليه، إذ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الدّين، والأوّل أحسن نظماً(٨٠).

((لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٢٨٤)

س ١١٥ ــ كيف ينسجم ذلك مع ما دلّ من أنّ الله لا يحاسب الإنسان على نيّة المعصية؟

ج ــ ليس كل ما في النفس لا يحاسب عليه الإنسان، إذ هناك كثير من المحرّمات من أفعال الجوانح مثل سوء الظن بالله والانحراف العقائدي، كما أنّ اختلاف النوايا قد يوجب اختلاف حكم الفعل الواحد مثل التقرب لله بالعبادة والرياء بها، فالآية بصدد بيان عموم قدرة الله تعالى وانّه عالم بخفايا النفوس كما يعلم بالأمور الظاهرة، ولعل في هذه الآية إشارة إلى أن مخالفة التكاليف الإلهية التي أشارت إليها الآيات السابقة لا تخفى على الله سبحانه سواء منها المعاصي الظاهرة أم غيرها، مثل كتمان الشهادة، حيث يخفي الشاهد شهادته أمام الناس والقضاء، لكنها لا تخفى على الله تعالى، فيحاسبه على ذلك يوم القيامة.

((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) (٢٨٥)

س ١١٦ ــ كيف يقول ((لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ))مع أن لفظة (بين) لا تضاف إلاّ إلى الاثنين أو أكثر؟

ج ــ هذا من باب التضمين، فان قولــه **((لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ))** يتضمن معنى التمييز، فكأنه قال لا نميّز أحداً من رسله على آخر في الإيمان.

((لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (٢٨٦)

س ١١٧ ــ بما أن الناســي معذور في مخالفة التكليف فما معنى قولـــه ((رَبَّنَــا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا))؟

ج ــ باعتبار أنّ سبب النسيان قد يكون هو الإهمال وعدم الشعور الكــافي بمســؤولية التكليف الإلهي، فيستحق بذلك العقاب أو العتاب ويصح الدعاء بعدم المؤاخذة، ومن دلائــل الإهمال المذكورة كثرة النسيان والغفلة، بعكس من كان عل درجة عاليــة مــن الإهتمــام والشعور بالمسؤولية، إذ قلّما ينسى الإنسان ما يحرص عليه ويشعر بأهمية.

س ١١٨ ــ كيف ينسجم قولــه ((وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)) مع حكم العقل باســتحالة التكليف بما لا يطاق؟

ج ــ ليس المقصود ما يستحيل تحمّله لأن صدر الآية شاهد على عدم التكليف به، بــل المقصود ما فيه مشقّة كبيرة حيث قد يضعف أمامها الإنسان، واستعمال اللفظ بهذا المعنــى شائع في النصوص وفي الاستعمالات العرفية المتداولة، كما تقول لا أطيق تحمّل الألم، ولا أُطيق الحرّ أو البرد. وكأن الآية تشير إلى طلبهم من الله سبحانه أن لا يكلّفهم بما لا ينسجم مع ظروفهم ووضعهم كي لا ينهاروا أمام مشقته فيرتكبوا المعصية لضعفهم، وكم شــاهدنا أُناساً مؤمنين قضوا فترةً طويلة من حياتهم في طاعة الله، لكنّهم انهــاروا فــي مواجهــة ظروف معيّنة لم يحصّنوا أنفسهم ولم يتهيأوا لمواجهتها من قبل، ولذلك ينبغي للمــؤمن أن يتهيأ لمواجهة الفتن المتنوعة، لأنه لا يعرف نصيبه منها، ولا يغتر بصموده ونجاحه فــي تحمّل محنة معيّنة، ويسأل الله ــ بدلاً عن ذلك ــ أن لا يُحمّله ما يضعف عن حملــه، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين أبداً، مع خلوص النيّة وصدق التوكّل.

ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً **((رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))** (٨١).

(١) تصنيف نهج البلاغة: ٢١٢.

(٢) النساء:١٥٥.

(٣) الأنفال: ١٧.

(٤) اصول الكافي ٢ / ٢٧٣ باب الذنوب.

(٥) لسان العرب ١ / ٦٨٥ مادة قلب.

(٦) لسان العرب ١ / ٦٨٧ مادة قلب.

(٧) الأعراف: ١٩٥.

(٨) يس: ٣٠.

(٩) مجمع البيان: ١ / ١٦١.

(١٠) الأعراف: ١٧٢.

(١١) ص: ٢٦.

(١٢) تفسير العياشي: ١ / ٤٧.

(١٣) تفسير العياشي: ١ / ٥١.

(١٤) يراجع تفسير الميزان: ١ / ١١٦ ــ ١٢٠.

(١٥) الكهف: ٥٠.

(١٦) الأعراف: ١٢.

(١٧) لسان العرب: ٥/ ١٤٦ مادة كف.

(١٨) يراجع مجمع البيان: ١ / ١٨٩.

(١٩) طه: ١١٨ ــ ١١٩.

(٢٠) طه: ١٢١.

(٢١) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٢٢) سورة طه: ١١٧.

(٢٣) سورة طه: ٢٢.

(٢٤) سورة طه: ١٢٢.

(٢٥) سورة آل عمران: ٣٣.

(٢٦) سورة التوبة: ١١٧.

(٢٧) سورة المائدة: ١٢.

(٢٨) يراجع لسان العرب: ١٣ / ٢٧٢.

(٢٩) تفسير العياشي: ١ / ٦٢.

(٣٠) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣١) سورة طه: ١٠٩.

(٣٢) سورة سبأ: ٢٣.

(٣٣) سورة النجم: ٢٦.

(٣٤) سورة يونس: ٣.

(٣٥) سورة الأنبياء: ٢٨.

(٣٦) التفسير الكبير: ٢ / ٥٥ ــ ٥٦.
(٣٧) سورة يونس: ١٨.
(٣٨) سورة الأنعام: ٩٤.
(٣٩) سورة الأنعام: ١٥.
(٤٠) سورة الروم: ١٣.
(٤١) سورة الاعراف: ١٤٢.
(٤٢) سورة النساء: ١٦٢.
(٤٣) تفسير العياشي ١: ٤٦ حديث: ٥٦.
(٤٤) سورة الاسراء: ٤٤.
(٤٥) وسائل الشيعة ١٨: ٩٤. أبواب صفات القاضي الباب:١٠ الحديث:٢٠.
(٤٦) تفسير مجمع البيان: ٦٥/٩.
(٤٧) لسان العرب: ابن منظور: ٤١٥/١٥.
(٤٨) لسان العرب: ٩: ٢٧١.
(٤٩) لسان العرب: ١٦٣/٨.
(٥٠) يراجع لسان العرب: ٤١٧/١٢.
(٥١) سورة النساء: ٢.
(٥٢) سورة الأنفال:٤٢..
(٥٣) الكافي: ٢٤٥/٤.
(٥٤) تفسير العياشي: ١/ ٨٩.
(٥٥) أحكام القرآن لأبي بكر بن عربي: ١/ ٤٦ ــ ٤٧.
(٥٦) مجمع البيان: ١٤٧/١.
(٥٧) يراجع منهاج الصالحين لسماحة الوالد السيد محمد سعيد الحكيم:٢٣٠/٣، وبداية المجتهد: ٤٩٨/١.
(٥٨) القاموس المحيط:١٠٦/٢.
(٥٩) التفسير الكبير: ٤٥/٣.
(٦٠) أصول الكافي:٦٢٨/٢.
(٦١) المعجم الكبير / الطبراني: ١٢/ ٢٦.
(٦٢) تصحيح اعتقاد الإمامية: ١٠٣.
(٦٣) تلخيص التمهيد: ٦٨/١.
(٦٤) العين: ٢٥١، مادة خيط.
(٦٥) معجم مقاييس اللغة: ٢٣٢/٢.
(٦٦) لسان العرب: ٢٩٩/٧.
(٦٧) تفسير العياشي: ١٠٣/١.
(٦٨) لسان العرب: ٣٣/١٥.
(٦٩) المصدر السابق: ٣٤/١٥.
(٧٠) الكافي: ٥١٧/٤. باب التكبير أمام التشريق.
(٧١) سورة البقرة:٢٠٩.
(٧٢) مجمع البيان: ٥٤٧/٢.
(٧٣) ترتيب كتاب العين: ٤٤٨.

(٧٤) سورة الحج: ٤٠.

(٧٥) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٧٦) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٧٧) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٧٨) سورة الحجرات: ١٧.

(٧٩) تفسير العياشي: ١ / ١٧١.

(٨٠) يراجع تفسير اسئلة القرآن الكريم وأجوبتها: ٢٣.

(٨١) سورة البقرة: ٢٨٦.

سورة آل عمران

((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ))(٣ ــ ٤)

س ١١٩ ــ ما هو الفرقان؟ وإذا كان المقصود منه القرآن فلماذا ذكره مرتين؟

ج ــ قد يكون المقصود منه كلّ ما يفرّق بين الحق والباطل، فينطبق على غير القرآن أيضاً، كما في قوله تعالى ((وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (١).

ويمكن أن يكون إشارة إلى القرآن أو إلى الآيات المحكمة منه، وإنما ذكره لكي لا يتوهّم أنّ دور القرآن مجرّد تصديق ما قبله من الكتب، فيكون ذلك ذريعةً لأهل الكتاب لعدم الإيمان به والاكتفاء بما عندهم، فأكد هنا أنه فرقان بين الحق والباطل. وفي الحديث عن عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: ((هو كلّ أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدّق فيه من كتاب قبله من الأنبياء)) (٢).

((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) (٧)

س ١٢٠ ــ ما معنى المحكم والمتشابه من الآيات؟

ج ــ الآيات المتشابهة هي التي تنافي بظاهرها بعض المفاهيم أو الأحكام الإسلامية التي دلت عليها الأدلة المعتبرة ــ سواء كان القرآن الكريم نفسه أم السنّة أم حكم العقل اليقيني ــ فتوجب وقوع الإنسان في الالتباس وسوء الفهم مما يفتح المجال للمنحرفين كي يبثّوا سمومهم ويثيروا الشبهات حول القرآن الكريم أو الإسلام وبعض تعاليمه، وفي مقابلها الآيات المحكمة التي لا إشكال في التمسك بظواهرها.

وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يتعاملوا مع الآيات المتشابهة بـــالوعي والمسؤولية، فيجتنبون تأويلات المنحرفين، و يؤمنون بها إجمالاً مـــوكلين تحديـــد معانيها التفصيلية لله سبحانه، ولو من خلال من خصّهم بتعليمها.

ورغم وجود الآيات المتشابهة فانّ القرآن يبقى كتاب هداية للبشر، لأن الآيات المحكمة والنصوص التفسيرية المعتبرة وافيـــة بـــذلك، ولـــذلك وصـــفت المحكمات بأنها أُم الكتاب، فانّ الأُم هو الأصل الذي يكون منه الشيء(٣).

((رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ))
(٩)

س ١٢١ ــ كيف ينفي الريب عن يوم القيامة وقد ارتاب فيه بل أنكره كثير من البشر؟

ج ــ لعلّه باعتبار أنه ليس محلاّ للريب، فلا ينبغي الريب فيه بعـــد أن قامت الحجج على أنّه ميعاد الله. أو لكون هذا من ضمن حديث المؤمنين، ولا ريب عندهم في يوم القيامة.

((قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ)) (١٣)

س ١٢٢ ــ ما هي الآية في ذلك؟ ومن هو المقصود في هذا الخطاب؟

ج ــ ذكر بعض المفسرين أن المخاطبين هم اليهود الذين نقضوا العهد مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) استهواناً منهم بالمســـلمين وبقـــوتهم، فـــذكّرهم الله تعالى بانتصار المسلمين ــ رغم قلتهم ــ على المشركين في بدر رغم أن هـــؤلاء كانوا أكثر منهم عُدّة وعدداً. وفي ذلك تحذير لهؤلاء اليهود ناقضي العهد.

((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (١٨)

س ١٢٣ ــ لماذا كرّر ((لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)) في الآية؟

ج ــ الثانية بيان للحقيقة وتصديق شهادة الله تعالى المتقدمة، مثل قولــه تعالى:((قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِــينَ)) (٤)، فان قولــه **((وَالْحَقَّ أَقُولُ))** التزامه بقبول الحق تأكيداً للقول المتقدم.

((فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى...))(٣٦).

س ١٢٤ ــ ما الفائدة من ذكر ((وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى)) مع وضوح ذلك؟

ج ــ ليس الغرض بيان الاختلاف بين الذّكر والأُنثى، وانمّا الإشارة إلى أن نذرها بجعل جنينها خادماً للمسجد كان اعتماداً على توقعها أن يكون ذكراً، فلمّا تبيّن أنّه أنثى لم يمكن تطبيق النذر ــ بناءً على ما روي من اختصاص مثل هــذا النذر بالذكور في شريعتهم ــ.

((هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)) (٣٨).

س ١٢٥ ــ ما هو وجه الارتباط بين ما شاهده زكريّا من فضل الله على مريم وبــين رغبته بالذريّة؟

ج ــ إمّا لكون الرعاية الإلهية المتميّزة لمريم قد أكّدت رغبته في الولد الصالح، أو أن ما شاهده من النعمة الإعجازية بإنزال المائدة على مريم، قد حفّــزه على الدعاء بالولد الصالح ــ رغم يأسه من قبل، بسبب شيخوخته هو وزوجته ــ عسى أن يستجيب الله دعاءه كما أنزل المائدة على مريم.

((قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)) (٤٠).

س ١٢٦ ــ بعد أن دعا الله بالولد وجاءته البشارة كيف يستبعد ذلك؟

ج ــ قد يكون ذلك من باب مجرّد التعجب عندما فوجئ بالبشارة، وقد يكون استفساراً عن كيفية ذلك، وأنّه هل يكون من زوجته هذه أو غيرها، أو هل يكون ذلك في حالة الشيخوخة أو يرجعهما الله شابين.

((قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)) (٤١).

س ١٢٧ ــ كيف يكون الصوم بترك الكلام آية وعلامة؟

ج ــ ليس المقصود أنه كان منهيّاً عن الكلام وأنّه ترك الكلام باختياره، وإلاّ لكان المناسب أن تكون (لا) ناهية، والفعل بعدها مجزوماً لا منصوباً، بل المقصود أنّه عاجز تكويناً عن الكلام المرتبط بالشؤون الدنيويّة خلال هذه الأيام، فكان عجزه عن الكلام خلال هذه الفترة علامة وآية.

س ١٢٨ ــ إذا كان عاجزاً عن الكلام فيكف يؤمَر بالذِّكر والتسبيح؟

ج ــ يمكن أن يكون الأمر بالذِّكر والتسبيح في غير هذه الأيام الثلاثة، أو انّه كان عاجزاً عن الكلام في شؤونه الدنيوية وقادراً على الذكر والتسبيح. وفي الحديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إنّ زكريا لمّا دعا ربّه أن يهب له ذكراً فنادته الملائكة بما نادته به أحبّ أن يعلم أن ذلك الصوت من الله، أوحى إليه أنّ آية ذلك أن يُمسك لسانُه عن الكلام ثلاثة أيام، قال: فلما أمسك لسانه ولم يتكلم علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله. وذلك قول الله: ((رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا)) (٥).

((وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ)) (٤٢).

س ١٢٩ ــ لماذا تكرر ذكر الاصطفاء في الآية؟

ج ــ حيث ان الأول غير متعدٍّ والثاني متعدٍّ بحرف الجر ولعلّ الاصطفاء الأول إشارة إلى قبولها لخدمة بيت الله رغم كونها أنثى كما قال تعالى:

((فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ)) بينما الاصطفاء الثاني تمييزها على النساء بولادة عيسى (عليه السلام) من دون بعل.

س ١٣٠ ــ إلا يدل اصطفاء مريم على نساء العالمين على تفضيلها على فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي ورد في حقها أنها سيدة نساء العالمين؟

ج ــ الاصطفاء لا يدل على التفضيل من جميع الجهات، لأن الاصطفاء هو الاختيار (٦) والتمييز، فاختيارها وتمييزها بولادة عيسى (عليه السلام) من دون بعل لا يدل على أنها أفضل مقاماً من نساء العالمين، وقد استعمل الاصطفاء في القرآن بمعنى الاختيار لا التفضيل كما في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ)) (٧) وقوله تعالى: ((قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي)) فالمنظور فيه تمييزه على الناس واختياره من بينهم بالرسالة والكلام من دون نظر إلى بيان فضله عليهم.

ولو فُرض أن المقصود من اصطفاء مريم وتفضيلها، فيراد منه تفضيلها على نساء عالمها، فهو نظير ما جاء في سورة الأنعام ــ بعد ذكر إبراهيم (عليه السلام) وذريته: **((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ))** (٨) فانه ليس المقصود تفضل كل واحد من هؤلاء على كل فرد من العالمين من أول الخلق إلى نهايته بمن فيهم غيرهم من الأنبياء كالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) بل مجرد تفضيل كل نبي منهم على العالَمين في زمانه فاختاره الله للنبوة من بينهم. والله العالم. فكذلك مريم إنما فضلت على نساء عالمها.

وقد أشارت العديد من النصوص إلى تفضيل الزهراء (عليها السلام) على مريم(٩).

ومما يدل على تفضيل الزهراء (عليها السلام) على مريم وغيرها من النساء، ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ((فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة)) (١٠) حيث تجتمع كل النساء الصالحات في الجنة وسيّدتهن فاطمة(عليها السلام).

ومن خلال ما ذكرنا يتصح الموقف من الآيات التي تتحدث عن تفضيل بني اسرائيل على العالمين، بأن المقصود تفضيلهم على الأمم في زمانهم، لا على كل البشرية والملائكة.

((إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...)) (٥٥).

س ١٣١ــ كيف تنسجم هذه الآية مع ما هو معروف بين المسلمين من أنّ عيسى (عليه السلام) حيّ ولم يمت بعد؟

ج ــ أشار القرآن الكريم وأكدت النصوص الكثيرة الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن عيسى (عليه السلام) رفع إلى السماء ولم يمت، مما يشهد أن الوفاة هنا ليست بمعنى الموت، بل قد تكون بمعنى الاستيفاء ويكون قوله: ((رَافِعُكَ)) بياناً لكيفية الاستيفاء، أو تكون هذه الوفاة نظير وفاة النائم كما في قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ))(١١) وإلاّ فلو كان المسلمون قد فهموا من الآية الموت لا سألوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن التوفيق بين الأمرين، وتناقله الرواة، لأهميته ومعايشة المسلمين للنصارى.

ومما يشهد بأنّ الوفاة هنا ليست بمعنى الموت ما أكدته الآية الكريمة من رفع عيسى (عليه السلام) إلى السماء ((وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)) فانّ رفع جسد الميت ليس رفعاً لشخصه، لأن الإنسان هو الروح، كما يشير إليه قوله تعالى: ((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)).

وأجاب البعض أن الوفاة هي الموت الذي سوف يصيب عيسى (عليه السلام) بعد نزوله إلى الأرض مع الإمام المهدي (عليه السلام)، ولا يضرّ تقديمه على الرفع في قوله: ((إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)) لأن الواو لا تدلّ على الترتيب كما نصّ عليه علماء العربية.

لكن هذا الجواب لا ينسجم مع قوله تعالى ــ حكايةً عن الحوار بين الله تعالى وعيسى يوم القيامة: ((وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ)) حيث يبدو أن الوفاة المذكورة مقترنة برفعه إلى السماء لا موته بعد ذلك.

((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)) (٥٩).

س ١٣٢ ــ كيف شبّه عيسى بآدم المخلوق من التراب مع أنّ عيسى لم يخلق كذلك؟

ج ــ وجه التشبيه في عدم الخلق العادي، وإن اختلف كل منهما عن الآخر في خصوصية معيّنة.

س ١٣٣ ــ لماذا قال: ((ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)) مع أن ذلك قد مضى فيفترض أن يقول: (كن فكان)؟

ج ــ إنه حكاية عن وقت خلقه، أي عندما قال له ((كن)) يكون في ذلك الحال.

((هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (٦٦-٦٧)

س ١٣٤ ــ ما الذي حاجوا به وكان لهم به علم؟

ج ــ جاء في سبب النزول أنّ هناك محاججة جرت بين اليهود والنصارى في بعض مسائل العقيدة ومنها دين إبراهيم (عليه السلام) وعندما أصر كل منهم على موعظة احتكموا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بخصوص إبراهيم (عليه السلام)، فأشارت الآية الكريمة إلى أنه يفترض أن يقتصر احتجاجكم على ما تعرفونه ولا يتعداه إلى الرجم بالغيب فيما لا تعرفون مثل طبيعة دين إبراهيم (عليه السلام).

س ١٣٥ ــ كيف يكون إبراهيم مسلماً مع أنه عاش قبل رسالة الإسلام؟

ج ــ الإسلام يراد منه التسليم لله سبحانه، لأن إبراهيم كان مستقيماً ومسلّماً لله سبحانه، وجاءت تسمية الدين الإسلامي بذلك على هذا الأساس، باعتبار أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) والمسلمين مستسلمون لله تعالى ولشريعته وتعاليمها، في مقابل المشركين، لذلك قال سبحانه ــ بعد هذه الآية ــ **((إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا))**.

((وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))(٧٢).

س ١٣٦ــ كيف يؤثر ذلك على موقف المسلمين وإيمانهم بحيث طمع أهل الكتاب في رجوعهم عن الإسلام؟

ج ــ لأنهم بإيمانهم أول النهار يوهمون المسلمين بأنّهم جادّون في البحث عن الحقيقة ومستعدون للخضوع والإيمان بدين الحق، فلّما يكفرون فيما بعد ــ بحجة انكشاف خطئهم في ذلك ــ يوجب ذلك تشكيك المسلمين بعقيدتهم ومراجعتهم لها، خصوصاً أنّ هناك قناعة عامّة بأن أهل الكتاب يعرفون أوصاف خاتم الأنبياء.

((... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) (٧٥).

س ١٣٧ــ ما هو الكذب الذي كذبوا به على الله؟

ج ــ نسبتهم لله تعالى أنه يجوّز الخيانة مع غير المنتسبين لدينهم كذبٌ على الله، لأنّ الله يأمر بالوفاء بالعهد ونبذ الخيانة مع كل شخص كما قال ــ رداً عليهم ــ ((بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)).

((وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))(٨١-٨٢).

س ١٣٨ــ ما معنى أن يؤخذ العهد من الأنبياء بالإيمان بمن بعدهم والتصديق به ونصرته خصوصاً أنه لم يعهد اجتماع الأنبياء في عصر واحد ومكان واحد؟

ج ــ يبدو ــ عند التمعن في الآية ــ أن الخطاب والعهد للأمم، وإنما أضيف الميثاق إلى النبيّين باعتبارهم هم الذين يباشرون أخْذَ الميثاق من أُممهم ولذلك قال: ((... لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ...)) حيث الحديث كله مع الأمم، والمعنى أنّ هناك ميثاقاً لله ــ بواسطة أنبيائه ــ على الأمم أن يصدّقوا بالرسول الذي تنطبق دعوته مع تعاليم نبيّهم وأن ينصروه وأن كل أمة قد

أقرّت بهذا الميثاق الذي أخذه عليهم نبيهم، فمن التزم به كان من المهتدين ومن تولّى عنه فهو من الفاسقين.

((أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))(٨٣)

س ١٣٩ــ كيف ينطبق ذلك مع ما هو معروف من أنّ أكثر الأنس والجن غير مؤمنين؟

ج ــ لعلّ المقصود من الإسلام ما يعمّ التسليم والانقياد التكويني، فالمؤمن منقاد لله تعالى وخاضع له طوعاً أيضاً، والكافر خاضع له تكويناً فقط.

((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ))(٨٥).

س ١٤٠ــ كيف ينسجم ذلك مع قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ... وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة:٦٢)؟

ج ــ نص الآية الأولى:((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) وهي تشير إلى أن الأديان السماوية في صراط واحد، وانّ المؤمنين بها في عصور شرعيتها قبل نسخها آمنون ومرضيون لدى الله سبحانه، ولا تشمل الآية المعاندين منهم المصرّين على التزام الدين المنسوخ، ولذلك حفل القرآن الكريم بذمّ اليهود بسبب اصرارهم على دينهم وعدم ايمانهم برسالة الاسلام، مما أوجب حقد اليهود ومؤامراتهم المتتالية على النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) والمسلمين، حتى بات ذلك من الحقائق التاريخية، ولو كانوا قد فهموا من الآية ــ المدنية ــ مدحهم وشرعية موقفهم لاحتجوا بها على النبي والمسلمين مع ان ذلك لم يحدث. ولذلك آمن العديد من اليهود والنصارى بالإسلام، كما دعى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) نصارى نجران للإسلام والمباهلة.

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ))(٩٠).

س ١٤١ــ كيف ينسجم مدلول الآية مع ما ورد من النصوص الكثيرة بقبول التوبة الصادقة من كل تائب؟

ج ــ عدم قبول توبتهم إما باعتبار أن توبتهم صورية وليست حقيقية، ولذلك وصفهم بالضالّين، أو باعتبارها ناقصة، حيث لم يلتزموا بلوازمها مثل إبراز توبتهم أمام من أغروهم ليكفوا عن متابعتهم في ضلالهم. فانّ بعض الناس يتظاهرون أمام اتباعهم بما لا يعتقدون به حفاظاً على مكانتهم الاجتماعية أو عناداً وتكبراً عن الاعتراف بالخطأ. نعوذ بالله تعالى من ذلك.

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ)) (٩١).

س ١٤٢ــ ما هي فائدة الواو في قوله: ((وَلَوِ افْتَدَى بِهِ)) مع أنّ الكلام يتمّ من دونها؟

ج ــ لعلّ ذلك باعتبار ان ما يقدّمه الكافر لا ينحصر فرضه بالفداء، بل قد يكون من الخيرات والصدقات التي يبذلها في الحياة الدنيا، فأشارت الآية الكريمة إلى أن ما يبذله ــ بأي وجه كان ــ لا يُقبل حتى إذا كان على سبيل الفداء.

((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)) (٩٦).

س ١٤٣ــ كيف وصف البيت الحرام بأنه أوّل بيت مع أنّ الذي بناه هو إبراهيم (عليه السلام) وقد سبقه كثير من الأنبياء؟

ج ــ ليس هناك دليل على جعل أماكن للعبادة ــ بيوت الله ــ في الأديان السابقة، على أنه توجد بعض النصوص الدالة على اقتران وضع بيت الله الحرام للعبادة بدحو الأرض، فيكون أول بيت في الأرض وضع للعبادة.

س ١٤٤ ــ لماذا قال بكة، مع أنّ اسمها المعروف (مكة)؟

ج ــ لفظ "بكة" مأخوذ من البك وهو الزحام، وصار من أسماء (مكة) باعتبار أن الناس يزدحمون فيها.

ويبدو من بعض النصوص أن "بكة" في الأصل اسم لموضع البيت ــ حيث يشتد الزحام ــ ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: ((إن بكة موضع البيت، وانّ مكة الحرم، وذلك قوله: ((وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)))) (١٢) وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ((مكة جملة القرية، وبكة موضع الحجر الذي تبك الناس بعضهم بعضاً)) (١٣).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)) (١٠٠).

س ١٤٥ ــ لماذا خصّ التحذير بإطاعة بعض أهل الكتاب، مع أنهم جميعاً يشتركون في أن إطاعتهم توجب الارتداد عن الإسلام؟

ج ــ ليس المقصود إطاعتهم ومتابعتهم في عقيدتهم، لأنّ المسلم لا يتابع الكافر في عقيدته، وهذا واضح يعرفه كل مسلم، وإنّما الآية تشير إلى الفتن والإثارات التي كان يثيرها بعض اليهود في أوساط المسلمين بهدف تمزيق الصف الإسلامي، حيث روي انّ شاس بن قيس اليهودي لم يُرق له التآلف بين الأوس والخزرج تحت راية الإسلام، فحاول تذكيرهم بخلافاتهم وحروبهم في الجاهلية وإثارة بعضهم على بعض، وقرأ لهم بعضاً مما قيل من الشعر في تلك الحروب، حتى تنازع الحاضرون في المجلس من الطرفين، وتداعوا للسلاح وكادت تقع الفتنة فيما بينهم، فنزلت الآية لتحذيرهم من مثل هذا اليهودي، لأنّ متابعته تُعيدهم إلى عصبية الجاهلية وإلى الكفر.

((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)) (١٠٦).

س ١٤٦ــ كيف يقول:((أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم)) مــع أن أكثــر الكــافرين ــ المســودّة وجوههم ــ لم يسبق إيمانهم؟

ج ــ صحيح انّ سواد الوجه يعم كل الكافرين ولا يختص بالمرتّــدين، لكن الآيات السابقة تتحدث عن مجتمع المسلمين وتحذّرهم من آفــات الاخــتلاف والتفرق والارتداد، فمن الطبيعي ــ حين تحذّرهم من عاقبة الارتداد ــ أن تذكرّهم بالمشهد الذي يواجه المرتدّين الذين سبق انتسابهم للمجتمع الإيماني، أمــا طبيعــة الحوار والمصير الذي يواجه باقي الكافرين فليست الآية بصدد الحديث عنه.

((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ...)) (١١٠).

س ١٤٧ــ لماذا قال: ((كُنتُمْ))ولم يقل ((انتم خير أمة...)) مــع أن الخطــاب للصــدر الأول من المسلمين؟

ج ــ باعتبار أن مواقف وسلوك بعضهم اختلفت من فتــرة لأخــرى، فبعض من كان في مكة أو في بداية الهجرة معروفاً بصــموده وإيمانــه وجهــاده تزلزل فيما بعد وتأثر بإغراءات الحياة الدنيا، ولذلك وردت آيات العتاب والتحذير، وكذلك النصوص الكثيرة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)في التعريض والطعن ببعضهم.

((لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ))(١١١).

س ١٤٨ ــ ما معنى قولــه: ((لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى))مع أن الأذى ضرر أيضاً؟

ج ــ المقصود أن خططهم ومكائدهم تفشل ولا تضرّكم، نعم توجب الغمّ والإيذاء النفسي لكم، والأذى يحصل من الكلام المؤذي من دون أن يترتب عليــه ضرر، كما قال الله تعالى: ((وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا)) (١٤) والآية تشير إلى اليهود وما كانوا يسبّبونه من المتاعب والغم للمسلمين من دون أن ينجحوا في الإيقاع بهم.

س ١٤٩ــ كيف يــخبر الله سبحانه عن هزيمة اليهود في الحرب مع المسلمين مــع أنهم انتصروا عليهم واحتلوا فلسطين وغيرها من أراضيهم في هذا العصر؟

ج ــ الآية الكريمة تحدثت عــن المســلمين المــؤمنين حقــاً بــربّهم والملتزمين بتعاليم دينهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أما الذين تخلّــوا عن مبادئهم وانهزموا في داخلهم قبل أن يهزمهم عدوّهم فهم بعيدون عن خطــاب الآية.

((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ...)) (١١٢).

س ١٥٠ــ كيف استثنى حالتهم في الإسلام من الذلة، مع أنهم أذلاء يعطون الجزيــة عن يدٍ وهم صاغرون؟

ج ــ لعلّ المقصود من حبل الله وحبل الناس العهد الذي جــرى بــين النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وطوائف اليهود عند هجرة الرسول والمهاجرين إلــى يثرب، حيث ابتنى على رعايتهم واحترامهم، إلاّ أنهم لم يحترموا ذلك العهد كما هو معروف.

ولو فرضنا الآية ناظرةً إلى عقد الذمّة لليهود في الإسلام فــانّ ســلوك المسلمين معهم جرى على مداراتهم ــ على غرار باقي أهل الكتــاب ــ بخــلاف الأُمم الأخرى التي بالغت في قتلهم وإذلالهم، فكان اليهود الذين عاشوا فــي كنــف المسلمين أعزاء بالنسبة إلى حالة قومهم مع الأمم الأخرى.

((لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)) (١١٣).

س ١٥١ــ أليست هذه الآية وما بعدها تدلّ على مدح هذا الفريق مــن أهــل الكتــاب وأنهم من الصالحين رغم عدم إيمانهم برسالة الإسلام؟

ج ــ كلاّ، لأنّ هذه الأمة القائمة هي الثلــة ــ مــن اليهــود ــ التــي استمسكت بالحق على طول الخط وآمنت بالإسلام ولم يمنعها تغيّر الدين الحق من المحافظة على الاستقامة والخضوع للدين الجديد، ولذلك وصــفهم بــأنهم ((أُمَّــةٌ

قَآئِمَةٌ))، وهم المؤمنون الذين أشار إليهم ــ قبل هذه الآية ــ قولــه تعالى: ((مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)).

وكأنّ الهدف من مدح هذه الفئة المؤمنة مــن اليهــود أن لا يُتــوهّم أنّ الآيات السابقة التي ذمّت اليهود تعنيهم كشعب لا ينفــك عــن تلــك الممارســات والخصال الذميمة وكذلك المصير القاتم الذي يواجههم، بينما المقصــود منهــا ذمّ المعاندين منهم ــ وهم الأغلب ــ دون الثابتين على الحق، وهم المؤمنــون مــنهم بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)، كما قال تعالى: ((وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ...)) (١٥) فسماهم أهل الكتاب بملاحظــة حــالتهم السابقة بالرغم من كونهم الآن مسلمين مؤمنين بما أُنزل من الآيــات إلــى بــاقي إخوانهم المسلمين.

((مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) (١١٧).

س ١٥٢ــ كيف شبّه نفقة الكفار بالريح، مع أنّها إنما تشبه الحــرث الــذي أهلكتــه الريح؟

ج ــ هذا من التشبيه المركب ــ كما علماء البلاغة ــ والمقصود منــه تشبيه حالة بحالة لا مفردة بمفردة، حيث شبهت الآية الكريمة حالة نفقة الكــافرين وتلفها وعدم جدواها بما يحدث حين تهب العواصف الباردة والثلجيــة مــن تلــف حرث الظالمين وضياع جهدهم، وهو من التشبيه البليغ، وليس المقصود هنا تشبيه النفقة بالريح.

((إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ)) (١٢٤، ١٢٥).

س ١٥٣ــ اختلفت أعداد الملائكة التي ذكرتها الآيات الكريمة ففي سورة الأنفال: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ)) وهنا ذكر ثلاثة آلاف، وخمسة آلاف، فيكف يرتفع التناقض؟

ج ــ الذي يبدو من خلال مراجعة الآيات الكريمة أنّ الله سبحانه أمدّ المسلمين في بدر بألف من الملائكة ــ كما ورد في سورة الأنفال ــ بينما خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) للمسلمين عن إمدادهم بثلاثة آلاف كان في غزوة أُحُد، وأما الوعد الإلهي بإمدادهم بخمسة آلاف فهو عقيب غزوة أُحُد بعد انسحاب المشركين من المعركة ــ واحتمال معاودتهم القتال ــ حيث وعد الله المسلمين ــ إن صبروا واتقوا ــ أن يمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة، إن عاد المشركون للقتال من فورهم.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (١٣٠).

س ١٥٤ــ لماذا خص النهي بالزيادة الربوية المضاعَفة، بينما الحرمة تشمل الزيادة التي هي أقل من ذلك أيضاً؟

ج ــ إما من باب تأكيد النهي عن هذا النحو من الربا، أو للإشارة إلى الطبيعة التصاعدية الفاحشة للزيادة الربوية.

((وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)) (١٣١).

س ١٥٥ــ لماذا خصّ الكافرين بالذكر مع أنّ غيرهم يدخل النار أيضاً؟

ج ــ لعلّ ذلك باعتبار أنهم الفئة الغالبة والبارزة من بين أهل النار، لتلبسّهم بأفحش الذنوب وهو الكفر.

((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ)) (١٣٥).

س ١٥٦ ــ ما الفائدة في قوله: ((فَعَلُواْ فَاحِشَةً)) مع أنه داخل في ظلم النفس؟

ج ــ ذكر بعض المفسّرين في سبب نزول الآية أنّ أحد الصحابة تعدّى على حرمة إحدى المسلمات فقالت له: اتق الله، فتركها وندم وأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وذكر ذلك، وعلى هذا فيكون النص على الفاحشة للإشارة إلى الحادثة، ثم جاء التعميم لكل ذنب بقوله: ((أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ)).

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)) (١٤٤).

س ١٥٧ ــ هل انقلب المسلمون على أعقابهم حتى يستحقوا هذا التوبيخ؟

ج ــ لعلّه إشارة إلى الهزيمة العامة وانهيار جلّ المسلمين بعد أن اشيع مقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في واقعة أُحُد، أو إشارة إلى ما ذكره المؤرخون والمفسّرون من أنّ بعض ضعاف العقيدة فكّروا في طلب الأمان من أبي سفيان وتزلزلت عقيدتهم بدينهم بعد انتشار الإشاعة بمقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في تلك المعركة(١٦).

س ١٥٨ــ ما هو ارتباط قوله: ((وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)) بانقلاب بعض المسلمين على أعقابهم؟

ج ــ باعتبار أن ثبات من ثبت من المسلمين في معركة أُحُد ولم يتلوّث بالفتنة التي أصابت الآخرين عقيب انتشار إشاعة مقتل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان تعبيراً عن شكرهم وعرفانهم لنعمة الإيمان، فانطبق عليهم وصف الشاكرين.

((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ...)) (١٥٢).

س ١٥٩ ــ ما معنى: ((إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ))؟

ج ــ الحسّ هو القتل على نحو الاستئصال والإفناء، وهو إشارة إلى النصر السريع الذي كان للمسلمين في بداية معركة أُحُد قبل أن يعصي الرماة أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ويتركوا مواضعهم في الجبل طلباً للغنيمة.

س ١٦٠ ــ لماذا خلت الآية من جواب الشرط مع أنّ ((إذا)) شرطية تحتاج إلى ذلك؟

ج ــ يمكن أن يكون جواب الشرط محذوفاً، لكونه مفهُوماً من سياق الآية، أي حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم أمْرَ الرسول ابتلاكم الله.

ويمكن أن تكون ((إذا)) ظرفية مجرّدة من معنى الشرط ــ كما ذكر ذلك النحويون ــ ويكون معنى الآية ولقد صدقكم الله وعده حيث تقتلونهم بإذنه إلى حين فشلِكم وعصيانكم... الخ.

((وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)) (١٧٠).

س ١٦١ ــ كيف قال: ((لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ)) مع أنّ من مات بعدَهم لاحق بهم؟

ج ــ إما أن يكون المقصود أنهم لم يستشهدوا في تلك المعركة ــ عقيب استشهاد أولئك ــ بل ماتوا فيما بعد، أو أن المقصود أنهم لم يلحقوا الشهداء في مقامهم الرفيع.

((وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء)) (١٧٧).

س ١٦٢ ــ لماذا لم يرفع ((الصابرين)) مع أنه معطوف على المرفوع فيقول: ((... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء...)) وليس ((الصابرين))؟

ج ــ المنصوب هنا ليس معطوفاً على المرفوع، وانّما هو منصوب على المدح ــ كما يسميه النحاة ــ فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني أو أمدح، وهو مألوف عند العرب بل في موارد طول النعوت وتعدّدها يكون ذلك مفضلاً عندهم، قال أبو علي: والأحسن في هذه الأوصاف التي تقطّعت للرفع من

موصوفها والمدح أو الغض منهم والذم أن يخالَف بإعرابها، ولا تُجعل كلها جارية على موصوفها، ليكون ذلك دلالةً على هذا المعنى...(١٧).

ومن ذلك قول الشاعر ــ انشده الفراء ــ:

إلى الملكِ القرمِ وابنِ الهمام   وليــثَ الكتيــبة في المــزدحم
وذا الـــرأي حين تغمّ الأمور   بذاتِ الصــليل وذات اللجــم

فنصب ((الليثَ)) و((ذا الرأي)) على المدح.

ومثله أيضاً قول الشاعر:

فليتَ التي فيها النجوم تواضعت على كل غثٍّ منهم وســمين
غيوثُ الحيا في كــل محــل ولــزبة اسودُ الثرى يحمينَ كلَّ عرين

فرفع ((غيوث)) و((اُسود)) مع انّهما وصفان في المعنى للمجرور.

((... وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء...)) (١٧٩).

س ١٦٣ ــ كيف خصّ ذلك ببعض الرسل مع أنّ الكل يشتركون في تميّزهم بالرسالة كما قال تعالى: ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ))؟

ج ــ كأنّ الملحوظ في تلك الآية التمييز في علم الغيب، فأنّه خاص ببعض الرسل الذين يجتبيهم الله لذلك ويميّزهم ببعض مراتب علم الغيب.

((ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ)) (١٨٢).

س ١٦٤ ــ ((ظلاّم)) بصيغة المبالغة بمعنى كثير الظلم أو عظيمه، ونفي ذلك عن الله لا يعني عدم صدور الظلم العادي منه أحياناً؟

ج ــ بما انّ عذاب الله تعالى في غاية الشدة (شديد العقاب) ولا يقتصر على شخص أو عدد محدود من الناس، فهو يدور مدار الظلم الفاحش ــ إن لم يكن عن استحقاق ــ والعدل ــ إن كان عن استحقاق ــ ولا يتصوّر أن يكون ظلماً عادياً، فمع نفي الظلم الفاحش عنه تعالى يثبت كونه عادلاً، وأنّ عقابه عن استحقاق من الناس.

((فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)) (١٨٤).

س ١٦٥ــ كيف جعل تكذيب الرسل جواباً للشرط مع كونه متقدماً على تكذيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وقد ذكر علماء العربية أن جواب الشرط يجب أن يتأخر عن فعل الشرط؟

ج ــ جواب الشرط هنا ليس تكذيب الرسل، وإنّما الإخبار القرآني بذلك ــ لأن ((قد)) للتحقيق والإثبات ــ وهو متأخر عن تكذيبهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، كما تقول: إذا أضاء الجوّ فقد طلعت الشمس، فجواب الشرط ثبوت طلوع الشمس لا نفس طلوعها، لأن طلوع الشمس متقدّم على الإضاءة وسبب لها فلا يكون جواباً للشرط، ولذلك لا يصح أن تقول: إذا أضاء الجوّ طلعت الشمس، من دون إضافة ((قد)) لجواب الشرط.

((إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (١٩٩).

س ١٦٦ــ كيف يكون الله ((سَرِيعُ الْحِسَابِ)) مع أنّ حسابه مؤجَّل إلى يوم القيامة؟

ج ــ بما انّ الله سبحانه سرمدي له الخلود المطلق فما هو مؤجَّل وبعيد بالنسبة إلينا قريب وسريع بالنسبة إليه.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٢٠٠).

س ١٦٧ ــ لماذا قال: ((اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ))؟

ج ــ وردت عدّة نصوص في توضيح ذلك، منها ما روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوّكم ورابطوا عدوّكم(١٨).

---

(١) سورة البقرة: ٥٣.

(٢) تفسير العياشي: ١٨٥.

(٣) لمعرفة المزيد حول المحكم والمتشابه يراجع كتابنا (علوم القرآن دروس منهجية)

(٤) سورة ص: ٨٤ ــ ٨٥.

(٥) تفسير العياشي: ١٩٦/١.

(٦) لسان العرب: ٤٦٣/١٤.

(٧) سورة البقرة: ١٣٢.

(٨) يراجع الآيات (٨٣ ــ ٨٦) سورة الأنعام.

(٩) يراجع كتاب مأساة الزهراء: ١/ ٤١.

(١٠) يراجع الجامع الصحيح: ٣/ ٣٥. وغيره.

(١١) سورة الأنعام: ٦٠.

(١٢) تفسير العياشي:٢١٠/١.

(١٣) المصدر:٢١٠/١.

(١٤) آل عمران: ١٨٦.

(١٥) آل عمران: ١٩٩.

(١٦) يراجع الكشاف: ١/ ٤٢٢- ٤٢٣.

(١٧) مجمع البيان ٤٧٥/١.

(١٨) مجمع البيان:٩١٨/٢.

سورة النساء

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء)) (١).

س ١٦٨ ــ كيف ينسجم قولــه ((خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)) مع ما هو معلوم من أنّ البشــر مخلوقون من آدم وحوّاء كليهما، كما قال تعالى: ((وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء))؟

ج ــ بما انّ حوّاء خُلقت من آدم ــ كما أشارت إليه الآية ــ فصح أن يكون آدم مبــدأ خلــق الناس جميعاً، بمن فيهم حواء، ومنهما بثّ ذرّيتهما من الذكور والإناث.

((وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)) (٢).

س ١٦٩ــ كيف ينسجم قولــه: ((وَآتُواْ الْيَتَامَى)) مع النصوص واتفاق الفقهــاء علــى أنّ اليتيم لا يُعطى أمواله وإنما تكون تحت سلطة وليه؟

ج ــ إما أن يكون ذلك كناية عن النفقة عليهم من أموالهم، أو أنّ المقصود منه اليتيم العرفــي الذي ينطبق على البالغ، ولذلك كانت قريش تسمي النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ بعد نبوّته ــ يتيم أبي طالب، فيكون المعنى: انَ اليتيم إذا بلغ يعطى أمواله، ولا يجوز استبدال الجيّد منهــا بالرديء من أموالكم.

((وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ)) (٣).

س ١٧٠ ــ ما هو الارتباط بين قولــه: ((وَإِنْ خِفْتُمْ...))وقولــه: ((فَانكِحُواْ...))؟

ج ــ ذكر بعض المفسّرين أنّها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليّها فيرغــب فــي مالهــا وجمالها فيتقدم للزواج منها من دون أداء حقها مما يناسبها من المهر، فأُمروا أن يتجنبّوا ذلك، ويتزوجوا غيرها من النساء ضمن العدد المسموح به شرعاً **((مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ))** (١).

((وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا)) (٥).

س ١٧١ ــ ما هو المعني بقولــه: ((أَمْوَالَكُمُ))؟

ج ــ هناك رأيان للمفسرين:

الأول: انّ الآية الكريمة ترشد الناس إلى تجنّب تسليط السفهاء على الأموال، لأنهــم يتلفونهــا بسوء تصرفهم، وإذا شاؤوا الإنعام عليهم فليطعموهم ويكسوهم ويتعاملوا معهم بالمعروف بدلاً من إعطائهم المال.

الثاني: انّ المقصود من المال أموال السفهاء أنفسهم، أي لا تسلطّوهم على أموالهم التي جعــل الله ولايتها لكم، لأنهم يتلفونها، بل يتولى وليّهم الإنفاق عليهم وكسوتهم منها. وإنمــا أضــيفت الأموال للمخاطبين باعتبارهم أولياء عليها، والإضافة تصح لأدنــى علاقــة بــين المضــاف والمضاف إليه.

((...وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...)) (٦).

س ١٧٢ ــ كيف يجوز للفقير الأكل من مال اليتيم كما توحي به الآية؟

ج ــ المقصود من يتولى شؤون اليتيم ورعايته حيث يستحق شرعاً أجرة على ذلك كما يستحق قيمة ما يصرفه على اليتيم، فالآية الكريمة تحبّذ للغني أن يستعفف من أخذ أُجرته من مال اليتيم ــ رغم استحقاقه شرعاً ــ أما الفقير حيث يشقّ عليه تحمّل تكاليف رعاية اليتيم فمن حقّــه أن يأخذ من أموال اليتيم بمقدار استحقاقه فحسب **((فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ))**، وفي الحديث عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عمّن تولّى مال اليتيم ما له أن يأكــل منــه؟ فقــال: ((ينظر إلى ما كان غيره يقوم به من الأجر لهم، فليأكل بقدر ذلك)) (٢).

((... مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ...)) (١٢).

س ١٧٣ ــ كيف يقول ((يُوصَى بِهَآ)) مع أنّ الميت يوصي ولا يوصى؟

ج ــ نائب الفاعل ليس ضميراً يعود إلى الميت ــ كما تُوهِّم في السؤال ــ بل هو نفس الجــار والمجرور(بها) كما تقول: يُرمى بالكرة، والمعنى: أن التقسيم على الورثة من بعــد أن تُطبَّــق الوصية ــ الموصى بها ــ ويُوفّى الدَّين، ولو بعزل ما يساويهما من تركة الميّت.

((وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ)) (١٤).

س ١٧٤ ــ كيف يُثبِت الخلود في النار للعاصي مع أنّ كثيراً من العاصين غير مخلّدين؟

ج ــ لعلّ المنظور في الآية الجاحدون الذين يواجهون أوامر الله ورسوله وتشريعه بالتحدي والاستخفاف، فانّهم يستحقّون الخلود في النار.

((وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)) (١٦).

س ١٧٥ ــ من هذان اللذان تتحدّث عنهما الآية؟

ج ــ كل زانٍ وزانية يمارسان الفاحشة، أُمر المسلمون بإيذائهما إلى أن يتوبا فيُعرَض أي يُتوقَّف عن إيذائهما. وقيل: وقد نسخت بتشريع حدّ الزنا.

((إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ...)) (١٧).

س ١٧٦ ــ كيف تكون التوبة على الله مع أنها من فعل العبد؟

ج ــ التوبة بمعنى الرجوع، وكما تنسب للعبد تنسب لله تعالى، لأنه إذا رجع العبد وأناب إلى ربّه يرجع الله إليه أي ينقطع اعراضه عنه، ولذلك نسبت لله تعالى في كثير من الآيات حتى صار التّواب من أسمائه الحسنى. ومعنى الآية أنّ التوبة التي التزمها الله سبحانه على نفسه إنما هي للذين يعملون الذنب بجهالة ثم يتوبون من قريب. فهؤلاء الذين يستحقون رحمته التي كتبها على نفسه، كما قال سبحانه: ((كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)).

س ١٧٧ ــ إذا كان ارتكابهم للسوء بجهالة لم يكونوا عصاةً فلم يستحقوا العقاب؟

ج ــ ذكر العلماء أن الجهالة بمعنى السفاهة، لا الجهل المطلق المقابل للعلم، فتنطبق على ارتكاب المعصية لغلبة الهوى ونحو ذلك، ولعلّ إلى هذا يشير الحديث عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: ((يعني كل ذنب عمله العبد وإن كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى يحكي قول يوسف لأخوته: ((هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ)) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله)) (٣). وربما يكون المقصود تنزيل علمهم منزلة الجهل.

س ١٧٨ ــ كيف يصحّ تخصيص التوبة بالذين يعملون السوء بجهالة ويتوبون من قريب مع دلالة الآيات والنصوص الكثيرة على قبول التوبة الصادقة من كل أحد وفي كل وقت؟

ج ــ يبدو من ملاحظة هذه الآية والآية التي بعدها أن هذا الحصر نسبي أي في مقابل الفئتين اللتين أشارت إليهما الآية اللاحقة التي نفت التوبة والرجوع من الله إليهما، وهم الذين يتوبون توبة صورية عندما يشاهدون أمارات الموت، والكفارُ الذين لا يتوبون. فغير هؤلاء يمكن قبول توبتهم، وإنما نصّت الآية على خصوص الذين يعملون السوء بجهالة ويتوبون من قريب لأنهم أكثر الناس استحقاقاً للتوبة والمغفرة.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ...)) (١٩).

س ١٧٩ ــ كيف تُفرض وراثة النساء كرهاً حتى ينهى عنه؟

ج ــ يبدو أن الآية تشير إلى سُنّة من سنن الجاهلية، فانّهم كانوا إذا مات زوج المرأة جاء ابنه من غيرها أو وليّه فيضع عليها ثوبه ويرث نكاحها أي يجعل نفسه وليّاً عليها، فأبطلت الآية هذه السنة. كما نهت عن العضل أي التضييق على النساء من قِبَل أزواجهن فلا هم يعاشرونهنّ بالمعروف ولا هم يطلقونهنّ، لكي تضطر الزوجة إلى التنازل عن مهرها أو جزء منه في مقابل طلاقها.

((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ... وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ...)) (٢٣).

س ١٨٠ ــ لماذا خصّ التحريم بالربائب اللاتي في حجر زوج الأم مع أنّ زواج الربيبة التي ليست في حِجر زوج الأم محرّم أيضاً؟

ج ــ نعم التحريم يشمل كل ربيبة، وقوله: ((فِي حُجُورِكُم)) باعتبار أن الغالب كون الربيبة في حِجر زوج الأم وفي كنفه، كما انّ بنت الزوجة إنما سميت ربيبة الزوج باعتبار الحالة الغالبة، وإن كانت في حالات نادرة لا تكون في كنف زوج أمّها.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ)) (٢٩).

س ١٨١ ــ كيف استثنى التجارة عن تراضٍ من حكم أكل المال بالباطل مع أنها ليست من أكل المال بالباطل؟

ج ــ هذا الاستثناء منقطع، لأنّه قد يتوهّم أن البيع والتجارة يتضمنان أكل المال بالباطل أحياناً، خاصّةً إذا كان الربح كبيراً، فجاء الاستثناء لتحليل التجارة عن تراض ورفع ذلك التوهّم.

س ١٨٢ ــ كيف خصّ التحليل بالتجارة مع انّ هناك أسباباً أخرى لتحليل الأموال مثل الهدية والصدقّة وغيرهما؟

ج ــ باعتبار أن التجارة هي السبب الشائع في تبادل الأموال والسّلطنة عليها، خصوصاً ان مثل الهدية والصدقة لا يتضمن معاوضة حتى يتوهّم كونها من الأكل بالباطل، فلم تكن هناك حاجة للنص عليها.

((إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا)) (٣١).

س ١٨٣ــ إذا كان المقصود تكفير السيئة وغفرانها مع التوبة منها فهو ينطبق على الكبائر أيضاً، فيشمل ذلك من لا يجتنب الكبائر، وإذا كان من دون توبة فهو لا ينسجم مع ما هو معروف من عدم غفران المعصية الصغيرة مع الإصرار عليها وعدم التوبة منها؟

ج ــ الظاهر أن المقصود تكفير الذنوب الصغيرة التي لا يتوب منها الإنسان تسامحاً أو يتماهل في التوبة الصادقة منها من دون أن يصرّ عليها، لأنّ نفس الإصرار على الصغيرة من الكبائر ــ كما قيل ــ، فتشير الآية الكريمة هنا إلى أن من يتجنّب الكبائر يتأهل لرحمة الله يكون موعوداً بمغفرته.

((الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)) (٣٧).

س ١٨٤ ــ ما علاقة عذاب الكافرين بالذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل..؟

ج ــ هناك وجهان في تفسير الآية:

الأول: انّها نزلت في حق اليهود المعروفين بحب المال والشحة والبخل، وكذلك كتمان العلامات والآيات التي تتحدث عن أوصاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ورسالة الإسلام.

الوجه الثاني: انّ الآية تذمّ كل البخلاء الذين لا يؤدّون الفرائض المالية متظاهرين بالفقر نكراناً وجحوداً لفضل الله عليهم، فيكون المراد من الكافرين في الآية الجاحدين للفضل الإلهي بمواقفهم وسلوكهم، وإن كانوا مسلمين.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...)) (٤٣).

س ١٨٥ ــ ألا تقتضي هذه الآية جواز شرب الخمر لمن لا يؤثّر فيه السكر ولا يفقد وعيه بذلك؟

ج ــ حرمة شرب الخمر بشكل مطلق دلّ عليه قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) وكذلك النصوص المتواترة، وأما هذه الآية فكانت خطوة أولى باتجاه تحريم الخمر ــ كما قيل ــ حيث تضمنت النهي عن الصلاة في حالة السكر فقط، وقد أفتى الفقهاء بصحّة صلاة من شرب الخمر ولم يسكر أو من صلّى بعد أن أفاق من سكره، لعدم النهي عن صلاته رغم عصيانه بشرب الخمر.

ولو فرضنا أنهما من العام والخاص فلا تنافي بينهما، لأن العام والخاص إنما يتنافيان إذا كان أحدهما إيجابياً والآخر سلبياً، مثل قولنا: يجب الحج على كل مسلم، فانه ينافي ما دلّ على عدم وجوب الحج على المسلم غير المستطيع، فلابدّ من التنازل عن عموم ذلك العام وتخصيص وجوب الحج بالمستطيع.

أما إذا لم يختلفا في الإيجاب والسلب فلا منافاة بينهما، مثل قولنا تحرم إهانة الأب، فانه لا ينافي حرمة إهانة كل مسلم، ولا يستلزم تخصيص من تحرم إهانته بالأب. وكذلك بالنسبة للخمر فالآية الدالة على حرمة الخمر في حالة معينة لا تنافي الآية الدالة حرمته مطلقاً.

((إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء...)) (٤٨).

س ١٨٦ ــ كيف لا يغفر الله الشرك مع أن جلّ الصحابة كانوا مشركين قبل إسلامهم، وقد أجمع المسلمون على قبول توبة المرتد؟

ج ــ الآية تتحدث عمّن يموت مشركاً، فانّ الله تعالى لا يغفر له، بينما المسلم الذي يموت من دون توبة من معاصيه الأخرى فربّما يغفر الله له ذنوبه، رحمةً به أو لشفاعة من يشفَّع فيه. ولا ترتبط هذه الآية بمن كان مشركاً ثم يتوب من شركه، فانها تقبل إذا كانت صادقة، كما دلت عليه آيات أخرى، وكذلك النصوص الدالة على قبول التوبة الصادقة مطلقاً حتى بالنسبة لمن كان مشركاً.

س ١٨٧ــ ألا تدل الآية على إمكانية غفران الكفر برسالة الإسلام لمن لم يكن مشركاً، مثل بعض أهل الكتاب؟

ج ــ الآية الكريمة علقّت غفران المعاصي ــ سوى الشرك ــ على مشيئة الله، من دون تحديد المعاصي التي تتعلق بها المشيئة، ومن خلال الآيات والأدلة الأخرى علمنا أنّ الجاحد للإسلام لا تتعلق المشيئة الإلهية بمغفرة ذنبه هذا.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) (٥٩).

س ١٨٨ ــ الا يدل الامر بطاعة اولي الأمر ــ إلى جانب طاعة الله والرسول ــ و عدم الامر بالرد إليهم عند التنازع على عدم شمول (اولي الامر) للأئمة واختصاصه بقادة السرايا؟

ج ــ كلا فان شمول(اولي الأمر) للأئمة مما اتفق عليه المسلمون وفهموه من الآية الكريمة وكانوا يستشهدون بها على ذلك جيلاً بعد جيل وإن اختلفوا في تحديد أشخاص اولي الأمر، وقد اكدّت النصوص الواردة عن أهل البيت(عليه السلام) على ذلك.

ولا ينافي ذلك عدم تنصيص الآية الكريمة على الرجوع إليهم عند التنازع، لأنه بناءً على الرأي القائل أن المقصود من(اولي الامر) خصوص الأئمة فقد يكون المقصود من التزاع هو الاختلاف بين المسلمين بشأن (اولي الامر) كالتنازع في تحديد الإمام الذي يخلف النبيَّ على اُمته أو في سعة ولايته ونحو ذلك ــ كما قد يؤيده دخول الفاء في قوله ((فإن تنازعتم)) الذي يوحي بتفرع هذا التنازع على الامر المتقدم بالطاعة ــ وفي هذه الحالة يكون المرجع في ذلك هو الله تعالى والرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)بما بينّه للامة من تحديد الإمام بشخصه ومواصفاته ومساحة ولايته.

وأما بناءً على الرأي القائل أن(اولي الأمر) أعم من الأئمة وقادة السرايا فنقول: إن طاعة الله تعالى من خلال تطبيق تشريعاته، كما ان طاعة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) تشمل صنفين..

الأول: ما يبلّغه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) للأمة من تشريع.

الثاني: ما يصدره ــ بحكم ولايته على الامة ــ من الأوامر والنواهي.

وأما اولو الأمر فمن كانت ولايتهم خاصة كقادة السرايا الذين كان يرسلهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) فتنحصر طاعتهم بحدود ولايتهم على قيادة السرية وإدارة المعركة ونحوها، وليست لهم مرجعية عند اختلاف المسلمين وتنازعهم، وقد يتفق أن يختلف جنودهم معهم في الرأي حول ما يعتقدون عدم ولايتهم فيه، فيحصل النزاع بين القائد وبعض جنده، فأمرت الآية الكريمة بالرجوع في ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ليميّز الصواب من الخطأ، ولا

معنى لأن تكون المرجعية لقائد السرية الذي هو طرف في النزاع، ويُشكّ في وجوب طاعته في ذلك.

أما ولاة الأمر الذين ولايتهم عامة ــ وهم الأوصياء على الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ فانّ ولايتهم ووجوب طاعتهم امتداد لولاية النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ووجوب طاعته، فلا معنى لأن يكونوا طرفاً في النزاع والخلاف، بل تكون لهم المرجعية لحلّ النزاع الذي قد يحدث بين وكلائهم أو ولاتهم وبعض المؤمنين، بنفس دليل الرجوع للرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم).

وهكذا اتضح أن عدم الأمر بالرجوع إلى(اولي الأمر) عند التنازع بسبب عدم مرجعية بعضهم ــ وهم قادة السرايا ونحوهم ــ لا يمنع من شمول(اولي الأمر) للأئمة، ولايضرّ بمرجعيّتهم لحل الخلاف والتنازع بين المسلمين ما دامت ولايتهم عامة تشكل امتداداً لولاية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم). والله اعلم.

س ١٨٩ ــ ما معنى أن يكون الردّ إلى الله والرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أحسن تأويلاً؟

ج ــ التأويل: النتيجة التي يؤول إليها الشيء، ومن الواضح أن الردّ إلى الله والرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) خير وأحسن مآلاً وعاقبةً.

((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)) (٦٤).

س ١٩٠ــ ما دام الخطاب في الآية للرسول لماذا لم يقل ((واستغفرتَ لهم))؟

ج ــ لعلّ ذلك لتأكيد أن مرجعية النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأهمية استغفاره لهم باعتباره رسول الله، لا لخصوصية شخصه، كما قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ)) فان طاعته باعتبار رسالته عن الله، خصوصاً أن المعنيّ في الآية المعاندون الذين تحاكموا إلى الطاغوت بدلاً من الرسول، فكان المناسب تجنّب التحدث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بصفته الشخصية، وإنما بوصف كونه رسولاً، ليكون محفزّاً لهم بترك عنادهم.

((فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ...)) (٧٤).

س ١٩١ــ كيف يقول ((الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ)) المفهوم منه إمساكهم بالحياة الدنيا وتركهم الآخرة كما يمسك المشتري ما يشتريه في مقابل الثمن الذي يعطيه، بينما المجاهدون يفعلون عكس ذلك فيتركون الدنيا للآخرة؟

ج ــ كلا، لأن الشراء هنا بمعنى البيع، كما نصَّ عليه علماء اللغة والمفسّرون، وقد استعمل الشراء في هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: **((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ))** وقوله تعالى: **((وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ))**. أي باعوا يوسف (عليه السلام) بثمن بخس زهداً فيه.

((وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا)) (٧٨ ــ ٧٩).

س ١٩٢ ــ كيف ينسجم قوله: ((وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ))مع قوله فيما بعد: ((وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ))؟

ج ــ لتوضيح عدم المناقضة بين الآيتين نشير إلى أن الحدث الواحد إذا كان يستند لعدة عوامل يصح نسبة ذلك الحدث إلى كل واحد من هذه العوامل ــ وتسمى فلسفياً أجزاء العلّة التامة ــ فكما يمكن نسبة الإحراق إلى النار يمكن نسبته إلى إهمال الخادم، وكذلك تصح نسبته إلى الله سبحانه لأنه قضى ذلك وقدّره، أما إذا استند الحدث إلى عامل واحد فلا ينسب إلاّ إليه.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن الحسنة قد نُسبت في الآيتين إلى الله تعالى لأنّه يبتدئ بالنِعَم والإحسان، بل إن تمكين الإنسان من فعل الخير نعمة وإحسان الهي إليه، بينما نسبت الآية الثانية السيئة والإخفاق الذي يصيب الإنسان إلى نفسه (٤) ــ بالرغم من كونها بتقدير الله وقضائه ــ باعتباره سهيماً في ذلك وبسبب خطئه أو سوء تصرفه واختياره كما ينسب إحراق البيت إلى إهمال الخادم مع أنه بقضاء وقدَر الهي.

أما الآية الأولى فانّما تضمّنت توبيخ اليهود أو المنافقين لأنهم عندما رأوا الشدائد والمصاعب التي واجهت مجتمع المدينة بعد هجرة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ وأظنها مصاعب الجهاد وافرازاته ــ فبدلاً من نسبتها إلى الله سبحانه لأنّه قدّرذلك أو فرضه عليهم ــ لمصالح معيّنة أو عقوبة بالنسبة لبعض الجماعات ــ أو على الأقل نسبتها إلى الناس بسبب كفرهم وعنادهم لله ولرسوله، نسبوها ــ ظلماً وبهتاناً ــ إلى شخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بهدف التطيّر والطعن فيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) ضمن أساليبهم الخبيثة لإبعاد الناس عن

الرسول اقتداءً بأسلافهم فيما حكاه الله عنهم بقولـــه: ((فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَـــا هَـــذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَه)). وكذلك قوم صالح حيث اعتبروا صالحاً شؤماً عليهم: ((قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ)). فكان من الطبيعي أن يواجهوا التوبيخ الإلهـــي علـــى موقفهم وبهتانهم: ((فَمَا لِهَـــؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)).

((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا)) (٨٢).

س ١٩٣ ــ كيف يفرض عدم الاختلاف ميزة قرآنية مع أنّ هناك كتباً آخـــرى خاليـــة مـــن الاختلاف؟

ج ــ هدف الآية الكريمة إثبات انتساب القرآن لله وعدم كونه من إنشاء (محمد) لأنه لو كـــان جهداً بشرياً لبرز فيه اختلاف كثير. وتظهر أهمية عدم اختلاف القرآن وتميّـــزه مـــن خـــلال ملاحظة ما يلي:

أ ــ تشعّب المواضيع والعلوم التي تضمّنها القرآن، حيث يشـــتمل علـــى منظومـــة عقائديـــة ومجموعة كبيرة من التشريعات والحِكَم والإرشادات والقصص التاريخية وبعـــض المظـــاهر الكونية والمفاهيم الأخرى.

ب ــ عدم تصنيفه لدى الرسول (صلى الله عليه وآله وسـلّم) ضمن كتاب وبمنهجية محدّدة بحيـــث يتيسّر رجوعه إليه لتجنّب الوقوع في التناقض والاختلاف.

ج ــ نزول كثير من الآيات أو أكثرها من دون تهيئة مسبقة وإنما تبعاً لأحداث طارئة أو فـــي سفر أو حرب أو نحو ذلك، مما لا يسمح بالتمعن ومراجعة ما نزل منه سابقاً لتفادي التنـــاقض في مضمونه.

د ــ تكرر التحدث فيه عن كثير من المواضيع التي تناولتها الآيات السابقة، وخـــلال فتـــرات زمنية متباعدة ــ أكثر من عشرين عاماً ــ مما يجعله معرّضاً للاضطراب والتناقض لو كـــان نتاجاً بشرياً.

هـ ــ صدوره من غير متعلّم أو غير متخصّص ــ على الأقل ــ رغم ما تضمنّه من العلـــوم والمعارف المتنوّعة والعميقة، كما أشار إليه قولـــه تعالى: ((وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَـــابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)).

و ــ عدم التذبذب في مستواه الفني والبلاغي، وعدم تطوّر أسلوبه رغم نزوله خلال عشـــرين عاماً أو أكثر(٥).

((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً))(٨٣).

س ١٩٤ ــ لماذا ينكر عليهم إذاعة ذلك مع أنه لم يُشر إلى كونهم مأمورين بإخفائه؟

ج ــ يبدو أن الآية تشير إلى سذاجة هؤلاء وعدم وعيهم حيث كانوا يتداولون الإشاعات التي يبثها الأعداء وينشرونها بين الناس، وكذلك يشيعون ما لا تسمح الظروف بنشره من أحداث تواجه المسلمين، بدلاً من مراجعة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) أو من يعتمدهم (صلى الله عليه وآله وسلّم) في ذلك والتقيّد بتوجيهاته باعتباره القائد العارف بالأمور والصالح العام للمسلمين.

س ١٩٥ ــ كيف يصح قوله ((إِلاَّ قَلِيلاً))الذي يدل على أن عدم اتباع هؤلاء القليل للشيطان لم يكن بفضل الله ورحمته؟

ج ــ كلا، لأن فضل الله الذي تشير إليه الآية هو الفضل الإلهي الإضافي الذي شمل حال الأغلبية التي ضعفت أمام إرهاصات المرجفين، ولذلك قال ((فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ))، ومن الطبيعي أن يختص هذا الفضل بغير أولئك القليل الذين هم ثابتون أساساً وان كان استقامة تلك القلة بفضل الله أيضاً ــ لأن هداية كل شخص بفضله تعالى وتوفيقه ــ لكنه فضل الهي آخر خاص بهم استحقوه لتميزهم غير الذي تشير إليه الآية.

((... وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا... فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ...))(٩٢).

س ١٩٦ــ هل العداوة مع عشيرة القتيل وقومه تسقط الدية عن أهل القاتل كما تشير إليه الآية حيث اكتفت بتحرير الرقبة؟

ج ــ المقصود من القتيل هنا المسلمُ الذي قومه كفار حرّبيون، فانّهم أعداء المسلمين، وفي الحديث عن مسعدة بن صدقة قال: ((سئل جعفر بن محمد (عليه السلام) عن قول الله... ((فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ)) قال: ((وإن كان من أهل الشرك الذين ليس لهم في الصلح، وهو مؤمن فتحرير رقبة{مؤمنة}فيما بينه وبين الله، وليس عليه الدية..)) (٦).

أي لا يدفع قاتله ديته إلى ذويه وهم كفار حربيون، بل يكفيه عتق رقبة بسبب قتل الخطأ.

((وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))(٩٣).

س ١٩٧ــ كيف ينسجم مدلول الآية مع ما يقال من عدم خلود أهل الكبائر من المؤمنين؟

ج ــ الآية دلّت على استحقاق القاتل المتعمّد للخلود في النار، وهو لا يمنع من قبول شفاعة الشافعين فيه وأن تناله الرحمة الإلهية، كما لا يمنع من غفران الله ذنبه إذا تاب توبةً صادقةً.

((لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا))(٩٥ ــ ٩٦).

س ١٩٨ ــ القاعدون عن الجهاد غير أولي الضرر عصاة بقعودهم عن الجهاد فكيف يقول: ((وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى))؟

ج ــ الجهاد واجب كفائي بمعنى انه إذا تصدى له العدد الكافي لإدارة الحرب والنصر يسقط وجوبه عن الباقين ولا يكونون من العصاة، فالتفضيل في الآية للمبادرين إلى الجهاد ــ الذين تكتفي بهم ساحات الجهاد ــ على هؤلاء القاعدين لا على القاعدين الذين تحتاج إليهم ساحة الجهاد ويتخلفون عنها، فان هؤلاء عصاة موعودون بالعقاب الإلهي لا الحسنى.

س ١٩٩ ــ كيف فضل الله المجاهدين درجةً مرّة ودرجاتٍ أخرى؟

ج ــ ليس المقصود درجة واحدة، وإنمّا الدرجة بمعنى المنزلة أي إنهم أعلى منزلةً من القاعدين، كما في قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ)) وبعد ذلك أوضح الله سبحانه أنّ الفارق بين المنزلتين كبير، وأنّ المجاهدين أفضل بمراتب من القاعدين.

((إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)) (٩٨ ــ ٩٩).

س ٢٠٠ ــ إذا كان هؤلاء المستضعفون من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون الخروج من مكة فلا يكون تركهم الهجرة ذنباً حتى يغفره الله لهم؟

ج ــ يبدو أن هؤلاء لم يكونوا عاجزين تماماً عن الهجرة، وإنما تواجههم صعوبات شتى أو يخشون الضرر والإيذاء مثل العباس بن عبد المطلب ــ كما في بعض الروايات ــ، وذلك قد لا يكون عذراً شرعياً لبعضهم في ترك الهجرة، خاصة أنّه لم يثبت ــ تاريخياً ــ أن المشركين كانوا يقتلون أولئك المستضعفين، وإنما يحبسونهم ويضيقون عليهم، كما روي عما لاقاه عبد الله بن سهيل بن عمرو وغيره بسبب الإسلام من الحبس والمضايقات من أهاليهم في مكة، فكان بعضهم يفضل البقاء في مكة ــ رغم المضايقات ــ على الهجرة والتغرب.

((وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا))(١٠١).

س ٢٠١ ــ ما هو الارتباط بين فتنة الكافرين وقصر الصلاة؟

ج ــ الفتنة هنا بمعنى القتل ونحوه، والآية تشير إلى صلاة الخوف، وقصر ركعاتها بسبب الخطر الذي يواجه المصلّين، وقد فصّل الفقهاء أحكام صلاة الخوف في الكتب الفقهية. كما تشير الآية اللاحقة إلى كيفية الصلاة جماعة في مواجهة الأعداء في ساحة الجهاد. مما يكشف عن مدى أهمّية الصلاة والمحافظة عليها وعلى آدابها ومستحباتها، إلاّ أنّ من المؤسف أن نرى إهمال كثير من المسلمين لرعايتها بل ولأدائها متجاهلين أنها عمود الدين إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها.

((فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا))(١٠٣).

س ٢٠٢ــ هل يجب على المجاهد بعد أداء الصلاة ذكر الله كما قال: ((فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ))؟

ج ــ كلا، ولكنّه إشارة ــ فيما يبدو ــ إلى أهمية ذكر الله والمداومة عليه حين الجهاد، لما له من تأثير في النصر الإلهي، ولأنّه يساهم في شدّة عزيمة المجاهدين وتذكيرهم بالله تعالى، فالآية نظير قوله تعالى: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ))**.

س ٢٠٣ــ هل يجب على المجاهد إعادة الصلاة الاضطرارية التي صلاها في ساحة الجهاد بعد انتهاء المعارك كما يُوحي به قوله تعالى: ((فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ))؟

ج ــ كلا، وإنما هذه الفقرة إشارة إلى أن الصلاة الاضطرارية الفاقدة لبعض الأجزاء أو الشروط إنما تصحّ في ساحات الجهاد حيث يواجه المجاهدون خطر الأعداء، أما بعد الاطمئنان وانتهاء المعارك فيجب إتيان الصلوات الآتية تامة الأجزاء والشروط، كما يوحي بذلك قوله: ((فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ)). فانّ إقامة الصلاة إتيانها تامة الأجزاء والشروط.

((إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا))(١٠٥، ١٠٦، ١٠٧).

س ٢٠٤ــ ألا تدلّ هذه الآيات على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد ارتكب ذنباً بدفاعه عن الخائنين، ولذلك نهاه الله تعالى عن المخاصمة والجدال دفاعاً عنهم وأمَره بالاستغفار؟

ج ــ هذه الآيات وما بعدها توحي أنّ بعض المنافقين أو نحوهم حاول الدفاع عن نفسه أو عن بعض المعتدين أو المذنبين وإتهام بعض الأبرياء أمام

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ملفقاً حججاً كاذبة لإثبات ادعائه الباطل، محاولاً أن يكسب موقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلى جانبه بعد أن خدع غيره بذلك ــ كما يشير إليه قوله تعالى ــ فيما بعد ــ: **((هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))** ــ إلاّ أن الله سبحانه أرشد رسوله إلى الحقيقة، كما يشير إليه قوله تعالى ــ فيما بعد ــ: **((وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ...))**(٧) وهكذا يتضح من مجموع هذه الآيات أنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ بفضل الله ورحمته ــ لم يقف إلى جانب المعتدين.

وأما الاستغفار فهو لا يعني صدور المعصية، لأنه يستعمل كثيراً ــ في القرآن وغيره ــ في حالات مخالفة الأَولى وكلّ ما لا يناسب شأن الشخص أو عند عدم إصابة الحق، فربّما يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد مال إلى التصديق ببراءة هؤلاء الخائنين، فأرشده الله إلى الحقيقة بفضله ورحمته. فيكون الاستغفار على مجرّد الميل النفسي المذكور وإن لم يكن معصية، لأن مقامه (صلى الله عليه وآله وسلّم) يتطلب منه الاستغفار على ذلك ، كما ورد أنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين.

((وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا))(١١٠).

س ٢٠٥ ــ ما فائدة قوله: ((أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ)) مع أنّه من السوء أيضاً؟

ج ــ لعــلّ المراد من الســوء معناه العــرفي مثــل الاعتداء والســرقة والخيــانة ــ وهــو المورد الذي نزلت فيه هذه الآيات ــ و(ظلم النفس) كلّ معصية يفعلها الإنسان، لأنّــه يكــون ظالماً لنفسه في عصيانه، فالآية تشير إلى أن باب التوبة والمغفرة مفتوح أمام هؤلاء المعتــدين والخائنين ــ مورد نزول الآيات ــ بل مفتوح أمام كلّ من يظلم نفسه أي كل العصاة.

((وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا))(١١٢).

س ٢٠٦ــ ما الفرق بين الإثم والخطيئة؟

ج ــ لعلّ لفظ الخطيئة ــ باعتباره على صيغة المبالغة ((فعيل)) إشارة للذنوب الكبيرة، والإثم إشارة إلى للذنوب الأخرى. والله العالم.

((إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا))(١١٧).

س ٢٠٧ ــ كيف يقول: ((إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا))مع أن بعضهم لم يكن يعبد الإنــاث مثل: (هُبَل)؟

ج ــ قيل في تفسير ذلك عدة آراء:

الأول: أنّ المقصود من الإناث الأموات، لأن العرب تصف الضعيف بالأنوثة(٨).

الثاني: ان المراد بها الأوثان وكانوا يسمونها باسم الإناث، قال الحسن: لم يكن حيّ من أحيــاء العرب إلاّ ولهم صنم يعبدونه، ويسمّونه أُنثى بني فلان(٩).

أقول: ولعلّ الآية جاءت من باب التغليب، لأن اكثر آلهتهم بأسماء الإناث.

س ٢٠٨ ــ كيف ينسجم قولــه: ((وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيــدًا)). مــع قولـــــه: ((إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا))؟

ج ــ بما انّ عبادة الأصنام ــ التي يسمونها في الغالب تسمية الإناث ــ بإيحاء وإغــراء مــن الشيطان، فتكون دعوتهم هذه دعوةً للشيطان، في مقابل دعوة الرحمن.

((وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَــئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا))(١٢٤).

س ٢٠٩ــ كيف خصّ هؤلاء بأنهم((وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)) ، مع أنّ ذلك لا يــختص بهم فكل إنسان مؤمن أو كافر لا يظلم يوم القيامة نقيراً؟

ج ــ يمكن أن يكون قولــه: ((وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)) راجعاً لمن يعمل الصالحات ولمن يعمــل سوءاً المذكورين في الآية السابقة.

ولو فرضنا رجوعَه لخصوص الصالحين فهو للإشارة إلى أنهم لا يُحرمون من ثوابهم شيئاً ــ على اختلاف مراتبهم ــ وهو لا يعني ثبوت الظلم في حق غيرهم، خصوصاً انّ الآية السابقة التي تحدثت عمن يعمل السوء أشارت إلى أنهم يجازَوْن بما يستحقّه عملهم **((مَن يَعْمَلْ سُــوءًا يُجْزَ بِهِ))**.

((وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ...))(١٢٧).

س ٢١٠ ــ ما هو الذي كتب لهنّ ومُتعن منه؟

ج ــ هناك عدة آراء للمفسر ين:

(منها): أنّ أهل الجاهلية كانوا لا يورّثون الأولاد حتى يكبروا ولا يورّثــون النســاء، وكــانوا يقولون: لا نورّث إلاّ من قاتل ودَفع عن الحريم، فنزلت الآية تنهى عن ذلك.

(ومنها): انّ بعض الصحابة كانت عنده بنت عم عمياء دميمة وقد ورثت عن أبيها مالاً، فكان يرغب عن نكاحها ولا يزوجّها لغيره خشية أن يذهب زوجها بمالها، فسأل النبــيَّ عــن ذلــك فنزلت الآية تنهى عن حبسها ومنعها من التزويج(١٠).

((وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا))(١٢٨).

س ٢١١ ــ ما فائدة قولــه ((صُلْحًا)) مع أنه مفهوم من خلال قولــه ((أَن يُصْلِحَا))؟

ج ــ بما انّ الآية ترتبط بتنازل الزوجة التي يروم زوجها طلاقها عن بعض حقوقها، بهــدف صلاح ذات بينهما، لأنّ الصلح خير من انفصالهما، فكان من المناسب التأكيد علــى أن هــذا الاتفاق يفترض أن يكون برضاهما على أساس المصالحة بينهما من دون فرض على أحدهما، لذلك أكدّه بقولــه: ((صُلْحًا)).

س ٢١٢ ــ ما معنى قولــه: ((وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ))؟

ج ــ إشارة ــ فيما يبدو ــ إلى الطبيعة الإنسانية في حرصها ورغبتها في الاقتنـــاء، وعـــدم ميلها للبذل والعطاء.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ...))(١٣٦).

س ٢١٣ ــ ما معنى أمر المؤمنين بالإيمان بالله والكتب السماوية؟

ج ــ هناك عدّة آراء في تفسير هذه الآية:

الرأي الأول: أنه خطاب لأهل الكتاب بأن يؤمنوا بكلّ ذلك ولا يقتصروا على الإيمان ببعضها.

الرأي الثاني: أنه خطاب للمنافقين الذين يؤمنون بألسنتهم أن يؤمنوا عن عقيدة.

الرأي الثالث: أنه خطاب للمؤمنين أن يستمروا في إيمانهم ويثبتوا عليه، كما قيل فـــي تفســـير قولـــه تعالى: ((اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)) ــ من سورة الفاتحة ــ انه بمعنى الدعاء باستمرار الهداية إلى الصراط المستقيم.

لكن الذي يبدو من الآية انّ الخطاب فيها للمؤمنين بهدف التأكيد أن الإيمان بهذه الأمور كلٌّ لا يتجزأ، فلا يقبل الإيمان ببعضها، لأنه ناقص. وفي ذلك تعريض بأهل الكتاب الـــذين يؤمنـــون ببعض ويكفرون ببعض نظير قولـــه تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُـــلِهِ وَيُرِيـــدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَـــيْنَ ذَلِـــكَ سَبِيلاً * أُوْلَـــئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)) (١١).

((الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً))(١٤١).

س ٢١٤ ــ كيف يقول المنافقون للكافرين ((أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ))مع أنهم لم يسيطروا علـــى الكافرين؟

ج ــ ليس الاستحواذ هنا بمعنى الغلبة، بل بمعنى طلب المحافظة، لأن حاذ، بمعنى حافَظ، قال ابن منظور: وفي حديث الصلاة: فمن فرّغ لها قلبه وحـــاذ عليهـــا فهـــو مـــؤمن أي حـــافظ عليها(١٢). فالمنافقون يذكّرون الكافرين بموقفهم في المحافظة عليهم، من خلال نفاقهم وكيدهم للمؤمنين.

س ٢١٥ــ كيف يقول: ((وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً))مع أن الغلبة قد تكون للكافرين أحياناً منذ صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر؟

ج ــ يبدو أنّ المقصود ليس هو الغلبة العسكرية، لأنّ صدر الآية يشير إلى غلبة الكافرين أحياناً، وإنما هو الولاية في التشريع أو الغلبة في الحجة والبرهان أو انّ المقصود بها الفوز في الآخرة.

((فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَولِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَولِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا))(١٥٥- ١٥٦).

س ٢١٦ ــ ما الفائدة في إعادة قوله: ((كُفْرِهِم))؟

ج ــ الكفر الأول جحودهم بآيات الله ودلائله على صدق أنبياء بني إسرائيل، والكفر الثاني كأنه إشارة إلى إنكارهم نبوّة عيسى (عليه السلام). وبما انّ الآيات الكريمة هنا بصدد الإشارة إلى مواقفهم السلبية المختلفة لذلك أشارت إلى كلا الكفرين.

((وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا))(١٥٩).

س ٢١٧ــ اليهود من ضمن أهل الكتاب وهم لم يؤمنوا بعيسى (عليه السلام) ولا يؤمنون به فكيف يقول: ((وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ))؟

ج ــ لعلّه إشارة إلى نزول عيسى (عليه السلام) إلى الأرض في آخر الزمان مع المهدي (عليه السلام) حيث يؤمن به كل الناس حتى اليهود، وعلى هذا الوجه يكون المقصود قبل موت عيسى (عليه السلام).

((فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا))(١٦٠).

س ٢١٨ــ بما انّ الأحكام الإلهية تابعة للمصالح فكيف يحرّم عليهم الحلال مع عدم المصلحة في التحريم؟

ج ــ مقتضى المصلحة هي الحلّية بالنسبة للفعل بحدّ ذاته، لأنه من الطيّبات، لكن بملاحظة ظلمهم وصدّهم عن سبيل الله تكون المصلحة في تحريم هذه الطيّبات عليهم إمّا عقوبةً وتشديداً

عليهم ليتضرّعوا إلى الله ويرتدعوا عن سلوكهم السيء أو لتهذيب نفوسهم وتربيتها على الطاعة ونبذ العصيان الذي اعتادوا عليه.

((لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ))(١٦٢).

س ٢١٩ــ كيف يعتبرهم من أهل الكتاب مع أنهم قد أسلموا وآمنوا بالقرآن الكريم؟

ج ــ هذا تعبير شائع في اللغة باعتبار حالتهم قبل الإسلام، خاصة مع قرب عهدهم بانتسابهم إلى دينهم السابق، كما تقول عمّن أسلم من اليهود: فلان مُنصف من بين اليهود.

((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا))(١٦٣).

س ٢٢٠ــ لماذا قال: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ))مع أنّ هؤلاء كلّهم بعد نوح فيشملهم قولــه: ((وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ))؟

ج ــ لعلّ ذلك باعتبار انّ إبراهيم (عليه السلام) جاء بالحنيفيّة، فيمثّل مرحلة جديدة ومتميزة في تاريخ الأنبياء، ولذلك تم التأكيد في الآيات والروايات على ذكر إبراهيم (عليه السلام) وآل إبراهيم.

((لَّـكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا))(١٦٦).

س ٢٢١ــ ما الفائدة من ذكرِ شهادة الله والملائكة مع أنّ الكافرين لا يصدّقون الرسول في ادعائه؟

ج ــ الآية ليست بصدد الاحتجاج على الكافرين، وإنما هي تسلية للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وتذكير وتثبيت للمؤمنين، لأن الخطاب القرآني كما يستهدف محاججة الكافرين والجاحدين يستهدف تسلية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وتثبيت المؤمنين أيضاً.

((إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً))(١٧١).

س ٢٢٢ــ ما معنى أنّ عيسى بن مريم كلمة الله؟

ج ــ كأن ذلك إشارة إلى أن خلقه خلا من المقدمات الطبيعية لخلق البشر، بل من خلال إرادة الله وكلمته التي يرمز إليها القرآن بلفظة (كن). فوُصف بمنشأ وجوده، باعتباره أثرها.

س ٢٢٣ــ على هذا يصح تسمية آدم بكلمة الله، لأنه وُلد كذلك من غير مقدمات الخلق العادية للبشر؟

ج ــ التسمية تصح لأدنى مناسبة. وإن كان هناك فرق بين آدم (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام)، لأن آدم خُلق من مادة الطين بخلاف عيسى، لذلك كان أولى بهذا الوصف ((كلمة الله)) وبسبب التصريح بخلق آدم من طين لم يتوهم أحد الوهيتّه، بينما نسبها الجاهلون لعيسى (عليه السلام).

س ٢٢٤ــ ما معنى قوله: ((رُوحٌ مِّنْهُ)) حتى عُرف عيسى بكونه روح الله، ألا يوحي ذلك بمسحة الألوهية فيه؟

ج ــ كلا، لأن الروح هنا الوجود الحياتي الذي منشؤه ومانحه الله تعالى، كما منحه لآدم (عليه السلام) حيث قال: ((فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ)) ومع ذلك لم يتوهم الألوهية في حق آدم (عليه السلام).

---

(١) يراجع مجمع البيان:٣/١٠.

(٢) وسائل الشيعة ١٤/١٨٦ الباب ٦٨ من أبواب ما يكتسب به الحديث ٥.

(٣) تفسير العياشي:١/٢٥٤.

(٤) حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في قوله تعالى: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) هو الانسان بينما ذهب آخرون إلى ان المخاطب هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم). وعلى كل حال فيكون المراد من السيئة ما يسوء الانسان مثل المصاعب التي يواجهها في الحياة.

(٥) لمعرفة المزيد من دلائل الإعجاز القرآني يراجع مبحث إعجاز القرآن من كتابنا: ((علوم القرآن دروس منهجية))

(٦) تفسير العياشي:١/٢٨٩.

(٧) آل عمران: ١١٣.

(٨) يراجع التفسير الكاشف:٢/٤٣٩.

(٩) يراجع التفسير الكبير:٦/٤٦.

(١٠) راجع مجمع البيان: ٣/١٨٠-١٨١.

(١١) سورة النساء: ١٥٠- ١٥١.

(١٢) لسان العرب: ٣ / ٤٨٦.

سورة المائدة

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ))(١).

س ٢٢٥ــ ما هو الارتباط بين مقدّمة الآية وما بعدها؟

ج ــ لا يبدو هناك ارتباط بينهما، فكل منهما كلام مستقل عن الآخر، ولا محذور في ذلك إذ لا يجب أن يكون بين أجزاء الآية الواحدة ارتباط في المعنى، لأنّ كثيراً من الآيــات لا تقتصر على التعرض لموضوع واحد، بل تتناول مواضيع شتى.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...))(٢).

س ٢٢٦ــ ما هو ارتباط ((آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ)) بما قبله؟

ج ــ كما يجب حفظ حرمة الشعائر وغيرها يجب حفظ حرمة قاصدي البيت الحــرام، لأنّ سفر الحجاج يكون ــ عادةً ــ في الأشهر الحُرم التي لا يجوز فيها القتال، فهو معطــوف على ما قبله، فلا يحلّ قتالهم كما لا يحلّ التجاوز على الشعائر وغيرها.

((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ... وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ... الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...))(٣).

س ٢٢٧ــ ما أكله السبع منعدم فما معنى تحريمه؟

ج ــ المقصود تحريم المتبقي من الحيوان الذي يفترسه السبع.

س ٢٢٨ــ أليس المفهوم من الآية انّ الله تعالى ارتضى الإسلام هذا اليومَ ولــيس مــا قبله، مع أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) دعا إلى الإسلام منذ البعثة؟

ج ــ ليس المقصود من الإسلام مجرد الشهادتين، وإنما هذا الدين بمجموع أسسه وتعاليمه التي اكتملت هذا اليوم، فارتضاه الله لهم مكتملاً.

((يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ...))(٤).

س ٢٢٩ــ عطف ((مَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ))على ((الطَّيِّبَات)) يستلزم أنّ أكلها حلال.

ج ــ كلا، المقصود هنا ما تصطاده هذه الجوارح لأنفسها، ويدلّ عليه ــ بالإضافة إلى القرينة الحالية الواضحة ــ قوله: ((فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ)). ويمكن ضمن القواعد النحوية توجيه الآية بحيث تكون الواو في قوله: ((مَا عَلَّمْتُم)) للاستئناف لا عاطفة.

س ٢٣٠ ــ ما معنى: ((تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ))؟

ج ــ بمعنى تدريبهنّ على طريقة الصيد من خلال ما ألهمكم الله بعقولكم.

((الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ))(٥).

س ٢٣١ ــ ألا تدلّ الآية على حلّية ذبائح أهل الكتاب، لأنّه من ضمن الطعام؟

ج ــ لابدّ من الرجوع للسنّة التي تضمنت تفسير الطعام. وقد اختلفت النصوص في ذلك، والمشهور بين فقهاء مدرسة آل البيت (عليهم السلام) حرمة ذبائح أهل الكتاب، وانّ المقصود بالطعام هنا غير الذبائح المحتاجة للتذكية.

س ٢٣٢ــ ما معنى تحليل طعام المسلمين لأهل الكتاب ما دام مصدر التشريع لديهم غير الإسلام وكتابه؟

ج ــ لعلّ المنظور في هذا التشريع هم المسلمون، بمعنى حلّية تقديم الطعام للكتابي، والهدف منه بيان حلّية المعاشرة معهم من خلال حلّية طعام كلّ من الفريقين أكلاً وتقديماً، وكذلك التعامل التجاري معهم والتزويج منهم.

((وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ))(٦).

س ٢٣٣ ــ إذا كانت لفظة ((أَرْجُلَكُمْ)) معطوفة على ((رُؤُوسِكُمْ)) فلماذا نُصبت ولم تتبع المعطوف عليه؟

ج ــ هذا من العطف على المعنى ــ كما يسميه النحاة ــ وهو شائع في القرآن الكريم وفي كلام العرب، مثل قوله تعالى: ((فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن

مِّنَ الصَّالِحِينَ)) فجاءت لفظة ((أَكُن)) مجزومة، مع أنها معطوفة على لفظة((أَصَّدَّقَ)) المنصوبة. ونظير ذلك قول الشاعر:

بدا لي أنّي لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فعطف لفظة ((سابقٍ)) المجرورة على لفظة ((مدركَ)) المنصوبة(١).

((وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا))(٧).

س ٢٣٤ــ ما هذا الميثاق الذي تتحدث عنه الآية؟

ج ــ لعلّه التزام كل مسلم ــ عند إسلامه وبيعته للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ بطاعة الله ورسوله.

((وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ...))(١٤).

س ٢٣٥ ــ لماذا لم يقل: (من النصارى)؟

ج ــ كأنه باعتبار أن هذا الاسم مقتبس من قول الحواريين: **((نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ))**(٢) والمسيحيون المعاندون للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لا يستحقون هذا الانتساب، لعدم التزامهم بما أُخذ عليهم من الميثاق.

((... قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا...))(١٧).

س ٢٣٦ــ كيف يمكن أن تتعلق الإرادة الإلهية بإهلاك أمّ المسيح التي هي بالفعل ــ حين نزول الآية ــ هالكة؟

ج ــ بما أنّ المتأخرين أتباع لأولئك فكأنّ المخاطبين في الآية أولئك المعاصرون للمسيح وأمّه قبل وفاتها.

((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...))(١٨).

س ٢٣٧ــ ما هو منشأ هذه النسبة لليهود والنصارى؟

ج ــ تضمنت مواقفهم مجموعة من الادعاءات التي أوجبَت هذه النسبة:

(منها): ما حكاه الله تعالى عنهم بقولـــه: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَـــارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ)) (٣).

(ومنها): ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار، ونظيره ادعاء النصارى، ففي رسالة بولس الأولى إلى كنيسة تسالونيكي: ((نرجو أن يمهد الله أبونا وربُّنا يســوعُ طريــق المجــيء إليكم... وأن يقوي قلوبكم فتكونوا بقداسته لا لوم فيها أمام ألهنا وأبينا يــوم مجــيء ربّنــا يسوع مع جميع قديسيه آمين)) (٤)، وفي رسالته الثانية: ((من بولس وسلوانُس وتيموثاوس إلى كنيسة تسالونيكي التي في الله ابينا والربِّ يسوع المسيح عليكم النعمة والسلام مــن الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح...)) (٥)، وفي رسالة يوحنا الرسول الأولى: ((والله أظهــر محبته لنا بأن أرسل ابنه الأوحد إلى العالم لنحيا به، تلك هي المحبة. نحن ما أحببنا الله بل هو الذي أحبّنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا... اكتب إليكم بهذا لتعرفوا أن الحياة الأبدية لكم أنتم الذين يؤمنون باسم ابن الله...)) (٦).إلى غير ذلك من الشواهد على هذه الادعــاءات الباطلة.

((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ))(٢٠).

س ٢٣٨ ــ ما هو الذي آتاهم الله دون العالمين؟

ج ــ لقد ميّزهم الله تعالى بكثرة الأنبياء وكثرة الآيات النازلة عليهم.

((قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَــذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ))(٣١).

س ٢٣٩ ــ ما دام قابيل نادماً فلماذا لم تقبل توبته؟

ج ــ يبدو من الآية الكريمة انّ ندمه لم يكن خشية من الله تعالى ورجوعاً إليه حتى يعتبــر توبة، وإنّما لحيرته وشعوره بالضعف والعجز.

((مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...))(٣٢).

س ٢٤٠ــ كيف يكون قتل نفس واحدة أو إحياؤها بمنزلة قتل الناس جميعاً أو إحيائهم؟

ج ــ لعلّه إشارة إلى البعد الاجتماعي لقتل النفس ظلماً وكذلك إحياؤها وتخليصها من الظلم والعدوان، وأن ذلك لا يقتصر على بُعده الشخصي، لما في الأول من التشجيع على انتهاك حرمة الأبرياء والإخلال بالأمن العام، وفي الثاني من التشجيع على إنقاذ النفوس البريئة والمحافظة على الأمن العام.

((إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))(٣٤).

س ٢٤١ــ هل تدلّ الآية على سقوط القصاص عمّا ارتكبوه من قتل قبل توبتهم؟

ج ــ كلا، بل الذي يسقط هو الحق العام وعقوبته باعتبار مبادرتهم بالتوبة قبل إلقاء القبض عليهم، وأما الحق الخاص للمعتدى عليه أو ورثته من القصاص أو الدية ــ إذا رضوا بها ــ فلا يسقط. لانّ المغفرة والامتنان على الظالم لا يكون على حساب المظلوم.

((...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ...))(٤١).

س ٢٤٢ ــ لماذا قال: ((مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)) ولم يقل: (من مواضعه)؟

ج ــ فيه إيحاء باستقرار دلالة الكلم ووضوح معناه، ومع ذلك يحرّفه هؤلاء ويحاولون صرفه عن معناه الحقيقي الواضح.

((وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ))(٤٣).

س ٢٤٣ــ هل يعني قوله تعالى: ((وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ)) وجود النسخة غير المحرّفة عندهم؟

ج ــ يبدو أنّ الآية ناظرة إلى حكم القصاص، وأنه كان محفوظاً في التوراة التي عندهم، وهو لا يعني عدم التحريف بالنسبة لغيره.

ويشهد على ذلك قوله تعالى ــ فيما بعد ــ **((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))** (٧).

((وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ))(٤٦).

س ٢٤٤ ــ لماذا كرّر قولــه: ((مُصدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ))؟

ج ــ المنظور من الأول عيسى (عليه السلام) نفسه، ومن الثاني الإنجيل، فلا يكون تكراراً.

((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...))(٤٧- ٤٨).

س ٢٤٥ ــ كيف يؤمرون بالحكم بما في الإنجيل مع أنه نسخ بشريعة الإسلام؟

ج ــ ليس المقصود بأهل الإنجيل النصارى المعاصرين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بل الذين هم قبل الإسلام، فانه بعد أن بيّن في الآية السابقة إرسال عيسى بالإنجيل ذكر أن النصارى مأمورون بالحكم بما في الإنجيل، كما كان اليهود مأمورين قبل النصرانية بالحكم بما في التوراة. ويتجلّى هذا المعنى على قراءة حمزة: (وَلْيَحْكُمَ أَهْلُ الإِنجِيلِ) بلام التعليل المكسورة ونصب الفعل.

ومما يؤكّد أن الاحتكام للإنجيل بالنسبة لمن كان قبل الإسلام فحسب قوله تعالى: **((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ))** حيث أكّد على لزوم الحكم ــ بعد الإسلام ــ طبقاً للشريعة الإسلامية، مبيناً مشئية الله تعالى وحكمته في اختلاف التشريع لكل عصر وكلّ أمة.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))(٥١).

س ٢٤٦ ــ كيف يقول: ((وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)) مع أنّ ولاءهم لا يُخرج المسلم عن الإسلام؟

ج ــ ليس المراد أنه يصير يهودياً أو نصرانياً، وإنّما بولائه لهم ينتسب إلى جماعتهم ومعسكرهم المعادي للإسلام.

((فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ...))(٥٢).

س ٢٤٧ ــ لماذا قال: ((يُسَارِعُونَ فِيهِمْ)) مع أنّ سارعَ تتعدى بــ (إلى) فيقال سارعت إلى السفر؟

ج ــ لعله باعتبار أنه ليس المقصود المسارعة إليهم، وإنما المسارعة في إظهار الولاء لهم.

((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ))(٥٥).

س ٢٤٨ ــ كيف ينسجم ما يذكره شيعة آل البيت (عليهم السلام) من تفسير هذه الآية بعلي (عليه السلام) حيث أعطى السائل خاتمه أثناء ركوعه مع أنّ لفظ الآية: ((الَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ...)) يدلُّ على الجماعة؟

ج ــ أولاً: انّ إطلاق لفظ الجماعة وإرادة الواحد مألوف في القرآن الكريم وغيره مثل قوله تعالى: **((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))** وقوله تعالى: **((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ))** وكذلك قوله تعالى: **((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ))** حيث ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في نعيم بن مسعود.

وثانياً: ان تفسير هذه الآية بالإمام علي (عليه السلام) لا يختص به الشيعة، بل ذكره كثير من المفسرين والمحدّثين كالطبري والثعلبي والقرطبي، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، والشوكاني في فتح القدير وابن كثير في تفسيره وغيرهم. حتى أنّ حسان بن ثابت نظم في ذلك شعراً، فقال فيه:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنتَ الذي أعطيتَ اذ كنتَ راكعاً ... زكاةً فدتك النفسُ يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... وأثبتها مثنى كتابُ الشرائع(٨)

س ٢٤٩ ــ ألا ينافي التفات الإمام علي (عليه السلام) لسؤال السائل ــ بناءً على نزول الآية منه ــ الخشوع لله تعالى المطلوب والمحبَّذ في الصلاة؟

ج ــ أولاً أشارت بعض النصوص إلى أن الأمام عليّاً قد أعطى السائل خاتمة بعد أن طلب منه وهو في أثناء الصلاة.

ثانياً: ان الذي ينافي الخشوع في الصلاة هو الانشغال عن التوجه لله تعالى تأثراً بموثرات دنيوية دون مجرد سماع طلب السائل والتصدّق عليه الذي هو مقرِّب لله أيضاً. وقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر انه قال: ((رأى النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) نخامة في قبلة

المسجد وهو يصلي بين يدي الناس فختمّها. ثم قال حين انصرف: ((إن أحدكم إذا كان في الصلاة فانّ الله قِبَلَ وجهه فلا يتنخّمنَّ أحد قِبَلَ وجهه في الصلاة)) رواه موسى بن عُقبه وان أبي روّاد عن نافع (٩)).

((قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ))(٦٠).

س ٢٥٠ــ ما هو الشرّ الأول الذي يشير إليه لفظ (ذلك)؟

ج ــ إنّه الشرّ بنظر أهل الكتاب، وهو الإيمان بالله وما أُنزل على النبي ومن قبله من الرسل، الذي تشير إليه الآية السابقة: **((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ...))**.

((وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ))(٦١).

س ٢٥١ ــ ما معنى دخولهم بالكفر وخروجهم به؟

ج ــ دخولهم بالكفر هو كفرهم، وخروجهم به هو ملازمتهم له رغم إظهار الإيمان، فيكون إشارة لنفاقهم.

((لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قولـهمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ))(٦٣).

س ٢٥٢ ــ هل كان علماؤهم ينهونهم عن قول الإثم وأكل السحت كما قد توحي به الآية؟

ج ــ كلا، الآية تدلّ على أنّ علماءهم لم يكونوا ينهونهم عن ذلك، لأن (لولا) الداخلة على الفعل تدلّ على الحث والتحضيض، فهي هنا بمعنى (هلاّ) وفيها إشارة إلى تأنيب هؤلاء العلماء بسبب عدم نهيهم عن المنكر.

((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ))(٦٩).

س ٢٥٣ ــ لماذا((الصَّابِئُونَ)) والمفروض أن يكون منصوباً، لأنه معطوف على اسم إن المنصوب؟

ج ــ أولاً: هذا ليس من عطف المرفوع ((الصَّابِئُونَ)) على المنصوب ((الَّذِينَ آمَنُوا))، لأنّ قوله ((الصَّابِئُونَ)) مبتدأ، خبره ((مَنْ آمَنَ بِاللّهِ...)) وخبر ((إنّ)) محذوف بقرينة خبر الجملة الثانية، والعطف من عطف الجملة على الجملة لا عطف المفرد، ونظير ذلك قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون، فحذف الخبر اعتماداً على قرينة خبر الجملة الثانية.

ويجوز أن يكون الخبر الموجود خبراً لـ((إنّ)) وخبر ((الصابئون)) محذوف بقرينة خبر ((إنّ)) كما قال ضابىء البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنّي وقيّار بها لغريب

أي وقيّار غريب، فحذف الخبر اعتماداً على خبر ((إنّ)).

وهناك رأي ثالث على رأي بعض النحاة بأن يكون ((الصَّابِئُونَ)) عطفاً على اسم ((إنّ)) من باب العطف على المعنى كما قال الشاعر:

بدا لي أنّي لستُ مدركَ ما مضى ولا سابق شيئاً اذا كان جائياً

فعطف ((سابق)) على ((مدركَ)) من باب العطف على المعنى رغم ان المعطوف مجرور والمعطوف عليه منصوب، وتفصيله في علم النحو. وعلى كل حال فليس ذلك غلطاً.

ثانياً: كيف يكون غلطاً والنبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) عربي أصيل والبيئة عربيةٌ أصيلة قبل الاختلاط والتأثر بالأعاجم، ولذلك يستشهد النحويون بكلام العرب ــ إلى أواخر الدولة الأموية وبدايات العصر العباسي ــ من دون خلاف بينهم، ولو فتحت الباب لتخطئة العرب الأوائل لبطلت علوم العربية.

ثالثاً: كيف يفرض في القرآن هذا اللحن المكشوف من دون أن يعترض عليه العرب، رغم التحدّي القرآني لهم؟

((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ))(٧٧).

س ٢٥٤ ــ ما الفائدة من تكرير بيان ضلالهم؟

ج ــ لعلّ ضلالهم الأول بالتزامهم التعاليم المحرَّفة في دينهم وعدم اتبّاع تعاليم أنبيـــائهم، والضلال الثاني إشارة إلى عدم إيمانهم بالاسلام الذي هو خاتم الأديان. والله العالم.

((... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ))(٨٢- ٨٣).

س ٢٥٥ــ كما انّ للنصارى قسيسين ورهباناً كذلك لليهود أحبار، وجـلّ الفـريقين لـم يؤمن بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) فما الذي يميّز النصارى عن اليهـود حتـى صاروا أقرب مودةً للمؤمنين؟

ج ــ تميّزَ النصارى المعاصرون للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن معاصريهم من اليهـود والمشركين بسلوكهم السلمي مع المسلمين، بعكس المشـركين واليهـود الـذين واجهـوا المسلمين بالعدوان المسلّح والفتنة والخيانة. ويبدو أنّ لعلماء النصارى دوراً فـي مـوقفهم السلمي، حيث لم يوجّهوا أتباعهم لإثارة الفتنة والعدوان، حتى إنّ بعضـهم آمـن برسـالة الإسلام ولم يستكبر في مواجهة الحق، وهم الذين أشارت الـيهم الآيـة الكريمـة بالثنـاء والمدح.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ))(٩٠- ٩١).

س ٢٥٦ ــ لماذا تحدثت الآية الثانية عن خصوص الخمـر والميسـر دون الأنصـاب والأزلام التي ذكرتها الآية الأولى؟

ج ــ أولاً: باعتبار أن الذي يوجب العداوة والبغضاء والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة هو الخمر والميسر دون الأنصاب والأزلام.

وثانياً: انّ ترك الأنصاب والأزلام أيسر من ترك الخمر والميسـر، لأنّ هـذين يوجبـان الاعتياد بخلاف الأولين، ولعلّ قولـه تعالى: ((فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)) إشارة لذلك.

س ٢٥٧ ــ إذا كان الخمر من عمل الشيطان فكيف يوفره الله للمؤمنين في الجنة، كما قال تعالى: ((يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)) (١٠).

ج ــ انّ خمر الجنّة تختلف أوصافه جذرياً مع خمر الدنيا، فالصفة البارزة في خمر الدنيا هو ما يلازمه من فقدان الوعي الذي يجرّ عادةً إلى المفاسد كاللغو والجريمة والإثم، حيث كان لذلك الدور الحاسم في تحريمه **((يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا))** (١١). بالإضافة إلى النصوص التي أكّدت أنّ إسكار الخمر هو السبب في تحريمه، بينما خمر الآخرة فاقد لهاتين الصفتين، كما قال تعالى **((يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ))** (١٢). وقال تعالى **((لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً))** (١٣).

((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))(٩٣).

س ٢٥٨ ــ لماذا كرّر قوله تعالى: ((اتَّقَواْ)) ثلاث مرات؟

ج ــ كأن الآية الكريمة بصدد التأكيد على التقوى وإيمان الإنسان واستقامته، وجاء تكرير الأمر بالتقوى، لأنها منشأ الخير والاستقامة، خاصة إذا كان الأمر مرتبط بالتخلّص من عادة شرب الخمر والسكر المستحكمة في النفس والمألوفة في المجتمع، حيث ورد في سبب نزول الآية من حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله تعالى: **((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ...))** قالوا: يا رسول الله، ما تقول في إخواننا الذين ماتوا، كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فأنزل الله الآية (١٤).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ...))(٩٤).

س ٢٥٩ ــ لماذا خصّ الاختبار ببعض الصيد فقط؟ وما هو ذلك البعض؟

ج ــ لأن المحرَّم هو بعض الصيد لا كلّه، وذلك البعض إما إشارة لصيد البَرّ؛ لأنّ صيد البحر حلال للمحرم، أو نقول: بما أنّ الحديث عن صيد البّر فقط بقرينة قوله: **((تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ))** فيكون البعضَ إشارة إلى الصيد حين الإحرام دون صيد غير المحرِم.

((جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلآئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))(٩٧).

س ٢٦٠ ــ ما هو وجه دلالة هذه التشريعات على علم الله المطلق بالأشياء؟

ج ــ لعلّ ذلك بمعونة التأمل الدقيق في حكمة هذه التشريعات، وتناول التشريع الإلهي لكل التفاصيل، فانّ ذلك يوجب العلم بأن الله تعالى محيط بكل شيء.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))(١٠٥).

س ٢٦١ ــ كيف ينسجم مدلول هذه الآية مع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يجبان بشروط منها: احتمال تأثير الأمر أو تأثير النهي في قطع دابر المنكر بينما المنظور في الآية حالة إصرار الطرف الآخر على الضلال وعدم استجابتهم لدعوة الإيمان والهداية، حيث كان بعض المسلمين يحرصون على دعوة هؤلاء وهدايتهم رغم إصرارهم، وقد روي أن أبا ثعلبة سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن هذه الآية، فقال: ((ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتَ دنيا مؤثرة وشحّاً مطاعاً وهوى متّبعاً، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر الناس
وعوامهم)) (١٥).

((يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ))(١٠٩).

س ٢٦٢ ــ كيف يقول الرسل((لاَ عِلْمَ لَنَا)) مع أنّ كلّ رسول يعلم بموقف قومه؟

ج ــ الرُسل يرون المواقف المعلنة للجيل المعاصر لهم من أممهم دون كثير من التفاصيل والخفايا، والله سبحانه هو العالِم بالمؤمنين برسالاته ومدى التزام أبناء الجيل المعاصر للرسول، وكذلك الأجيال اللاحقة، لأنه تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

((إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))(١١٢).

س ٢٦٣ ــ ألا يعبّر هذا الاستفهام عن شكّ الحواريين في قدرة الله تعالى؟

ج ــ مثل هذا إنمّا يعبّر عن عدم استيعابهم ــ آنذاك ــ لعموم قدرة الله تعالى دون الشك المنافي للإيمان، ولذلك عندما حذّرهم عيسى (عليه السلام) من أن يكون طلبهم معبِّراً عن الشك المذكور: **((قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ))** إذن فهدفهم مشاهدة الآية لتطمئن قلوبهم وتقوى حجّتهم أمام قومهم ولذلك قالوا: **((وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ))** ولعلهم لا يقصدون من استطاعة الله قدرته التكوينية، بل انسجام طلبهم مع مصالح التكوين لتتحقق المشيئة الإلهية بذلك، كما تقول لصديقك: (هل تستطيع أن تزورني في العطلة) وتقصد أن ظروفه هل تسمح بذلك. مع علمك بقدرته على زيارتك.

((وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ))(١١٦).

س ٢٦٤ ــ ما هو توجيه الاستفهام الإلهي مع عيسى مع أنّه منزّه عن احتمال هذا الادّعاء؟

ج ــ الآية تحكي عن الحوار يوم القيامة، والهدف منه توبيخ النصارى الذين ينسبون لعيسى (عليه السلام) هذا الادعاء، وجواب عيسى المتضمّن لتكذيبهم يكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم.

س ٢٦٥ــ ما معنى قوله: ((وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)) مع أنّ الله تعالى منزّه عن النفس، لأنّها ترتبط بالجسم؟

ج ــ النفس هنا بمعنى الذات وحقيقة الشيء، فكأنه قال: لا أعلم ما تضمره أنت.

---

(١) لمزيد من التفصيل يراج كتاب ((مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)) لابن هشام الأنصاري.

(٢) سورة آل عمران: ٥٢.

(٣) سورة المائدة: ٣٠.

(٤) الكتاب المقدس العهد الجديد: ص٥٥٧.

(٥) المصدر: ص ٥٦٠.

(٦) المصدر ٦٥٧ و٦٦٠.

(٧) سورة المائدة: ٤٥.

(٨) يراجع فرائد السمطين للحموي: ١٨٩/١، وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ١٥ وغيرهما.

(٩) الجامع الصحيح: ١ / ٢٤٤ حديث: ٧٥٣.

(١٠)المطففين:٢٥ ــ ٢٦.

(١١)البقرة: ٢١٩.

(١٢)الطور:٢٣.

(١٣)الواقعة:٢٥.

(١٤) هامش الكشاف: ١ / ٦٧٦ عن الطبري.

(١٥) مجمع البيان: ٣/ ٣٩٢.

سورة الأنعام

((الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ))(١).

س ٢٦٦ ــ لماذا جاءت لفظة: ((الظُّلُمَاتِ)) بصيغة الجمع، ولفظة: ((النُّورَ)) بصيغة المفرد؟

ج ــ لعلّ الظلمات إشارة لمراتب الظلمة ومصاديقها التي يتيه في كل منها أُمة أو مجموعة من الناس، بينما النور يرمز إلى الطريق المستقيم. والله العالم.

((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ))(٢).

س ٢٦٧ ــ لماذا كرّر الأجَل، وما هما الأجلان؟

ج ــ لعلّ الأجل الأول نهاية أمد الحياة الدنيا حيث تمهل البشرية لحينه، والأجل الثاني يوم القيامة حيث يكون موعد الحساب.

ويحتمل أن الأجل واحد، والتكرار لبيان أنّ هذا الأجل المجهول لدى الناس محدّد ومعلوم لديه تعالى، فلا مبرّر للامتراء ــ الشك ــ بسبب طول الأجل وجهلهم بنهايته.

((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ))(٧).

س ٢٦٨ ــ ما الفارق بين نزول القرآن على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ونزوله في قرطاس مع أنّ اتهامهم له بالسحر متحقق في كلا الفرضين؟

ج ــ حيث أريد للإسلام أن يكون خاتمة الأديان السماوية كانت معجزتُه الرئيسية القرآنَ الكريمَ ــ لا الإعجاز المادي المحسوس الذي يخبو سريعاً ــ ليجتذب بمضمونه العقل والوجدان لدى الأجيال المتعاقبة، ويكون مناراً لها.

وحيث كانت هناك رغبة أو طلب من بعض المعاصرين ــ ضيقي الأفق أو المعاندين ــ للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بأن يكون أعجازه مادياً كأن يكون قرآنه في قرطاس مادي محسوس ينزل عليهم، فأوضحت الآية الكريمة أنّ الكافرين الذين لا

يحتكمون لعقولـــهم ووجدانهم ولا يتأثرون بمضمون القرآن ومواعظه لا تـــؤثر فـــيهم المعجزة المادية ايضا، بل سوف يصرّون على غيّهم وعنادهم ويتهمون النبي بالســـحر والباطل.

((وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ* وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ))(٨- ٩).

س ٢٦٩ــ أترى أن الملَك بصورته الطبيعية لا يمكنه أداء الرسالة السماوية للبشرية؟

ج ــ شاء الله تعالى أن يجعل الحياة الدنيا محلاً للاختبار والتكليف **((الَّذِي خَلَــقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا))** وأن يمنح الإنسان بعقله وجهده فسحة ليختار الطريق المستقيم بنفسه **((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا))** من دون أن يفرض عليه الإيمان والطاعة **((وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى))** كما شاء سبحانه أن يحمّل الإنسان المسؤولية في الحياة الدنيا ــ بعد استعداده لها ــ **((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَــةَ عَلَــى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ))** فكــان من الطبيعي ــ على ضوء ذلك ــ أن يكون رسوله إلى البشرية منهم مدعوماً بالحجــة والبرهان، لانّه على فرضية إنزال الملَك لأداء الرسالة السماوية حيث كان نزول الملَك بهيئته لا يحقق الهدف من إرسال الرسل إما لعدم انسجام هيئته أو طبيعته مــع حيــاة الإنسان فلا يمكنه معايشة الأمة ومشاركتهم في شعورهم وهمومهم أو لكونه لا يصــلح أن يكون قدوة تقتدي به الأمة، لاختلافه معهم في الخلق والطبيعة بينمــا يفتــرض أن يكون الرسول مثلاً أعلى وسراجاً لأمته، كما قال الله تعالى: **((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا))**(١) أو لغيــر ذلــك ــ مما يعلمه الله ــ بحيث انحصرت مهمة الملائكة في نزولهم على هيئتهم بتنفيذ الأمــر الإلهي **((وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ))** فلابدّ أن يكون الملَــك الرســولُ بهيئة البشر وطبيعته، كما قال تعالى: **((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً))**، وذلك لا يحقق هدف المعاندين الذين يطالبون بأن يكون الرسول ملَكاً على طبيعته وهيئته الملَكية.

((قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...))(١٢).

س ٢٧٠ ــ ما معنى أن يأمر الله تعالى رسوله بالسؤال والجواب معاً؟

ج ــ هذا إرشاد من الله تعالى لنبيّه في كيفية محاججة الكافرين وسؤالهم وإلى الإجابة المناسبة لهذا السؤال. وقد لا يكون الهدف تعليم الرسول، وإنّما دعم موقفه بالنص القرآني، والسؤال المذكور تعبير عمّا يدور في خلد الإنسان الباحث عن الحقيقة، أو المجادلة للرسول.

((وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))(١٣).

س ٢٧١ ــ لماذا خصّ الساكن بالذكر مع أن المتحرك لله تعالى أيضاً؟

ج ــ ليس السكون هنا في مقابل الحركة، بل بمعنى الاستقرار، قال الفيروزآبادي: سكنَ سكوناً قرّ.. (١).

((وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ))(١٧).

س ٢٧٢ــ كما انّ الضرّ لا يكشفه إلاّ الله فكذلك الخير، فلماذا لم يذكر ذلك؟

ج ــ نعم، ولكن حيث انّ الإنسان توّاق إلى كشف الضر نبّهت الآية إلى أنّ الكاشف له هو الله، بعكس الخير الذي يرغب الإنسان فيه وفي استمراره.

((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ..))(١٩).

س ٢٧٣ ــ كيف يجعل الله شهيداً بين الطرفين مع أنّ الكافرين لا يقرّون به؟

ج ــ حيث كانوا مزوّدين بالعقل الذي يرشدهم إلى الله تعالى وكماله ــ ولو احتكموا إلى عقولهم ــ صحّ أن يكون الله شهيداً بينه وبينهم.

((ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ))(٢٣- ٢٤).

س ٢٧٤ــ كيف يكذبون على الله يوم القيامة مع علمهم بأنه تعالى عالم بكفرهم في الحياة الدنيا؟

ج ــ إنّ الكافر عندما يرى أهوال يوم القيامة ومصير الكافرين القاتم يحاول التشبّث بكلّ حجة مهما وهنت للخلاص من العذاب، وبما انّ الفطرة والعقل يرشدان كلّ إنسان ــ في الحياة الدنيا ــ إلى الإيمان بالله تعالى، كما قال تعالى: ((**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**)) وقال ــ حكاية لحال الكافرين في الدنيا ــ ((وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ)) فيحتج الكافرون يوم القيامة بتلك الفطرة التوحيدية التي فُطروا عليها في الدنيا كدليل على إيمانهم بالله، غافلين عن أنّ ذلك ليس هو معيار الإيمان، لأنّ الإيمان هو عقد القلب على ما تمليه الفطرة، لا تجاهله وجحوده.

((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا...))(٢٥).

س ٢٧٥ ــ إذا كان الله تعالى قد جعل على قلوبهم أكنّة ــ جمع كنان وهو الستّر ــ وفي آذانهم وقراً ــ الثقل في الأذن ــ فيكونون معذورين في عدم إيمانهم، فكيف يعذّبهم على ذلك؟

ج ــ تقدم الكلام مفصّلاً حول الموضوع في تفسير قوله تعالى: ((**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**)) ــــ آية ٧: سورة البقرة ــ فليراجع(١).

((إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))(٣٦).

س ٢٧٦ــ أليس رجوعهم إلى الله من خلال بعثهم فلماذا فرّق بينهما؟

ج ــ كلا فإن البعث هو إحياؤهم بعد الموت. ورجوعهم إليه وقوفهم يوم القيامة.

((وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))(٣٧).

س ٢٧٧ ــ ألا توحي هذه الآية أنّ الله تعالى لم ينزّل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) آية معجزة وأيّة، ولذلك اكتفى في ردّ طلب خصومه بقوله: ((إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً)) ولم يقل انه أنزل آيةً بالفعل؟

ج ــ كلاَّ، لأنهم أرادوا آية مادية وشاخصة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) على غرار عصا موسى وناقة صالح، فردّهم بأن تحديد طبيعة الآية راجع لله تعالى، لا لرغبات الأشخاص والجماعات، لأن الهدف من الآية إقامة الحجة من خلالها، وليس تلبية الطلبات التي لا تنضبط، وقد شاء الله تعالى أن تكون الآية الشاخصة لنبي الإسلام خالدة بخلود رسالته، وهي القرآن الكريم، حيث تحدى الأجيال المتعاقبة بالإتيان بسورة بل بآية مثله. بالإضافة للمعاجز الثانوية مثل شق القمر وكلام الذئب وحركة الشجرة وإخباره بالمغيبات وغيرها مما حفلت به المصادر التأريخية، وقد اشار القرآن الكريم الى صدور آيات مادية من النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) قد رآها الكافرون بأم اعينهم، قال تعالى:((اقترب الساعة وانشق القمر وأن يرو آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)) فالاية الكريمة نصت على رؤيتهم لبعض الايات منه(صلى الله عليه وآله وسلّم) التي استكبروا عن قبولها وقالوا ((سحر مستمر)) إلاّ أن تلك المعاجز كانت آنية، ولم تلازم مسيرة رسالته (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، لأنها لم تكن معجزته الرئيسية.

((... أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))(٥٤).

س ٢٧٨ ــ بما أنّ الجاهل معذور فهو لا يحتاج إلى توبة فلماذا اعتبرها هنا؟

ج ــ ليست الجهالة هنا بمعنى الجهل وعدم العلم، بل بمعنى السفاهة المقابلة للحكمة، لأنّ ارتكاب الذنب تبعاً للشهوة أو الهوى من السفه وخلاف الحكمة.

((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ...))(٦٠).

س ٢٧٩ ــ النوم ليس وفاةً فكيف يقول: ((يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ))؟

ج ــ ليس المقصود من الوفاة الموت، وإنما هو قبض النفس عن أبرز مظاهر الحياة من الوعي والحيوية، من خلال ظاهرة النوم. وكأن الآية الكريمة تشير إلى إحاطة الله تعالى بالإنسان في الليل والنهار.

((وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ))(٦١).

س ٢٨٠ــ ما هي مهمة هؤلاء الحفظة؟

ج ــ ذهب بعض المفسرين إلى أنّ مهمة هؤلاء حفظ الإنسان من الهلاك، وقد أشارت مجموعة من النصوص إلى ذلك، منها ما جاء في نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام): ((انّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإنّ الأجل جنّة حصينة)) (١)، ولعلّ إلى ذلك يشير قوله تعالى: ((لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ)) (٢).

ويرى فريق آخر من المفسّرين أنّ مهمّة هؤلاء الملائكة حفظ أعمال الإنسان وإحصاؤها ليحاسب عليها يوم القيامة، كما أشار إليه قوله تعالى: ((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ))(٣)، ويبدو أن هذا الرأي هو الأرجح في تفسير الآية التي نتحدث عنها، لأنّ تعدية الفعل بـ (على) تناسب تحميل المسؤولية لا الامتنان.وربما يكون الحافظان للإنسان من الحوادث هما اللذان يحفظان أعماله ويسجلان عثراته. والله العالم.

س ٢٨١ ــ كيف يقول: ((تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا))مع انّ الذي يتوفى الإنسان حين الموت ملك الموت كما قال تعالى: ((قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ))(٤)؟

ج ــ لعلّ المقصود أعوان ملك الموت وجنوده، فيصح نسبة التوفي لهم باعتبارهم المباشرين كما يصح نسبته إلى ملك الموت باعتباره المسؤول عن ذلك والموجّه لأعوانه، وتصح نسبته لله تعالى أيضاً باعتباره المقدّر لذلك، وكل شيء خاضع لإرادته، كما في قوله تعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا))(٥) ولا محذور في تعدّد نسبة الفعل الواحد، ما دامت طولية، لا عَرْضية.

((قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)) (٦٣)

س ٢٨٢ ــ لماذا خصّ ذلك بالظلمات، مع أنّ الشدائد التي تواجه الإنسان قد تكون في وضح النهار؟

ج ــ الظلمات كناية عن الشدة، قال الزجاج: العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتّى إنهم يقولون يوم ذو كواكب، أي اشتدّت ظلمته حتى صار كالليل، وأنشد:

بني أسد هل تعلمون بلاءنا ... إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أشهبُ (٦)

س ٢٨٣ ــ لماذا خصّ الدعاء بالخفية، مع انّ الإنسان كثيراً مّا يجهر بدعائه عند الشدة؟

ج ــ ربما تتحدّث الآية عن دعاء الكافرين عند الشدة، فانهم لا يجهرون بدعائهم لله وإنما يتوجّهون إليه خفية.

ويمكن أن يكون المقصود من التضرع الضّراعة فتكون إشارة للجهر بالدعاء، قال ابن منظور: المعنى تدعونه مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر والحاجة إلى الله عزَّ وجلَّ(٧).

((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) (٦٨- ٦٩)

س ٢٨٤ــ كيف يُنسي الشيطانُ النبَّي عن أداء تكليفه؟

ج ــ الآية الكريمة لم تخبر عن إنساء الشيطان النبي بالفعل، وانما هو مجرّد فرضية، ولذلك تقدمتّه أداة الشرط، لأنّ (إمّا) مركبة من ((إن)) الشرطية و((ما)) والخطاب بتجنب مجالسة الظالمين ــ عند استهزائهم بآيات الله ــ لا يختص بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ وإن جاء بصيغة المفرد ــ بل يعمّ كل المسلمين ولذلك نفت الآية اللاحقة تحمّل المتقين مسؤولية عمل الكافرين.

وعلى كل حال فحيث كان المقصود بالخطاب كلّ المسلمين لا خصوص النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) فيتضح أن الآية لا تدّل على تحقق النسيان من كل المخاطبين مجرّد فرضية قد تتحقق بالنسبة لبعضهم. والله العالِم.

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)) (٧٤)

س ٢٨٥ ــ كيف ينسجم مضمون الآية مع ما عُرف بين شيعة آل البيت (عليهم السلام) من أنّ أبا إبراهيم كان موحّداً لله تعالى؟

ج ــ الملاحظ أنّ النسابين ينسبون إبراهيم (عليه السلام) إلى تارخ، قال الزجاج: ((ليس بين النسابين اختلاف انّ اسم أبي إبراهيم تارخ..)) (٨).

وقال الطبري: ((.. وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور..)) (٩) ولعلّ إطلاق لفظ الأب عليه لكونه جدّه من أُمه، أو عمّه ــ كما قيل ــ حيث قد يطلق الأب عليه.

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قولـــه: ((ردوّا عليّ أبـــي)) يعنـــي عمه(١٠) العباس فاستعمل الأب بمعنى العم.

وقد قيل ان كثيراً من الجمهور وافقوا الشيعة في ذلك ،قال الآلوسي في تفسيره: وعلى هذا جمّ غفير من أهل السنّة(١١).

ومما يشهد بأن ((آزر)) لم يكن والد ابرهيم أن القرآن الكـــريم نـــص علـــى أن إبراهيم قد تبرأ من ((آزر)) بعدّما تبيّن له أنه عدوّ لله ومصرّ على الكفر **((وَمَـــا كَـــانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ))** (التوبة:١١٤)، وكان ذلك في فترة شبابه بعد بدايات دعوته لقومه بعبادة الله تعالى **((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُـــدُ أَصْـــنَاماً فَنَظَـــلُّ لَهَـــا عَاكِفِينَ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ))** (الشعراء:٧٠ــ ٧١، ٨٦). بينما نجـــده (عليه السلام) بعد ذلك وفي فترة شيخوخته ــ حيث ولد له إسماعيل واســـحاق ــ يـــدعو لوالديه بالمغفرة كما حكى عنه تعالى في قولـــه: **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ))** (ابراهيم:٢٩ ــ ٤١)، وهذا يؤكّد أن ((آزر)) الذي تبرّأ منه في فترة شبابه وبدايات دعوته لله تعـــالى، ليس والده، وأن والديه مؤمنان بالله تعالى، ولذلك استحقّا الدعاء بالمغفرة والرحمة.

((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ))

(٧٦)

س ٢٨٦ ــ هل كان إبراهيم جاهلاً بربّه حتى يقول مثل هذا؟

ج ــ احتمل بعض المفسرين أن يكون الربّ هنا بمعنى المدبّر، وأن هذه الآيات تتحدث عن مرحلة بحث إبراهيم (عليه السلام) عن المدبّر للكون بـــالرغم مـــن اعتقـــاده بوجود الله تعالى واختصاصه بالألوهية، وأنه كان يبحث عن إمكانية إسناده تدبير الكون لبعض مخلوقاته كالكواكب والقمر والشمس، خصوصاً مع انتشار هذه الأفكـــار ضـــمن المجتمع الذي كان يعيش فيه.

ولكن ملاحظة مجموع الآيات الكريمة توحي بأنه كان في مقام مخاصمة قومـــه وأفكارهم بال أسلوب المؤثر من خلال افتراض هذه المدّعيات وردّها بالحجة والبرهان، ولذلك نراه بعد أن استعرض هذه الفرضيات وردّها، وجه خطابه لقومه قائلاً **((يَا قَـــوْمِ**

إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)) ممّا يؤكد أن عملية الافتراض والردّ لم تكن مختزنة في نفسه ضمن تكوين معتقده الشخصي، بل في ضمن جوّ الحوار مع الخصم.

وممّا يؤيد ذلك أن قضية أُفول هذه الكواكب ليست مما تخفى على الطفل المميّز فضلاً عن مثل إبراهيم الواعي لعملية الاستدلال والاستنتاج المعقّدة، ولذلك اضطر أصحاب الاتجاه الأول ــ وكذلك الذين توهموا جهل إبراهيم لخالقه آنذاك ــ إلى التشبث بروايات واهية و غير معقولة تتضمن أنه كان يعيش في مغارة، وأنه لم يرّ إلى ذاك الوقت كوكباً ولا شمساً ولا قمراً، وأنه فوجئ بحركتها وأفولها(١٢).

س ٢٨٧ ــ لماذا استند في نفي ربوبية الكوكب إلى عدم حبّه للآفلين، مع أن قضية الربوبية غير مرتبطة بالمشاعر كالحب والبغض؟

ج ــ الموضوع ليس مجرّد مشاعر، وإنما باعتبار أن عدم حب الآفل بسبب نقصه وخضوعه لغيره في حركته وافوله، فيمتنع أن يكون هو الخالق أو المدبّر لهذا الكون الواسع المعقّد وما فيه. والذي يبدو من ملاحظة مجموع الآيات الكريمة أن إبراهيم(عليه السلام) كان بصدد رفض ومناقشة الفرضيات المختلفة المعارضة للتوحيد، فبدأ بنفي فكرة ألوهية الأصنام، باعتبارها من نتاج الإنسان وأنها جمادات لا تعي ولا تعقل ولا تقدر على شيء، أما الكواكب فحيث إنها لم تكن نتاجاً إنسانياً ولا في متناول يده وسلطانه فاستدلّ على رفض ربوبيتها، من خلال أُفولها الذي هو مظهر الضعف والنقص فيها، بادئاً بأصغرها وأقلّها إشعاعاً وهو الكواكب، وانتهاءً بنفي الأكبر والأشد إشعاعاً وأقوى نوراً، وهو الشمس.

((وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ)) (٨٠)

س ٢٨٨ ــ ما وجه الاستثناء بقوله ((إِلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً)) فهل يعقل أن يشاء الله تعالى أن توقع الأصنام أو الكواكب ضرراً بابراهيم حتى يذكر هذا الاستثناء؟

ج ــ يبدو أن محاججة قومه اعتمدت تخويفه من آلهتهم وأربابهم، باعتبارها الفكرة السائدة التي ربطتهم بها ــ بتغذية من رجال دينهم ــ خصوصاً بالنسبة للكواكب، حيث كانوا يتصورون أن سقوط الشهب وخسوف القمر وكسوف الشمس دلائل غضب هذه الإلهة، ولذلك كانوا يقدمون لها القرابين خلال هذه الفترة، لإرضائها، فهدّدوا إبراهيم من نتائج غضبها، وبعد أن رفض إبراهيم خوفه منها: **((وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ))** استدرك بان ما قد يصيبه من أمراض وما يواجهه من أخطار ــ

باعتباره بشراً معرّضاً لكلّ ذلك ــ إنما هو بمشيئة الله تعالى وقدرته، لا بسبب غضب آلهتهم وفعلها، فقال ((إِلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا)).

((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ)) (٩١).

س ٢٨٩ ــ كيف يكون إنكار ارسال الرسالة على البشر منافياً لتعظيم الله تعالى ومعرفة قدره، مع أن هؤلاء إنما انكروا ارسال البشر من جانب الله تعظيماً له تعالى بزعمهم؟

ج ــ هؤلاء قاسوا عظمة الله تعالى وكبرياءه بالطغاة وكبريائهم حيث يهتمون بمظاهر العظمة في اختيارهم لرسلهم وممثليهم، بينما الباري تعالى يراعي الحكمة ومصلحة العباد وإقامة الحجة عليهم التي تنسجم مع كون الرسول بشراً مثلهم، من دون أن يكون محتاجاً لهم، بعكس الطغاة الذين يحرصون على التكبر وابراز قوتهم وسلطانهم أمام الآخرين، وهذا الحرص إنما يعبّر عن نقص فيهم، فقياس الباري عزَّ وجلَّ عليهم ينمّ عن جهل بحقيقة عظمته وقدره تعالى.

س ٢٩٠ــ من هؤلاء الذين تشير الآية إلى إنكارهم إرسال البشر؟ فاليهود لا ينكرون ذلك، لأنهم يعترفون بأنّ نبيهم بشر، والمشركون لا يعترفون بنبوة موسى فكيف يحاججهم بقوله: ((قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)) (١٣).

ج ــ لعلّ المقصودين في الآية بعض اليهود الذين كانوا يظاهرون المشركين على المسلمين و يوادونهم ويصرفونهم عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ عندما يسألهم أولئك المشركون ــ كما أكدتها المصادر التاريخية وأشار إليه قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً)) (١٤).فكان هؤلاء اليهود يوهمونهم أن الله لا يرسل بشراً لعباده، خاصة إذا لاحظنا سطحية الثقافة الدينية لكثير من المشركين، وجهلهم بأُسس الديانة اليهودية وكون نبيّهم موسى(عليه السلام) بشراً، بل قد لا يعرفون عنها إلاّ أنها ديانة سماوية فحسب، وقد ساعد انطواء اليهود على أنفسهم وعدم التبشير بدينهم على جهل المشركين به.

((وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)) (٩٢).

س ٢٩١ ــ إذا كانت مهمة النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) إنذار أُم القرى ــ مكة ــ ومن حولها، فكيف تكون رسالته عالمية؟

ج: ١ ــ منشأ هذا التوهم تفسير (الحول) بالمحيط القريب، بينما نجد الاستعمال القرآني لهذه اللفظة في غير ذلك، كما في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى))(١٥). قال الطبرسي: ((معناه: ولقد أهلكنا ــ يا أهل مكة ــ ما حولكم، وهم قوم هود، وكانوا باليمن، وقوم صالح بالحجر، وقوم لوط على طريقهم إلى الشام)) (١٦). وكذلك في سورة العنكبوت: ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ))(١٧).

٢ ــ الملاحظ أن الآية لم تعبّر (مكة وما حولها) ،وهذا يوحي أنه ليس المنظور إليها بما هي بقعة خاصة وما يحيط بها جُغرافياً، بل في كلتا الآيتين استخدم لفظ (أُم القرى) وكأنه لتأكيد مركزية مكّة بالنسبة للبقاع الأُخرى، بسبب وجود الكعبة البيت الحرام فيها، والعرب تسمي كلّ أمرٍ جامع (أُمّاً)، وقد حكي عن ابن عباس أنّ سبب تسمية مكة بذلك أن الأرضين دحيت من تحتها ومن حولها، وقال أبو بكر الأصم: ((سميت بذلك، لأنها قبلة أهل الدنيا فصارت هي كالأصل وسائر البلاد والقرى تابعة لها)) (١٨) واختصاص هذا الأمم بمكة شاهد على عدم النظر إليها بما أنها بقعة معيّنة.

٣ ــ لو فرضنا ظهور الآية في البقعة الجغرافية المحدّدة فقد يكون من باب التأكيد أو باعتبار أنّ ذلك كان الأُفق المتيسّر للرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) آنذاك، ولذلك نراه(صلى الله عليه وآله وسلّم) قد وسّع دائرة رسالته فيما بعد لتشمل أهل يثرب ثمّ الجزيرة العربية، ومن بعدها الروم والفرس وغيرهم من الشعوب، من دون ان يعترض عليه أحد من المسلمين وغيرهم بمثل هذه الآية.

س ٢٩٢ ــ كيف يقول ((وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ)) مع أن اليهود والنصارى يؤمنون بالآخرة و لا يؤمنون بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ولا بالقرآن؟

ج ــ لعلّ المقصود منهم الذين يحرّكهم ايمانهم ويدعوهم إلى تحري الحقيقة حيث يوصلهم ذلك إلى صدق الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) والإيمان برسالة الإسلام والعمل بأحكامه، أما غيرهم فبحكم غير المؤمنين بالآخرة، ولذلك عطف على الإيمان بالرسول

أو القرآن المحافظةَ على الصلاة، مع أنّ ذلك لا يعمّ كل أهل الكتاب، بل القسم الأول منهم فحسب.

((إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ))(٩٥).

س ٢٩٣ ــ هل أنّ فلق الحب والنوى مختص بالله تعالى؟

ج ــ نعم، لأن المقصود منه فلق الحبة ليخرج منها النبات وفلق النوى ليخرج منها النخل والشجر، لا مجرّد الشق الذي هو من الأمور العادية.

((لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير))(١٠٣)

س ٢٩٤ ــ لماذا خصّ الأبصار بالذكر مع أن كل الحواس لا تدركه وهو يدركها؟

ج ــ لعلّه باعتبار أن البصر هو الحاسة الوحيدة التي هي مثار توهّم إدراك الله تعالى بها، ولذلك اقتصر ادعاء المنحرفين بإدراكه بالبصر دون غيره، وصارت مسألة رؤيته تعالى من مسائل علم الكلام ــ العقائد ــ دون غيرها.

((وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))(١٠٥)

س ٢٩٥ ــ الهدف من تصريف الآيات هو هداية الناس لا ضلالهم، فكيف يقول ((وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)) أي حفظته وتعلّمته من أهل الكتاب، فهل ضلالهم المذكور هدف لتصريف الآيات؟

ج ــ هذه اللام ليست للتعليل ــ كما ابتنى عليه السؤال ــ وإنما هي لام العاقبة والصيرورة التي تدخل على نتيجة الفعل مثل اللاّم في قوله تعالى **((فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً))**(١٩) مع أنّ التقاطهم لموسى(عليه السلام) لم يكن بهذا الهدف، وإنما ترتّب ذلك من دون أن يكون مقصوداً لهم.

((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ))(١٠٧)

س ٢٩٦ ــ ما هو الفرق بين الحفيظ والوكيل؟

ج ــ قال الطبرسي: ((.. فانّ الحافظ للشيء هو الذي يصونه عمّا يضرّه، والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير إليه)) (٢٠) ،وربما يكون المقصود من الحفيظ المسؤول، ومن الوكيل المهيمن، والمعنى أن الله تعالى لا يحاسب رسوله على كفرهم لأنه ليس مسؤولاً عن موقفهم، ولم يجعل له سلطة وقدرة تكوينية تردّعهم عن كفرهم لأنه ليس مهيمناً عليهم.

((كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))(١٠٨)

س ٢٩٧ ــ كيف ينسب الله تعالى التزيين لنفسه، وفي آيات اخرى نسبه للشيطان، منها قوله تعالى: ((وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ))؟

ج ــ نسبة التزيين للشيطان لأنه سببه، ونسبته لله تعالى باعتبار أنّ كلّ شيء بقضائه و قدره، كما قال تعالى: **((فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ))**(٢١)، مع أن للهداية والضلال أسبابهما.

((وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ))(١٠٩)

س ٢٩٨ ــ إذا كانوا يؤمنون عند مجئ الآية التي طلبوها ــ كما توحي به الآية الكريمة ــ فلماذا لم ينزّلها الله تعالى وهو اللطيف بعباده الذي يريد لهم الهداية والسعادة؟

ج ــ أولاً: إن الهدف من إنزال الآيات إقامة الحجة عليهم، وينزّل الله الآيات التي تكفي لإقامة الحجة على الناس، ولو ابتنى إنزال الآيات على الاستجابة لطلب الأشخاص والجماعات لارتبكت مواقف الأنبياء، لأنّ طلبات ورغبات الأشخاص وتوقيتها غير منضبطة.

ثانياً: ذكر بعض المفسّرين أن (لا) ليست نافية، وأن المعنى: وما يشعركم أنهم يؤمنون؟ فيكونون مثل قوم صالح الذين طلبوا الناقة وعقروها فيما بعد، فاستحقوا العذاب والفناء في الدنيا، بينما شاء الله أن لا يفني هؤلاء، بل يفسح لهم الفرصة أو لأبنائهم للإيمان برسالة الإسلام الذي أراد لهم أن يحملوها إلى الأُمم الأخرى لتبقى خالدة وتنتشر.

((وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ))(١١١)

س ٢٩٩ ــ لماذا لم يشأ الله هدايتهم؟

ج ــ لأن هذه المشيئة تكوينية، فلا يكون ايمانهم اختيارياً، وهو لا فائدة فيه، إذ انّ الله تعالى أراد لهذه الدنيا أن تكون دار اختبار بحيث يتحمل الإنسان مسؤوليته باختياره.

((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))(١١٧)

س ٣٠٠ ــ حيث أنّ لفظة (أعلم) مضافة إلى اسم الموصول، فيكون معناه أن الله تعالى من المضلين؟

ج ــ كلاّ، ليست هي مضافة إلى اسم الموصول، بل اسم الموصول (مَن) إما مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: إن ربّك هو أعلم يعلم من يُضل..الخ كما ذهب إليه بعض النحاة، أو منصوب بنزع الخافض أي بحذف حرف الجر، والتقدير: أعلم بمن يضل، والذي حسّن الحذف كونُ المجرور طويلاً ــ أي اسم الموصول وصلته ــ ووجود الباء في قوله: بالمهتدين، فحذفها هناك تجنباً لتكرارها.

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاّ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ))(١٢٣)

س ٣٠١ ــ إذا كان علّة جعل الأكابر في كل قرية مكرهم فيها، فيكون مكرهم مراداً لله تعالى؟

ج ــ كلاّ، لأن هذه اللام ليست لام التعليل، وإنما هي لام الصيرورة، ويسميها النحاة لام العاقبة، وهي تدخل على النتيجة من دون أن تكون هي الغاية والهدف، نظير اللام في قوله تعالى ((فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً)) فإن هدفهم من التقاط موسى(عليه السلام) أن يصير لهم ولداً مؤنساً، لا عدواً وحزنا، لكن النتيجة كانت غير ذلك.

((قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ))(١٢٨)

س ٣٠٢ ــ إذا كان الكفار خالدين في النار ــ كما تضمنته بعض النصوص ــ فما هو وجه الاستثناء بقولــه: ((إلاّ أَنْ يَشَاءَ اللَّه))؟

ج ــ هناك عدة وجوه لهذا الاستثناء، فقد يكون الملحوظ فيه بعض المنحــرفين من غير الكافرين بالله تعالى، أو لاستثناء خصوص المستضعفين مهن الكفار حيــث لا دليل على خلودهم، أو للإشارة إلى أن الأمر لا يخرج عن مشيئة الله تعالى حتّى بعــد إدخالهم النار واستحقاقهم الخلود فيها لكفرهم.

((وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا))(١٣٦)

س ٣٠٣ ــ من هؤلاء الشركاء؟

ج ــ يبدو أن المقصود منهم الأصنام التي كانوا يعبــدونها، وإنمــا اعتبــروهم شركاء، لأنهم فرضوا لهم نصيباً في أموالهم، فصاروا شركاء لهم.

((وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُم))(١٣٧)

س ٣٠٤ ــ إذا كان الشركاء هم الأصنام فكيف تزيّن لهم ذلك وهــي جمــادات غيــر عاقلة؟

ج ــ لعل نسبة التزيّن للأصنام باعتبار أنّهن وســيلة الإضــلال الــذي أوجــب ابتعادهم عن الفطرة وشرع الله تعالى، كما نسب الإضلال إليها في قولــه تعالى: **((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ))** (٢٢).

ويمكن أن يكون المقصود من الشركاء هم الذين يقومون بشؤون الأصنام، وهــم بمنزلة رجال دينهم، أو أن المقصود الشياطين.

((وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ))(١٣٨)

س ٣٠٥ــ توحي الآية أنهم كانوا يذكرون اسم الله على بعض الأنعام الأخرى مع أنّهم ــ لكفرهم ــ لم يكونوا يذكرون اسم الله على الجميع؟

ج ــ كثيراً من العرب أو اكثرهم كانوا مشركين، فهم يؤمنون بـــالله ويشـــركوو معه غيره. وبالنسبة للآية الكريمة يبدو أنها تشير ــ كما ذكره بعض المفسّرين ــ إلـــى ما كانوا يعتقدونه من حرمة الركوب للحج ــ وما يتخلله من ذكر الله ــ على صـــنف من الأنعام.

((...إلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ))(١٤٥)

س ٣٠٦ ــ لماذا خصّ الدم المحرّم بالمسفوح؟

ج ــ لأن غير المسفوح كالذي يكون في الكبد والعروق الدقيقة غير محرّم.

((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ))(١٥١)

س ٣٠٧ ــ إذا كان بصدد بيان ما حرّمه الله فكيف يستعرض ما كان مطلوباً لله تعالى مثل عدم الشرك والإحسان للوالدين وعدم قتل الأولاد؟

ج ــ كأن التحريم هنا مضمّن معنى التشريع والجعل لا خصوص التحـــريم، أو باعتبار أن هذه التشريعات وإن تضمّنت صيغة الطلب، لكن جوهرهـــا التحـــريم، لأن المجعول هو حرمة (٢٣) الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل الأولاد وممارسة الفاحشـــة وقتل النفس المحترمة.

((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ))(١٦٠)

س ٣٠٨ ــ ما معنى مضاعفة أجر الحسنة مع أن كل زيادة هي ضـــمن الأجـــر لتلـــك الحسنة لا ضعفها؟

ج ــ تصوُّر التضعيف بالنسبة للإحسان إلى الناس واضح، فمن تصـــدّق علـــى فقير بدينار يعطى ثواب من تصدّق على عشرة فقراء كرماً تفضـــلاً مـــن الله تعـــالى، وبالنسبة للعبادات ونحوها يعطى ثواب من ضاعفها عشر مرات، كمـــا أشـــارت إليـــه بعض النصوص، ففي الحديث عن الإمام جعفر الصادق(عليه الســـلام) عن أبيـــه الإمـــام الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وســـلّم): ((من صام ثلاثة أيام في

الشهر، فقيل له: أنت صائم الشهر كلّه، فقال: نعم. فقد صدق، لأنه قال: ((مَـنْ جَـاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)) (٢٤).

((قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))(١٦٢)

س ٣٠٩ ــ ما معنى كون حياته ومماته لله تعالى؟

ج ــ باعتبار أن الله تعالى فاعلهما وأنّهما بيده، فهو المحيي والمميت.

((وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))(١٦٤)

س ٣١٠ ــ كيف ينسجم ذلك مع مضمون قولــه تعالى: ((لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَــوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ))(٢٥)؟

ج ــ تلك الآية تتحدث عن براءة كل إنسان عن تحمّل الأوزار التي لا ترتبط به، ولا ينافي ذلك تحمّل رموز الضلالة لأوزار من خدعوهم وأضلّوهم ومشاركتهم إيــاهم في المسؤولية ــ كما تضمنته الآية ــ لأن هذه الأوزار تنسب إليهم وتكون من جملــة أوزارهم، لكونهم السبب فيها حيث سنّوها، كما جاء في الحــديث عــن أبــي جعفــر الباقر(عليه السلام): ((وأيّما عبد من عباد الله سنّ سنة ضلالة كان عليه وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)) (٢٦).

((إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))(١٦٥)

س ٣١١ ــ كيف يوصف الله تعالى بأنه سريع العقاب من أن حلمه طويل وعقابه مؤجل في العادة إلى يوم القيامة؟

ج ــ إن ما نراه بعيداً قريب عند الله تعالى، لأنه أزلي سرمدي، فكــل فاصــل زمني كلا شيء بالنسبة إلى سرمديته ودوامه ولذلك قال تعالى: ((إِنَّهُمْ يَرَوْنَــهُ بَعِيــداً *وَنَرَاهُ قَرِيباً)) (٢٧) أو باعتبار أن الزمن في الحقيقة يجري ســريعاً حيــث لا يلبــث العمر بل الحياة أن تفنى وتنتهي، كما قال الشاعر:

دقّات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوانٍ

والذي أوجب غفلة الإنسان عن هذه الحقيقة انشغاله بشؤونه وبما يحيط به مــن أحداث. اللهمّ بصّرنا في أنفسنا ولا تجعلنا من الغافلين.

(١) سورة الأحزاب:٤٥ ــ٤٦.

(١) القاموس المحيط: ٢/٢٢٧.

(١) تقدم في صحفة ( ).

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص ١٤٠.

(٢) سورة الرعد: ١١.

(٣) سورة الانفطار: ١٠- ١٢.

(٤) سورة السجدة: ١١.

(٥) سورة الزمر: ٤٢.

(٦) تاج العروس: ٨ / ٣٨٤.

(٧) لسان العرب: ٨/ ٢٢٢.

(٨) مجمع البيان: ٤ / ٤٩٧.

(٩) تاريخ الأُمم والملوك: ١ / ١٦٢.

(١٠) يراجع التفسير الكبير: ١٣ / ٤٠.

(١١) التفسير الكاشف ــ نقلاً عن الآلوسي ــ: ٣ / ٢١٣.

(١٢) يراجع تاريخ الأمم والملوك: ١ / ١٦٤.

(١٣) سورة العنكبوت: ٩١.

(١٤) سورة النساء: ٥١.

(١٥) سورة الأحقاف: ٢٧.

(١٦) مجمع البيان: ٩ / ١٣٨.

(١٧) سورة العنكبوت: ٦٧.

(١٨) التفسير الكبير: ١٣ / ٨١.

(١٩) سورة القصص: ٨.

(٢٠) مجمع البيان: ٤ / ٥٣٦.

(٢١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢٢) سورة إبراهيم: ٣٥ ــ ٣٦.

(٢٣)أعم من الحرمة الإرشادية، كما في الشرك بالله تعالى، والحرمة التشريعية، كما في الباقيات.

(٢٤) تفسير العياشي: ١ / ٤١٥.

(٢٥) سورة النحل: ٢٥.

(٢٦) بحار الأنوار: ٧١ / ٢٥٨.

(٢٧) سورة المعارج:٦، ٧.

سورة الأعراف

((كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ))(٢)

س ٣١٢ ــ ما هو وجه الحرج المذكور في الآية؟

ج ــ باعتبار عظم المسؤولية الملقاة على النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) بتبليغه كتاب الله تعالى، وما يتوقعه من معارضة المشركين وغيرهم ومواجهتم له.

((وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ))(٨ ــ ٩)

س ٣١٣ ــ إذا كان الوزن هو الحق، فكيف يتعدد فيكون بعضها ثقيلاً وبعضها خفيفاً؟

ج ــ الوزن هو المقياس، ففي يوم القيامة يكون المقياس هو العدل من دون شائبة ظلم وإجحاف، ولذلك قال تعالى: ((وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ))، وأما الموازين فالمقصود منها الموزونات من الأعمال الصالحة، وهي التي تكون ثقيلة أو خفيفة تبعاً لأفعال أصحابها في الحياة الدنيا.

س ٣١٤ ــ ما معنى ظلمهم بآيات الله تعالى؟

ج ــ كأنّ الظلم هنا مضمّن معنى الإنكار والجحود، فكأنه قال: (بآياتنا يجحدون) أي بسبب جحودهم بها.

((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ))(١١)

س ٣١٥ ــ أليس خلق الله أبا البشرية آدم بعد تصويره فيكف يقول: ((خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ))؟

ج ــ بما أن المادة التي خُلق منها آدم هي الطين، فكانت هذه المرحلة قبل التصوير، ومن بعدها كان نفخ الروح فيه والأمر الفعلي للملائكة بالسجود.

((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ))(١٢)

س ٣١٦ــ كيف قال ((مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ)) مع أن ابليس امتنع من السجود لا مــن عــدم السجود؟

ج ــ كأنّ المنع هنا مضمّن السبب، أي ما الذي أوجب عدم الســجود؟ ولعــلّ النكتــة البلاغية في ذلك أن الذي تحقق بالفعل هو عدم السجود لا السجود، فكان مــن المناســب السؤال عن المبرّر لعدم السجود، واستخدم لفظة المنع باعتبار أن جواب إبليس تضمّن ذكر المانع لــه من السجود. وهذه اللفتات البلاغية تزيد من روعة الكلام وبلاغته.

((فَدلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ))(٢٢)

س ٣١٧ ــ ما هو الوجه في غُرور ابليس؟

ج ــ المقصود من الغرور هنا الخديعة، كما تقول غرّني فلان أي خدعني.

س ٣١٨ ــ ما هي العلاقة بين الأكل من الشجرة وظهور السوءة؟

ج ــ السوءة كباقي أعضاء الجسم، وإنما اعتبرت سوءة وعورة بحيث يستحيي الإنسان من كشفها، باعتبارها محلاً لخروج الفضلات وكذلك كونها الأعضاء التناسلية، والذي يبدو من الروايات وغيرها أن هذه الشجرة تختلف بطبيعتها عن شجر الجنّة، فلعلّ آدم وحــواء بعد الأكل من تلك الثمرة أحسّا بتفعيل تلك الأعضاء، فأصابهما الحياء من كشفها، فســعيا إلى التغطية من ورق الجنّة، وعلى هذا الوجه يكون ظهور السوءة بمنى الإحساس بأنّ هذه الأعضاء عورة ينبغي سترها بعد أن لم تكن كذلك قبل الأكل من الشجرة، فكان جوّ الجنّــة حاجباً ومانعاً من تفعيل هذه الأعضاء، فأزاله أبليس باغوائه، فكأنه رفــع ذلــك الحاجــب وأبرز العورة.

((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ))(٣٤)

س ٣١٩ ــ إذا حلّ الأجل فلا يعقل تقدّمه حتى يصح نفيه؟

ج ــ يبدو أن المقصود حلول الأجل بالمعنى العرفي لا حلولــه بالدقة العقلية، كما تقول (حلّ وقت مجئ الحجيج) إذا كان قريباً. وكأن المنظور في الآية الكريمة حثّ الأمم علــى تحمّل مسؤوليتها، قبل فوات الفرصة، لأن لكلّ أُمة أمداً محدّداً، فاذا قرب ذلك الأمد تفوت الفرصة على الأمة.

((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)) (٣٧)

س ٣٢٠ ــ ما هو نصيبهم من الكتاب؟

ج ــ هو العذاب الذي تضمّنه الكتاب، كما في قولــه تعالى ((وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)).

((قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ))(٣٨)

س ٣٢١ ــ كيف ينسجم مضاعفة العذاب للإتباع مع قولــه تعالى ((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)) (١)؟

ج ــ لعلّ المقصود من الضعف شدة العذاب ومضاعفته عما كان يخطر في بالهم، فان ما يواجههم من العذاب فوق ما يتصورونه، وليس المقصــود مضــاعفة العــذاب الــذي يستحقونه.

((وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ))(٤٦)

س ٣٢٢ ــ من هم أصحاب الأعراف؟

ج ــ اختلف المفسرون في ذلك على أقوال:

(منها) انّهم من استوت حسناتهم وسيئاتهم، يكونون في المنطقة الفاصــلة بــين الجنّــة والنار.

(ومنها) انّهم ذووا مقامات شامخة كالأنبياء والأئمة، وقيــل الملائكــة يكونــون علــى الأعراف، وهو مرتفع يشرف على الجنّة والنار، ويشــهد لهــذا الــرأي مجموعــة مــن النصوص(٢)، وكذلك اهتمام القرآن بهم، وطبيعة الخطاب المحكي عنهم ((وَنَادَى أَصْحَابُ الأعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَــا كُنْــتُمْ تَسْــتَكْبِرُونَ* أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُــوا الْجَنَّــةَ لا خَــوْفٌ عَلَــيْكُمْ وَلا أَنْــتُمْ تَحْزَنُونَ))(٣).

((وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ))(٥٠)

س ٣٢٣ ــ لماذا خصّ الماء بالذكر مع أن أهل النار فاقدون لكل شيء؟

ج ــ لأن أهم ما يطلبه الداخل في النار والمحترق فيها هو الماء.

((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ)) (٥٣).

س ٣٢٤ ــ ما معنى انتظار تأويله؟

ج ــ التأويل هنا بمعنى مآل الوعد الإلهي وتطبيقه على الأرض الواقع.

((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))(٥٤)

س ٣٢٥ ــ كيف نفترض وجود اليوم قبل خلق السموات والأرض مع أنه متفرّع على وجود الأرض والشمس؟

ج ــ ذكر اللغويون أن من معاني اليوم الوقت، قال ابن منظور: ((وقد يراد باليوم الوقتُ مطلقاً)) (٤).

وعلى هذا فيكون المعنى أنّ الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أوقات أي ست مراحل. وربما يكون المقصود من الأيام الستة مقدارها. والله العالِم.

س ٣٢٦ ــ ما معنى الاستواء على العرش؟

ج ــ ذكر العلماء أن العرش هو عالم التكوين، لأنه هو مساحة مُلك الله تعالى، فهو تعالى أحاط واستولى على عالم التكوين، كما ان استواء المَلِك على العرش كناية عن سيطرته على مُلك بلده.

س ٣٢٧ ــ ما هو الفرق بين الخلق والأمر؟

ج ــ الخلق إيجاد الشيء من العدم، والأمر إدارة شؤونه، وكل ذلك بيد الله تعالى فهو الخالق والمدبّر.

((إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)) (٥٦)

س ٣٢٨ ــ لماذا لم يتبع خبر ((إنّ)) اسمها في التأنيث، فيقول: (إنَّ رحمت الله قَرِيبــة) وليس: ((إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ...))؟

ج ــ هذا جائز لعدة وجوه..

الأول: ان الوصف الذي يكون على وزن ((فعيل)) اذا وقع وصفاً او خبــراً للمؤنــث يجوز الحاق التاء به ويجوز عدم الحاقها(٥).

الثاني: ان المضاف قد يكتسب حكم المضاف إليه اذا صح الاستغناء عنــه، فالرحمــة تكتسب حكم التذكير من المضاف إليه ((لفظ الجلالة)) فيكون خبرها مذكّراً(٦).

((قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ))(٧١)

س ٣٢٩ ــ ما هو الرجس الواقع عليهم من الله؟

ج ــ الرجس هنا بمعنى العذاب، فبعد أن أصرّوا على الكفر صار عذابهم محتوماً فكأنه قد وقع عليهم.

((قَالَ الملأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ))(١١٠)

س ٣٣٠ ــ ان موسى (عليه السلام) دعاهم إلى عبادة الله، فكيف اتهموه بأنــه يريــد أن يــخــرجهم من أرضهم؟

ج ــ يبدو أن الهدف من هذا الاتهام إثارة حفيظة العامة وتأليبهم علــى موســى (عليــه السلام)، لتصوير الخلاف بينه وبين فرعون مصلحياً للسيطرة على الحكم والملك لا عقائدياً، وبما أن فرعون من الأقباط وموسى من بني إسرائيل ــ الجماعة المسحوقة والمستضــعفة ــ فمن الطبيعي أن يلتفّ الأقباط حول فرعــون وعبادتــه ويعارضــوا دعــوة موســى، لاصطدامها بمصلحتهم ومصيرهم. ومن ناحية أُخرى يوفر هذا الاتهام ذريعــة لفرعــون للبطش بمن يؤمن بدعوة موسى(عليه السلام)، باعتباره خائناً لقومه ووطنه وقــد أكــدّ ذلــك خطاب فرعون للسحرة ــ بعد أن آمنوا بالله تعالى ــ: ((قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُــونَ)) (٧)، كمــا يفعل كل الطغاة حينما يوحون أنّ معارضتهم خيانة عظمى للأُمة والوطن.

((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))(١٣٨).

س٣٣١ ــ لماذا طلبوا أن يجعل لهم إلهاً مع أنّهم كانوا مؤمنين بالإله، وإذا كانوا معجبين بفكرة تعدّد الآلهة فكان المفروض أن يطلبوا أن يجعل لهم آلهة لا إلهاً واحداً؟

ج ــ إن هؤلاء لم يستوعبوا تجرّد الإله عن المادة، فكانوا يطلبون إلهاً مادياً يشاهدونه، وقد بقيت هذه الأُمنية في أنفسهم حتى أن أكابرهم وعلماءهم أبرزوها في مناجاتهم لله تعالى في الميقات فقالوا ((أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً)) (النساء: ١٥٣).

والحقيقة أن هذه المشكلة لا تقتصر على بني اسرائيل، بل الأُمم الاخرى أيضاً تعيش وهم الإله المادي الملموس، حتّى ان اتباع الأديان التوحيدية لم يلبثوا طويلاً بعد رحيل أنبيائهم حتى انحرفوا، فتشوّهت فكرة الإله عندهم.

ومن هنا نعرف عظمة الإسلام وأهمية جهود العلماء المسلمين، خاصة الدور المتميز لآل البيت(عليهم السلام)، ومن بعدهم تلامذتهم ورواد مدرستهم الذين تمكنوا من تثبيت فكرة التوحيد ناصعة لدى الأُمة.

((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ))(١٤٣).

س٣٣٢ ــ كيف يطلب موسى (عليه السلام) رؤية الله تعالى مع أنه سبحانه منزّه عن الجسم والرؤية؟ ولماذا لم يعاقبه الله تعالى كما عاقب النخبة من بني اسرائيل بالصاعقة عندما قالوا: ((أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً))(النساء: ١٥٣)؟

ج ــ ١ ــ هناك فرق بين عدم التجسيم واستحالة مطلق الرؤية، كما نلاحظ أن النائم يرى في منامه مشاهِد غير مادية، ــ يطلق عليها الفلاسفة عالم المثال ــ ولا دليل على أن موسى (عليه السلام) طلب خصوص الرؤية المألوفة للأجسام، بل لعلّ هدفه مجرَّد زيارة الوضوح والتجلّي، وهي تتحقق بأي نحوٍ من أنحاء الرؤية، ولو من خلال عوالم أخرى غير مادية. والله العالم.

٢ ــ الفرق بين موسى (عليه السلام) وأولئك النخبة من بني اسرائيل ان موسى (عليه السلام) لم يربط إيمانه برؤية الله تعالى، بينما أولئك تعنتوا في طلبهم وعلقوا ايمانهم برؤيته تعالى فقالوا: ((... لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...)) (٨). ولعلّه لذلك عاقبهم الله ولم يعاقب موسى (عليه السلام).

((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ))(١٤٥).

س٣٣٣ ــ ما هو الأحسن الذي أُمر بنو اسرائيل بالأخذ به؟

ج ــ ليس المقصود انتقاء بعض تعاليم التوراة دون غيرها، بل حيث كانت التوراة تتضمن الموعظة من خلال الإشارة إلى ممارسات وقصص الأُمم السالفة الإيجابية منها والسلبية، فيفترض ببني اسرائيل الاعتبار بذلك من خلال الاقتداء بالمؤمنين وتجنّب ممارسات الفاسقين، وهذا هو معنى الأحسن الذي يأخذونه في مقابل النموذج السيء الذي يتجنّبونه.

س٣٣٤ ــ ما هي دار الفاسقين؟

ج ــ لعلّه إشارة إلى تمكينهم من دخول الأرض المقدسة حيث كان يحكمها العمالقة الكافرون بالله آنذاك.

((وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِي الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))(١٥٠ ــ ١٥١)

س٣٣٥ ــ أليس غضب موسى على أخيه ينافي عصمته؟

ج ــ كلاّ، فانّ من الطبيعي أن يسائل القائدُ نائبه عندما يجد انحرافاً في قومه عند غيبته، ومن الطبيعي أن ينعكس غضبه من سلوك قومه على حالته النفسية عند مساءلة أخيه الذي حمّله مسؤولية رعايتهم في غيابه، ولم يصدر من موسى (عليه السلام) اعتداء أو تفسيق لأخيه حتى ينافي عصمته.

س٣٣٦ ــ ألا يعني دعاؤه بالمغفرة له ولأخيه صدور المعصية منهما؟

ج ــ كلاّ، لأن المغفرة هي الستر ،وهي كما تتعلق بالمعصية تتعلق بغيرها من مواطن الضعف الإنساني التي يرغب الإنسان بسترها وتجاوزها، ومن الواضح هنا أن موسى وهارون لم يصدر منهما ذنب في قضية عبادة العجل حتى يطلبا غفرانه، إذ موسى(عليه

السلام) لم يكن حاضراً بينهم، وهارون استنفذ طاقته في ردعهم، لكنهم استضعفوه وكـــادوا يقتلونه.

((وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا...))(١٦٠).

س٣٣٧ ــ لماذا لم يذكّر العدد ويأت بمعدود مفرد فيقول: ((اثني عشر ســبطاً))، ولــيس ((اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا)) كما هي القاعدة المعروفة؟

ج ــ المعدود ــ الذي يسميه النحاة التمييز ــ ليس هو ((أسباطاً)) كما قد يتوهّم، بــل المعدود محذوف وهو ((فرقة))، وبما انّ المعدود مؤنث، ألحق التاء مكرّرةً بالعدد ((اثنتي عشرة)).

وأمّا ((أسباطاً)) فهي جمع ((سِبط)) بمعنى ((قبيلة)) خاص في أحفاد اسحاق، قال ابــن منظور: ((قالوا: والصحيح أن الأسباط في ولد اسحاق بن ابراهيم بمنزلة القبائل في ولــد اسماعيل عليهم السلام، فولد كلّ ولد من ولد اسماعيل قبيلة، وولد كل ولد من ولد اســحاق سِبط. وإنّما سمّي هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصــل بــين ولــد اســماعيل وولــد اسحاق..))(٩).

وعلى هذا الأساس تعرب ((أسباط)) بدلاً من ((اثنتي عشرة)) وليست تمييزاً حتى تكون بصيغة المفرد، والمعنى ((وقطّعناهم أسباطاً)) للإشارة الى انّ هذا التقطيع الى اثنتي عشرة فرقة على اساس انتساب أفراد كل فرقة إلى سبط خاص من أسباط اسحاق(عليــه الســلام)، وليس عشوائياً.

((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ))(١٧٣)

س٣٣٨ ــ كيف أخذ الله هؤلاء الذرية وكيف أشهدهم على أنفسهم؟

ج ــ هناك عدة آراء للعلماء والمفسرين، أهمها قولان:

القول الأول: ان الأية الكريمة اشارت إلى ما تضمنته النصوص المروية في العديد من المصادر الحديثية(١٠) من الله تعالى أخرج ذرية آدم ــ في عالم الذر أو ما قبــل النشــاة الدنيوية ــ.

القول الثاني: ان مضمون الآية اشارة إلى خلق البشرية من الأصلاب وتكاملهم واقامــة الحجة عليهم من خلال تزويدهم بالعقل القادر على ادراك الحقيقة ومعرفة ربهم.

((وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ))(١٨١).

س٣٣٩ ــ مَن هذه الأُمة الذين يحملون لواء الحق ويحكمون به؟

ج ــ ليس المقصود من الأُمة عشيرة أو شعباً معيّناً، بل الجماعة الذين تجمعهم العقيدة أو الموقف، وهم ــ في الآية ــ الدعاة إلى الله تعالى وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل وأوصياؤهم، كما قال تعالى ((وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)) إشارة إلى الجماعة المؤمنة الرسالية من بني إسرائيل، فهم أمة في مقابل غيرهم.

س٣٤٠ ــ كيف أشهد الله ذرية آدم على أنفسهم؟

ج ــ فسّر ذلك بعض المفسرّين بعالم الذّر، وانه تعالى قد أقام الحجة على البشرية ــ ذرية آدم ــ قبل خلقهم المادي وأشهدهم على ذلك، واستدلّ هؤلاء بمجموعة من النصوص التي تتحدث عن ذلك العالم وتلك الشهادة فيه.

بينما حمل آخرون الآية على الإشارة إلى طبيعة خلق الإنسان ومنحه العقل الذي يؤهله لتمييز الحق من الباطل ومعرفة ربه، وأنه يكون الحجة عليه رغم الظروف التي يعيشها بعض الناس في المجتمعات والأُسر الكافرة، فانها لا تحجب عقولهم عن إدراك الحقيقة وقيام الحجة عليهم.

((ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إلاّ بَغْتَةً))(١٨٧).

س٣٤١ ــ ما معنى ثقل الساعة في السموات والأرض؟

ج ــ باعتبار ما يقترن بها من أحداث وأهوال تنعكس على السموات والأرض، كما تقول هذا اليوم عصيب، باعتبار ما اقترن به من حوادث.

((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ *فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ))(١٨٩ ــ ١٩٠)

س٣٤٢ ــ من هذان الزوجان اللذان جعلا لله شريكاً بعد أن أنعم عليهما بالولد؟

ج ــ قد لا تكون الآية مشيرة إلى شخصين معيّنين، وإنما هي إشارة إلى موقف كثير من الناس الذين يلحّون على الله تعالى في حاجاتهم متعهّدين آنذاك بشكره تعالى، ثمّ بعد أن

يستجاب دعاؤهم ينكصون وينسون ربّهم أو يجحدونه، كما تحدثت آيات أُخرى عن الـــذين يدعون ربّهم عند الشدّة ويشـــركون به بعد رفعها مثل قولـــه تعالى ((فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ))(١١).

((إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))(١٩٤)

س٣٤٣ ــ كيف جعل الذين يدعونهم عباداً مع أنها أصنام جامدة؟

ج ــ كأن المقصود من الـــ((عِبَاد)) معناها الاشتقاقي، لأن التعبّد في اللغة التذلّل، يقال طريق معبّد أي مسلوك مذلّل، فيكون في الآية إشارة إلى أنّ هذه الأصنام مخلوقة وذليلة لا تملك أمراً ولا نفعاً ولا ضرّاً، فلا تستحق العبادة.

((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))(١٩٩)

س٣٤٤ ــ ما معنى العفو والعرف؟

ج ــ قيل: العفو هو المتيسّر والفاضل من نفقتهم، أي لا تثقل عليهم بالضريبة، وقيـــل: انه يشمل قبول عذرهم من دون محاسبة وتدقيق، والعرف هو المعروف.

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.
(٢) يراجع تفسير العياشي: ٢ / ٢١ ــ ٢٢ وغيره.
(٣) سورة الأعراف: ٤٨، ٤٩.
(٤) لسان العرب: ١٢ / ٦٥٠.
(٥) يراجع شرح ابن عقيل على الألفية ٤٣١/٢.
(٦) يراجع شرح ابن عقيل على الألفية ٥٠/٢.
(٧) سورة الأعراف:١٢٣.
(٨) سورة البقرة: ٥٥.
(٩) لسان العرب ٣١٠/٧.
(١٠) يراجع الكافي: ٢/ ١٢ ــ ١٣ باب فطرة الخلق على التوحيد، وسنن الترمذي: ٥ / ٢٦٦- ٢٦٧.
(١١) سورة العنكبوت: ٦٥.

سورة الأنفال

((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))(١)

س٣٤٥ ــ ما هي الأنفال؟

ج ــ ذكر الفقهاء الشيعة ــ تبعاً للنصوص الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)ــــ أن الأنفال كلّ ما يصطفيه النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) أو الإمام (عليه السلام) من الغنيمة، وكلّ أرض مُلكت بغير قتال، وكل أرض موات، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، والغابات، وصفايا الملوك وقطائعهم ــ غير المغصوبة ــ وميراث من لا وارث له، وما غنمه المقاتلون بغير إذنه(١). بينما اختلف غيرهم من الفقهاء على عدة أقوال (٢). والأنفال في الأصل جمع نفل، وهي الزيادة.

س٣٤٦ ــ ما علاقة الأمر بإصلاح ذات البين بكون الأنفال لله والرسول؟

ج ــ يبدو أنّ منحة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أو وعده بزيادة حصة بعض المقاتلين في معركة بدر أثار فئةً أخرى حتى اختلف المسلمون فيما بينهم، فنزلت الآية لتؤكد أنّ ذلك للرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) يصنع فيه ما يرتئيه وتحثّهم على إصلاح ذات بينهم. وفي الحديث عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال. فقال: فينا ــ معشر أصحاب بدر ــ نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقسّمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بين المسلمين عن بواء، يقول: على السواء(٣).

((كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ))(٥)

س٣٤٧ ــ متى أخرجه الله من بيته؟

ج ــ إشارة على خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) من المدينة إلى بدر بوحي من الله تعالى وتقديره.

((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ))(١١)

س٣٤٨ ــ ما هو الارتباط بين النعاس وشعور المقاتل بالأمن؟

ج ــ حيث لم يكن كلّ المسلمين متهيئين للقتال في ذهابهم إلى بدر، لأنّ الكثير منهم تخيّل أن الهدف هو السيطرة على القافلة التجارية لقريش، وعندما واجهوا ــ بعد ذلك ــ جيش المشركين الذي يفوقهم عُدّة وعدداً دبّ فيهم الخوف والوجل فمنعهم من النوم والاستقرار، فغشّاهم الله تعالى بالنعاس رحمةً بهم لتستقرّ نفوسهم ويزول وجلهم ويتهيئوا لقتال عدوّهم.

س٣٤٩ ــ لماذا جعل ثمرة إنزال المطر عليهم تطهيرهم؟

ج ــ لأنّهم كانوا بحاجة إلى التنظيف والاغتسال، لرفع جنابتهم وإزالة الأوساخ والغبار العالق بهم.

((فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(١٧)

س٣٥٠ ــ ألا يتضمّن نفي الرمي واثباته مناقضة؟ ولا أقل من تثبيت فكرة الجبر حتى كأنّ المسلمين لم يصدر منهم فعل؟

ج ــ كلاّ، لا شك في صدور الفعل وبذل الجهد منهم، لكن حيث كان الله سبحانه هو الذي هيّأ ظروف النصر وعوامله، وهو صاحب القضاء والتقدير فينسب الفعل والنتيجة إليه. وإن صحت نسبة الفعل كالرمي للمقاتل أيضاً. كما أوضحناه سابقا.

((إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...))(١٩).

س٣٥١ ــ كيف ينسب الفتح للمشركين مع أنهم لم يكسبوا سوى الهزيمة والخذلان؟

ج ــ يبدو أن الآية الكريمة في مقام التبكيت والردّ على المشركين حيث كانوا يطلبون الفتح، فردّهم بأن الفتح قد ظهر لكم، وفي حديث أبي حمزة الثمالي: قال أبو جهل: اللهم ربّنا ديننا القديم ودين محمد الحديث، فأي الدينين كان أحبّ إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم(٤).

((وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لاسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ))(٢٣).

س٣٥٢ ــ إذا كان الإسماع يوجب إعراضهم فكيف يُسمعهم؟

ج ــ الجملة الثانية تتحدث عن حالتهم الفعلية وهي عدم الفائدة والخير فيهم، وإسماعُهم الأول ــ المنتفي ــ إنما هو على فرض أن يعلم الله تعالى فيهم خيراً، وهو غير متحقق بالفعل، فلا مناقضة بينهما.

((وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))(٢٥).

س٣٥٣ ــ الأمم والأشخاص إنما يتقون الفتنة الإلهية بإيمانهم، أما إذا كان إيمان هؤلاء لا يقيهم منها فكيف يتقونها؟

ج ــ اتقاء الفتنة لا ينحصر بالإيمان، لأن المؤمن معرَّض للفتنة والتمحيص أيضاً، فيتّقيها بالإخلاص لله تعالى والبصيرة في دينه والصبر وتحمّل ما يصيبه من البلاء ونحو ذلك، وقد يساهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تجنّب المجتمع الفتنة، لأنه يمنع من انتشار المنكر أو يقضي عليه، فيكون اتقاء الفتنة بتعميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))(٢٩).

س٣٥٤ ــ ما هو الفرقان الذي يجعله الله للمتقين؟

ج ــ هو البصيرة التي تمكّنهم من تمييز الحق من الباطل، وتعصمهم من الفتن والانحراف.

((وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ...)) (٣٣-٣٤).

س٣٥٥ ــ أليس قوله: ((وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ...)) مناقضاً لمدلول الآية التي قبلها؟

ج ــ كلاّ، لأنّ هذه الآية تذكر وجه استحقاقهم للعذاب الدنيوي، وتلك الآية ذكرت المانع من تعذيبهم، فما دام أحد المانعين متحقّقاً فلا عذاب، ومع انتفائهما فيعذَّبون بسبب أعمالهم.

س٣٥٦ ــ كيف ينسب لأهل مكة الصدّ عن المسجد الحرام، ولم يعرف عنهم ذلك؟

ج ــ باعتبار أنهم كانوا يصدّون المسلمين عنه، وعن عبادتهم لله وإقامة طقوسهم وشعائرهم فيه.

((فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ))(٥٧).

س٣٥٧ ــ كيف يكون تشريد من خلفهم؟

ج ــ من خلال التنكيل بأولئك الناقضين للعهد يخشى غيرهم من نقض العهد، فينتابهم التفرق والارتباك والاضطراب، وهو التشريد.

((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ))(٥٨).

س٣٥٨ ــ مجرّد الخوف من الخيانة لا يسوّغ نقض العهد؟

ج ــ الآية لم تسوّغ الخيانة بمجرّد ذلك، وإنما حيث كان العهد اتفاقاً بين الطرفين فدوامه رهين بكليهما، وعندما تلوح شواهد الخيانة من طرف فمن حق الطرف الآخر إعلام خصمه بايقاف العمل بالاتفاق والعهد، وهو معنى: ((فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء)) أي ألق اليهم العهد وأبلغهم بتجميده، فيعرف الطرفان ذلك،كي لا يعتبر خيانة للطرف الآخر.

((الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ..))(٦٦).

س٣٥٩ ــ كيف ينسب العلم لله الآن وهو يستلزم جهله سبحانه من قبل؟

ج ــ هناك وجهان للجواب:

الأول ان لفظة ((الآنَ)) من ضمن الجملة الأولى ظرف متعلق بـ ((خَفَّفَ)) فهو زمان التخفيف وهو التشريع الذي تضمنته الآية بجهاد المسلمين لمن يضاعفهم عدداً لا أكثر، وليس ((الآنَ)) زماناً للعلم الإلهي الذي هو سابق على التشريع المذكور.

الثاني: ان هناك علمين بالحوادث:

الأول: هو العلم الحادث سوف يحدث، وكذلك أوصافه وخصوصياته كوقت ومكان حدوثه، ومثل هذا العلم يمكن سبقه على حدوث الحادث، وهو ثابت لله قبل حدوث الحوادث.

الثاني: هو العلم بالحدوث الفعلي للحادث، وهذا العلم يقترن زماناً بالحدوث ويتأخر ــ رتبةً ــ، ولا يعقل تقدمّه على حدوث الحادث، لأنه ما دام لا حدوث فعلي للحادث لا معنى للعلم بحدوثه الفعلي. فالعلم المذكور في الآية هو العلم الإلهي الثاني بضعفهم، والذي استتبعه التخفيف عنهم، ولا ينافي ذلك ثبوت العلم الإلهي الأول بضعفهم من قبل.

ومما لابدّ أن نشير إليه أن علم الباري تعالى ليس حصولياً، وإنما هو حضور الأشـياء لديه. وتفصيل الكلام حول ذلك في البحوث الفلسفية.

((... وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))(٧٢).

س٣٦٠ ــ إذا كانت النصرة في الدين فتجب حتى إذا كان الخصوم كفاراً معاهَدين فلمـاذا استثناهم؟

ج ــ كلاّ، فانّ ذلك يتبع طبيعة العهد والميثاق بين المسلمين والطرف الآخـر، فقـد لا يدخل ذلك ضمن بنود العهد، كما حدث نظيره في صلح الحديبية ــ تبعاً لمصالح انكشـف سرّها فيما بعد ــ حيث التزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بارجاع من يُسلم من قريش ولم يتعهد القريشيون بارجاع من يرتدّ من المسلمين.

((وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ))(٧٣).

س٣٦١ ــ ما هو وجه الارتباط بين ولاية الكافرين لبعضهم وفعل المؤمنين المـانع مـن الفتنة والفساد؟

ج ــ النصف الثاني من الآية يرتبط بالآية السابقة على هذه الآية لا بولايـة الكـافرين المذكورة في هذه الآية، والمعنى أن المؤمنين إذا لم ينصروا إخوانهم في الدين ــ وهو ما تضمنت الآية السابقة الأمرَ به ــ تكن فتنة وفساد كبير.

---

(١) يراجع وسائل الشيعة: ٣٦٤/٦ وما بعدها، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام.

(٢) يراجع بداية المجتهد: ٤١٢/١ وما بعدها.

(٣) مسند أحمد:٣٧٩/٥: حديث: ٢٢٨١٤.

(٤)يراجع تفسير القرآن لأبي حمزة الثمالي: ١٨٤.

سورة التوبة

س ٣٦٢ ــ لماذا لم تبدأ السورة بالبسملة كما في بقية السور؟

ج ــ روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه لم ينزل ((بسم الله الرحمن الرحيم)) على رأس سورة براءة، لأنّ بسم الله للأمان والرحمة، ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف(١).

((بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِين))(١).

س ٣٦٣ ــ ما هو المبّرر لنقض العهد، خاصة مع تأكيد الإسلام على حفظ المعايير الأخلاقية؟

ج ــ العهد اتفاق بين الطرفين، يرتبط اعتباره بكلا الطرفين، وإنهاء العهد من جانب المسلمين ــ بمقتضى هذه الآيات ــ شمل طائفتين فقط بل تابعاً لرغبة الطرفين، وهم الذين لم يلتزموا ببنود العهد، والذين كان أمانهم وعهدهم غير محدّد بفترة محدّدة، حيث امتنع النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) من تجديد ذلك الأمان وأُعطيت لهم فسحة مدّة أربعة أشهر ينتقلون فيها ويعودون إلى مأمنهم، كي لا يكون رفع عهدهم غدراً بهم، وكان دأب القبائل والمجتمعات آنذاك على اغتنام الفرص للكيد والغدر بالآخرين، فمن الطبيعي أن يكون موقف المشركين تجاه الإسلام والمسلمين كذلك، خاصة انّ المسلمين قد تنكروا لآلهتهم ودينهم، نظراً لهذه المشاعر والمواقف العدائية المتربصة أصبح وجود المشركين وترددهم على بلاد المسلمين يشكّل ثغرة أمنيّة ومحذوراً لا يمكن التغاضي عنه، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى ــ فيما بعد ــ **((كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ))**(٢)وأكدّه سلوك القبائل العربية وغدرهم المتكرر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأصحابه.

أمّا الطائفة الثالثة، وهم الذين التزموا ببنود عهدهم وكان عهدهم ممتدّاً لفترة محدّدة فلم ينقض عهدهم، كما أوضح ذلك قوله تعالى: **((إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ))**(٣).

((وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...))(٣).

س ٣٦٤ ــ ما هو الهدف من تكرار البراءة؟

ج ــ هذا ليس مجرد براءة، وإنما هو أذان وإعلام عام لتلك البراءة في موسم الحج حيث يجتمع الحجيج من كلّ البقاع، ليصل ذلك إلى الجميع ولا يبقى لأحدٍ عذر، وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) الإمام علياً (عليه السلام) بإبلاغ ذلك بدلاً من أبي بكر الذي كان قد كلّفه من قبل، وفي الحديث عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: ((خطب علي (عليه السلام) الناس، واخترط سيفه فقال: لا يطوفنّ بالبيت عريان ولا يحجّنّ البيت مشرك، ومن كانت له مُدّة فهو إلى مُدته، ومن لم يكن له مدّة فمدّته أربعة أشهر...)) (٤).

((فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...))(٥).

س ٣٦٥ــ ما هي الأشهر الحرم المذكورة هنا؟

ج ــ الظاهر أن المقصود الأشهر الأربعة التي تلت البراءة المذكورة أو اعلانَها، وهي الفترة التي حرم قتال مشركي مكة آنذاك. وليس المقصود الأشهر الحرم المعروفة في السنة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرّم، لأنها غير متعاقبة، والنداء كان في ذي الحجة.

((اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))(٩).

س ٣٦٦ــ هؤلاء كانوا يصرّحون بكفرهم بالإسلام فكيف يقول عنهم ((اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً))؟

ج ــ باعتبار أنّ عقولهم تذعن بالحقيقة، إلاّ انّ مصالحهم تصطدم بانتمائهم إلى الإسلام فجحدوا بها، وتظاهروا بالكفر أمام أتباعهم رعاية لتلك المصالح الدنيوية الزائلة.

((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ...))(٣١).

س ٣٦٧ــ كيف ولم يعرف عن اليهود والنصارى ذلك؟

ج ــ روى الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم قال: اتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وفي عنقي صليب من ذهب. فقال لي: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك.

قال: فطرحته، ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية: ((اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...)) حتى فرغ منها. فقلت له: إنّا لسنا نعبدهم. فقال: أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟ قال: فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم(٥). ونظيره ما رواه أبو بصير المرادي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: قلت له: ((اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ...)) فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون(٦).

((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ...))(٣٧).

س ٣٦٨ــ كيف صار النسيء زيادةً في الكفر؟

ج ــ باعتبار أنه تلاعب بالأشهر الحُرم التي حرّمها الله تعالى،فكانوا ينقلون ــ بزعمهم ــ حرمة أحد الأشهر الحُرم إلى شهر آخر مخالفين حكم الله عزّ وجل.

((وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي...))(٤٩).

س ٣٦٩ ــ ما هي الفتنة التي طلب هذا القائل من النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن لا يوقعه فيها؟

ج ــ روي ان الجدّ بن قيس اعتذر من المشاركة في غزوة تبوك وطلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) الأذن له بعدم المشاركة، بحجة أنه يفتتن بالنساء الروميات ــ في تبوك ــ وأنه لا يأمن من وقوعه في فتنتهن، قائلاً: إني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ــ أي الروميات ــ أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وقال: قد أذنت لك، فنزلت هذه الآية فيه(٧).

((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))(٦٠).

س ٣٧٠ ــ لماذا كانت التعدية إلى الأصناف الأربعة الأولى باللام والى الأربعة الأخيرة بـ(في)؟

ج ــ لعلّه باعتبار أن الأصناف الأربعة الأولى يستحقون الصدقة بأشخاصهم، بينما الأصناف الأربعة الأخيرة يُعطَون لتصرف في هذه العناوين، فلا تعطى لهم ليصرفوها فيما يشاؤون، وإنما تصرف في عتق الرقبة، ووفاء دين الغريم، وفي الجهاد وباقي مصالح المسلمي،ن ولإيصال ابن السبيل إلى بلده وحلّ مشكلته.

((... قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ...))(٦١).

س ٣٧١ ــ لماذا عدّى الفعل الأول "يؤمن" بالباء وعدّى الثاني باللام؟

ج ــ لأن الأول بمعنى الإيمان، والثاني مضمَّن معنى التصديق والاستماع لهم، كما في قوله تعالى: ((وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ))(٨).

((وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ)) (٦٢).

س ٣٧٢ ــ لماذا لم يثنّ الضمير العائد على الاثنين فيقول: والله ورسوله أحق أن يرضوهما، وليس ((يرضوه))؟

ج ــ ليس ضمير المفرد هنا عائداً على المثنى، وإنّما هو عائد على أحدهما، وخبر الآخر محذوف لوجود القرينة عليه مثل قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون.

ولعل النكتة البلاغية التي رجحت حذف الخبر في الآية الكريمة الإشارة الى انّ ما يرضي الله هو نفس ما يرضي رسوله وكذلك العكس، فإرضاء أحدهما إرضاء للآخر.

((يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم...))(٦٤).

س ٣٧٣ ــ لماذا لم يقل" تُنزّل فيهم" إذ السورة تنزّل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لا عليهم؟

ج ــ لعلّه للإشارة إلى أن ما ينزل مكروه وثقيل عليهم، باعتبارهم المعنيين بها. فناسب التعدية بـ ((على)).

وقيل إن ((على)) هنا بمعنى ((في)) كما في قوله تعالى: ((عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ))(٩) وقولهم: ((كان ذلك على عهد فلان..)) (١٠).

((... وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ...)) (٧٤).

س ٣٧٤ ــ كيف ينقمون ذلك، والغنى نعمة يرغب فيها الإنسان؟

ج ــ إنه في مقام التعريض والذم لهم، لأنّهم لم يشكروا نعمة الله ولم يعرفوا صلاحهم.

س ٣٧٥ ــ لماذا لم يقل: ((من فضلهما)) ليرجع الضمير إلى الله ورسوله؟

ج ــ لأن الغنى والنعم من فضل الله تعالى على من يشاء من خلقه.

((اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ...))(٨٠).

س ٣٧٦ ــ ما هي خصوصية عدد السبعين؟

ج ــ الظاهر أنه كناية عن الكثرة لا خصوصية العدد، وقيل: انّ العرب تبالغ بالسبعة والسبعين، ولهذا قيل: للأسد السبع، لأنهّم تأوّلوا فيه لقوّته أنها ضوعفت له سبع مرات(١١).

((وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ))(٨٤).

س ٣٧٧ ــ كيف يعتبرهم من الكافرين مع أن التخلف عن الجهاد لا يوجب الكفر؟

ج ــ هذه الآيات تتحدث عن المنافقين الذين هم يضمرون الكفر، حيث كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) يعاملهم بالتسامح والحسنى فيصلي على من مات منهم، وقد ورد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) امتنع عن الصلاة على المنافقين بعد نزول هذه الآية.

((سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ...))(٩٥).

س ٣٧٨ ــ كيف يمكن أن يكون هدفهم من الحلف أن يُعرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) والمسلمون عنهم مع أنّهم كانوا يرومون إرضاءهم؟

ج ــ المقصود الإعراض وغض النظر عن تخلّفهم عن الجهاد، لا أنهم يطلبون الإعراض عنهم ومقاطعتهم، لكن الله تعالى أمر المسلمين بالإعراض عنهم وعدم قبول عذرهم.

((الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))(٩٧).

س ٣٧٩ ــ من هم الأعراب، ولماذا وصفهم بذلك؟

ج ــ هم أهل البادية، واستحقوا هذا الوصف لبعدهم عن المدينة، وغلظتهم وتوغّلهم في الجهل.

س ٣٨٠ــ كيف وصف الأعراب بأنّهم أشدّ كفراً ونفاقاً مع أنه قال ــ بعد ذلك ــ ((وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...))؟

ج ــ تشير الآية الأولى إلى غير المؤمنين منهم باعتبار أن حياتهم ابتنت على الغدر والنهب والسلب والجهالة، ويبدو أنّهم كانوا أكثر ممّن آمن منهم آنذاك. لذلك استعمل لفظ العام في الآية الأولى، وخُصّص بالمؤمنين في الآية الثانية.

((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))(١٠٠).

س ٣٨١ ــ هل يعني رضا الله عن السابقين صك الغفران الدائم لهم؟

ج ــ كلاّ، بل هو رضىً عنهم باعتبار مواقفهم آنذاك كسبقهم وهجرتهم وجهادهم، دون ما إذا أحدثوا بعد ذلك، وقد أشارت النصوص الكثيرة إلى ذلك، ففي حديث مالك بن أنس عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله: أنه بلغه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال لشهداء أحُد: ((هؤلاء أشهد عليهم)) فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): ((بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي)) فبكى أبو بكر، ثم بكى، ثم

قال: أئنا لكائنون بعدك؟ (١٢). وهناك شواهد كثيرة على ذلك ليس هذا مجال استعراضها (١٣).

((وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ))(١٠١).

س ٣٨٢ ــ كيف يعذّبهم مرتين؟

ج ــ لعلّه اشارة إلى عذابهم حين الموت، كما أشار إليه قوله تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ...))(١٤). وعذابهم في القبر، حيث ورد في النصوص أن قبر الكافر حفرة من حفر جهنم.

((دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))(١٠).

س ٣٨٣ــ لماذا يقتصر دعاؤهم وذكرهم على التسبيح؟

ج ــ لأنّ في الجنّة كلّ ما يشتهون ويريدون، فلا يبقى شيء لا ينالونه، فيكون دأبهم تسبيح الله تعالى وتنزيهه وتعظيمه. أو لأنهم ينبهرون بآيات الله وعجائبه خلقه فينشغلون بتسبيحه وتمجيده.

س ٣٨٤ــ لماذا يكون الحمد آخرُ دَعْوَاهُمْ؟

ج ــ بإزاء كل نعمة ونعيم ينالونه يحمدون الله تعالى بعد أن ينعموا بها.

فهم يسبحون الهل بإزاء ما يرون من عجائب الجنة وإبداعها ويحمدون الله كلّما تنعموا بنعيمها.

((قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ))(١٦).

س ٣٨٥ــ كيف يكون مكثُ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بينهم قبل البعثة دليلاً على نزول القرآن عليه من الله وأنه ليس من إنشائه؟

ج ــ باعتبار أنّ القرآن ــ بما فيه من إعجاز بلاغي ومضموني ــ لو كان من إنشائه لظهرت آثار هذا النبوغ الخارق منذ بدايات شبابه، كما هي العادة في البلغاء

وأصحاب المواهب، ولما تأخر ذلك بعد عمرٍ طويل قضاه بينهم، ليظهر فجأة في سن الأربعين. وهذا من الأدلة القرآنية على أنّ القرآن كتاب سماوي نزل من الله تعالى وليس من إنشاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم).

((وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ...))(١٨).

س ٣٨٦ ــ إذا كانت الأصنام مجرد شفعاء عند الله فكان المفروض أن يعبدوا الله تعالى ولا أقل من أن يشركوه في العبادة، بدلاً من عبادتهم الأصنام من دون الله؟

ج ــ العبادة هي الخضوع التام وقد تخيّلوا أن الله تعالى فوّض الأمر والتدبير والشفاعة للأصنام، فكانوا يخضعون لها ويعبدونها لتدبر أمرهم ولتشفع لهم عنده.

((وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))(١٩).

س ٣٨٧ــ ما هي الكلمة التي منعت من القضاء العاجل بين الأمم في الدنيا؟

ج ــ الظاهر أنها التي أشار إليها قوله تعالى: ((وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)) (١٥).

((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ))(٢٨- ٣٠).

س ٣٨٨ ــ من هم شركاؤهم، وكيف نفوا عبادتهم عنهم، مع أن عبادتهم لشركائهم ثابتة ولا شك فيها؟

ج ــ لعلّ المقصود نفي الشركاء تحمّلهم لمسؤولية عبادتهم، لأن الموقف موقف حساب ومحاكمة فيكون حرص الشركاء على نفي مسؤولياتهم عن ذلك، هذا إذا كان الشركاء المعبودون وجودات عاقلة، وإذا كان المقصود الأصنام المعبودة، فيكون نفي العلم ــ الغفلةُ ــ على حقيقته، لفقدها الحياة والوعي في الحياة الدنيا.

س ٣٨٩ ــ كيف تبلو كلّ نفسٍ ما أسلفت؟

ج ــ حيث تختبر وتعرف نتيجة أعمالها ومواقفها في الحياة الدنيا وتشاهد جزاءها.

((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ))(٣١-٣٢).

س ٣٩٠ــ إذا كانوا يعترفون بأنّ الله تعالى هو الخالق والرازق والمدبّر فكيف كانوا يعبدون الأصنام؟

ج ــ كانوا يدركون بعقولهم أنّ الأصنام أعجز من أن تصدر منها هذه الأمور، وإنّما عبدوها لتخيّلهم أنها وسيطة بين الله وخلقه، كما قال تعالى ــ حكاية عنهم ــ: ((مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى))(١٦). فحاججهم سبحانه أنه إذا اعترفتم أن الخالق والرازق والمدبّر هو الله فكيف تكون العبادة لغيره؟ ! خاصّة أنّ هذا المقام والمكانة للأصنام ابتدعوها هم أنفسهم، من دون أن يكون بأمر الله وباذنه ــ وإن كان تعالى لا يأذن به على كلّ حال ــ.

((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ))(٤٢).

س ٣٩١ــ إنّ استماعهم للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) دليل رشدهم وانصافهم فكيف وصفهم بأنهم صمّ لا يعقلون؟

ج ــ لأنّ استماعهم لم يكن طلباً للحقيقة، بل لأغراض أخرى، كالذين كانوا يستمعون للقرآن ليكيلوا له التهم المختلفة كالسحر والشعر ونحوهما.

((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ...))(٤٥).

س ٣٩٢ ــ لماذا شبّه لبثهم في الحياة الدنيا بساعة من النهار؟

ج ــ لأن الليل وقت الركود والسكون بينما النهار وقت النشاط والحركة، في إشارة إلى صخب الحياة الدنيا والحركة والتنافس فيها، وأنها كانت بمثابة ساعة من النهار.

((فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))(٨٥).

س ٣٩٣ــ ما معنى كونهم فتنةً للظالمين؟

ج ــ روي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (الباقر) وأبي عبد الله (الصادق) ... قال: (لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا) (١٧).

((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ))(٨٧).

س ٣٩٤ ــ كيف يجعلون بيوتهم قبلة؟

ج ــ أي يجعلونها محلاً لعبادتهم يتكتمون بها عن فرعون وأعوانه الذي يمنعهم من اتخاذ بيوت للعبادة والتظاهر بها.

((وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ))(٨٨).

س ٣٩٥ ــ كيف يجعل الإضلال هدفاً للنعمة مع أنّ الله تعالى يُنعم على الناس ليؤدّوا حقها ويشكروه؟

ج ــ هذه اللام ليست لام التعليل، وإنما هي لام العاقبة ــ كما يسميها النحاة ــ والتي تدخل على نتيجة ومآل الفعل من دون أن تكون هي العلة والهدف منه، كما في قوله تعالى: ((فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا))(١٨) مع أنهم إنما التقطوه ليكون لهم ولداً وقرّة عين.

((فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ))(٩٤).

س ٣٩٦ ــ هل تعني هذه الآية أن هناك شكاً انتاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم)؟

ج ــ كلاّ، فانّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) عُرف عنه قوة البصيرة ووضوح الرؤية منذ بدايات رسالته، كما تؤنبىء عنه كلمته الخالدة لعمه أبي طالب ــ في

مواجهة عروض قريش وضغوطهم ــ: يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك مـــا تركتـــه (١٩). وكـــذلك مواقفه(صلى الله عليه وآله وســلّم) الحازمة وتضحياته تؤكد تلك البصيرة في نفســـه، وأمـــا خطابه والتحذير الموجه له (صلى الله عليه وآله وسلّم) في القرآن فهو أسلوب قرآني لتثبيت تلك الحقائق العقائدية وغيرها في نفوس الأمة، ولتحذير غيره من الانحراف أو التشكيك فيها، ولذلك نجد نفس هذا الأسلوب في الحالات التي عُرف عن النبي (صلى الله عليه وآلـــه وسلّم) موقفه الحازم منها كما في قولـــه تعالى: **((وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّـــنَ الظَّالِمِينَ))**(٢٠) فانّ موقفه (صلى الله عليه وآله وسلّم) من عبادة الأوثان ورفضه لها واضح حتى قبل البعثة، فلابد أن يكون المقصود الحقيقي من هذا الخطاب ونحوِه غيرَه (صلى الله عليه وآله وسلّم).

---

(١) يراجع مجمع البيان:٥/٤.

(٢)سورة براءة: ٨.

(٣)سورة براءة: ٤.

(٤)يراجع مجمع البيان:٥/٦و٧.

(٥) مجمع البيان: ٥/٣٧.

(٦) وسائل الشيعة: ١٨/٨٩.

(٧) يراجع تاريخ الأمم والملوك: ٢/٣٦٧.

(٨) سورة يوسف:١٧.

(٩) سورة البقرة:١٠٢.

(١٠) تفسير أسئلة القرآن الكريم وأجوبتها.

(١١) مجمع البيان: ٥/٨٤.

(١٢) الموطأ: ٢٨٧، حديث ١٠٠٤. دار الفكر الطبعة الأولى.

(١٣) يراجع في رحاب العقيدة: ٢: ٢٥ دار الهلال.

(١٤) سورة الأنفال: ٥٠.

(١٥) سورة البقرة: ٣٦.

(١٦) سورة الزمر: ٣.

(١٧) تفسير العياشي: ٢/ ١٣٥.

(١٨) سورة القصص: ٨.

(١٩) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٢/٦٧.

(٢٠) سورة يونس: ١٠٥ ــ ١٠٦.

سورة هود

((الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))(١).

س ٣٩٧ ــ ما معنى إحكام آياته، ولماذا عطف التفصيل عليه؟

ج ــ ذكر المفسرون عدة آراء لهم في ذلك، لكن الذي نرجحه ــ والله العالم ــ أنَ الإحكام يرتبط بمضمون الآيات القرآنية، وأنه المنهج المستقيم والحقائق الثابتة المحكمة المنزّهة عن الباطل، بعكس المناهج الجوفاء للمبادئ المنحرفة، كما قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء*... تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ...)) (١).

أما التفصيل فهو في مرحلة بيان تلك المضامين المحكمة، وهي مرحلة متأخرة عنها، فكان من الطبيعي ــ على هذا التوجيه ــ عطف التفصيل على الإحكام.

((وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا...))(٣).

س ٣٩٨ ــ لماذا أخّر الأمر بالتوبة مع أنّ الاستغفار مكمّل لها؟

ج ــ إذا تعلّقت التوبة بالذنب كقولك: تبت من ذنبي فهي قبل الاستغفار، وتعني الندم على الذنب، أما التوبة إلى الله فهي الرجوع والإنابة إليه، ومحلّها بعد الاستغفار، حيث ينتهج العبد طريق الاستقامة فيما يستقبل من حياته.

((وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ...))(٨).

س ٣٩٩ ــ ما معنى تأخير العذاب إلى أُمة؟

ج ــ الأُمة هنا بمعنى الفترة، وهو احدى معاني الأُمة في اللغة.

((فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ))(١٢).

س ٤٠٠ ــ هل يعني ذلك أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان يهمّ بترك تبليغ بعض الآيات؟

ج ــ كلاّ، بل حيث إن الترجي وكل شك وتردّد مستحيل في حق الله تعالى، فتحمل ألفاظها ــ مثل لعلّ في الآية ــ على قصد معانٍ أخرى مثل الإرشاد والتذكير بعظم المسؤولية وتقوية عزيمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ونحو ذلك.

((وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))(٣٤).

س ٤٠١ ــ إذا كان الله يريد إغواءهم فكيف يعاقبهم على ذلك؟

ج ــ ليس المقصود جبرهم على ذلك، لأنّه تعالى لا يجبر عباده على الغواية ولا على الهداية، وإنما ذلك يرجع إلى اختيار الإنسان نفسه، وطبيعة تفاعله مع آيات الله وحججه، فمن يعيها ويبصرها بموضوعية يهتدي بها، ومن يقابلها بالجحود والصدّ تصير سبباً لغيّه وضلاله، وإنّما يُنسب ذلك إلى الله تعالى باعتبار أنه هو الذي يُنزل تلك الآيات، وهو الذي تجري الأمور بقضائه وقدره من دون سلب اختيار الإنسان.

وقد أشارت إلى ذلك مجموعة من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: **((وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ))**(٢)، وقوله تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ))(٣).

((وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ))(٣٦).

س٤٠٢ ــ هل انحصار الإيمان بتلك الجماعة المؤمنة يوجب عدم حزنه وابتئاسه بما كانوا يفعلون؟

ج ــ كلاّ، وإنما ذلك يوجب اليأس من إيمان الآخرين، مما يعني انتهاءَ مهمّة نوح في سعيه لهداية قومه، وحلولَ وقت عقابهم، كما أشار إليه قوله تعالى عقيب ذلك: **((وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ))** (٤).

فانتهاء معاناة نوح (عليه السلام) وحلول وقت عقاب الكافرين هو الذي يُنهي حزنه وابتئاسه.

((قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ...))(٤٣).

س٤٠٣ ــ كيف يستثني مَّن رحمهُ الله من العاصم الذي هو الله تعالى، والمفروض استثناؤه من المعصوم؟

ج ــ الاستثناء هنا منقطع ــ كما يسميه النحاة ــ والمستثنى منه الحقيقي هو المعصوم المفهوم نفيه من خلال الملازمة بين نفي العاصم ونفيه، لأنه إذا لم يكن هناك عاصم فمن الطبيعي أن لا يكون هناك معصوم.

والذي حسَّن هذا الأسلوب بلاغياً، أن هدف نوح (عليه السلام) نفي المعصوم أي إقناع ولده بأنه ليس هناك معصوم من الغرق إلاّ من يرحمه الله، بينما اعتمد ولده على الجبل مدّعياً أنه عاصم من الماء، فكان على نوح (عليه السلام) أن ينفي كلا الأمرين ــ العاصم والمعصوم ــ، فجاء النفي بهذا الأسلوب الموجز الرائع.

((... قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي...))(٧٨).

س ٤٠٤ ــ كيف يعرض عليهم بناته وهنّ محرّمات عليهم؟

ج ــ لقد عرض عليهم الزواج المشروع منهنّ، ولذلك قال: ((هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)) كما يناسبه أيضاً قوله: **((فَاتَّقُواْ اللّهَ))**. اذ الفاحشة لا تنسجم مع الطهر وتقوى الله تعالى.

((فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ))(١٠٦).

س٤٠٥ ــ هل يختص الزفير والشهيق بأهل النار؟

ج ــ المقصود منه المصاحب للحزن والكرب، قال الزجاج: الزفر من شدّة الأنين وقبيحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جدّاً (٥). وفي الآية إشارة إلى الشدة التي تلازمهم في كل نفس.

((خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ))(١٠٧ – ١٠٨).

س٤٠٦ ــ كيف يربط خلودهم بدوام السماوات والأرض مع أنها ليست خالدة، بل هي تفنى قبل يوم القيامة، كما أشار إليه قوله تعالى: ((كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا))(٦) وقوله تعالى: ((يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ))(٧)؟

ج ــ إما أن يكون ذلك جرياً على العرف العام الذي يعتبر دوام السماوات والأرض رمزاً وتعبيراً عن التأبيد، أو يكون المقصود من السماوات والأرض ما يُظلل الإنسان وما يستقرّ عليه، وهما متحققان في الدار الآخرة وخالدان بخلودها، وقد قال تعالى: ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ))(٨).

س ٤٠٧ ــ ألا يعني استثناء المشيئة الإلهية أنّ الكافرين قد لا يخلدون في النار وأنّ المؤمنين قد لا يخلدون في الجنّة؟

ج ــ بالنسبة لأهل النار لا مانع من شمول رحمة الله وعفوه لبعضهم، فيخرجهم من النار، كما تضمنت ذلك بعض النصوص، ففي الحديث عن حمران عن الإمام الباقر (عليه السلام) عندما سأله عن ذلك فقال: ((هذه في الذين يخرجون من النار))(٩).

وهناك وجه آخر ينطبق على كلتا الآيتين، وهو انّ استثناء المشيئة في كليهما لتأكيد أن خلود كلا الفريقين خاضع لمشيئة الله، وليس أمراً مفروضاً عليه، ولا يَخرج الفريقان بذلك عن مشيئته وارادته، ولا عن سلطانه تعالى وملكه(١٠).

((وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ))(١١٣).

س ٤٠٨ ــ كيف يكون الركون إلى الظالم؟

ج ــ الظاهر أنّه مأخوذ من الركن بمعنى القوة، قال ابن منظور: ركن الإنسان: قوّته وشدته(١١). فيكون الركون إلى الظالم بمعنى الاستناد إليه والتقوي به، فينطبق على الخروج عن التعاليم الدينية ممالأةً ومداراةً للمشركين، كما ينطبق على السير في ركاب الطغاة والانتساب إليهم واتبّاعهم في ظلمهم. وعن تفسير القمي: قال (عليه السلام): (ركون مودة ونصيحة وطاعة) (١٢).

ولذلك نلاحظ الآية الكريمة تؤكد أنّه ليس هناك مَن ينصر الإنسان من دون الله تعالى مما يعني أن الاعتماد على غيره لا فائدة فيه مهما توفرت فيه من قوّة.

((فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ...))(١١٦).

س٤٠٩ ــ من هم أولوا بقيّة، وما هو وجه وصفهم بذلك؟

ج ــ البقية كناية عن الفضل والتعقل، والمقصود بهم القلّة الواعية من الأمم السابقة.

قال الطبرسي: والبقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه، وهو الاسم من الإبقاء. ويقال: في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وخير، كأنه قيل: بقية خير من الخير الماضي... (١٣).

((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))(١١٨-١١٩).

س٤١٠ ــ ما هو مرجع اسم الإشارة في قوله: ((وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ))؟

ج ــ يمكن أن يرجع إلى الرحمة، باعتبار أن الله تعالى أرحم الراحمين خلق الخليقة ليرحمهم.

وقد تكون اللام للعاقبة، ويكون ذلك إشارة إلى اختلافهم المتقدم في قوله: **((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ))** حيث لم يفرض عليهم الإيمان تكويناً ويخلقهم مؤمنين، لأن الهدف من خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا بما يمتلك من عقل واختيار هو ابتلاؤه واختباره وتحميله المسؤولية، ليتميّز المطيع من العاصي، كما جاء في قوله تعالى: **((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا))** (١٤) وقوله تعالى: **((وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ))**(١٥). وربمّا يشير إلى هذا الوجه قوله تعالى: **((وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))**. فانّ الله تعالى لم يخلق الجن والأنس ليملؤا جهنّم، وإنما خلقهم ليختبرهم ففشلوا بسوء اختيارهم، وكانت النتيجة أن امتلأت جهنم بهم. نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء العاقبة.

(١) سورة ابراهيم: ٢٤ ــ ٢٧.
(٢) سورة التوبة: ١٢٤- ١٢٥.
(٣)سورة العنكبوت: ٦٩.
(٤)سورة هود: ٣٧.
(٥) لسان العرب: ٤/٣٢٥.
(٦) سورة الفجر: ٢١.
(٧) سورة الانبياء: ١٠٤.
(٨) سورة ابرهيم: ٤٨.
(٩)تفسير العياشي:٢/١٧٠.
(١٠) يراجع ص.
(١١) لسان العرب:١٣/١٨٥.
(١٢) تفسير القمي: ١/٣٣٨.
(١٣)مجمع البيان:٥/٣٠٤.
(١٤)سورة الملك:٢.
(١٥)سورة الأنبياء: ٣٥.

سورة يوسف

((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))(٢).

س ٤١١ ــ كيف يميّز العرب بهذا الخطاب، والقرآن كتاب هداية لكلّ الشعوب والأُمم؟

ج ــ الخطاب لخصوص المشركين المعاصرين للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) المعادين له، وقد كانوا عرباً، وقد تأكدّت الحجة في حقهم، وهو لا يتنافى مع أُمية الإسلام والقرآن، إذ لا محذور في قيام الحجة على الجميع وتأكّدها في حق البعض، كما تقوم على الناس جميعاً وتتأكد في حق العلماء.

((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ))(٤).

س ٤١٢ ــ لماذا قال: ((رَأَيْتُهُمْ)) مع أنّ ضمير الجماعة للعقلاء، والكواكب غير العاقلة؟

ج ــ باعتبار أن السجود والخضوع من شؤون العقلاء، فارجع عليها ضمير العقلاء.

((إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))(٨).

س ٤١٣ ــ كيف فضّل يعقوب يوسف وأخاه على باقي أبنائه مع أن المفروض أن يعاملهم بالسوية؟

ج ــ لم يكن تفضيله لهما اعتباطياً، وإنما باعتبار ما رآه وتوسّمه فيهما من الفضائل. ولعلّه لم يكن تفضيلاً، وإنما شفقة خاصة عليهما باعتبار صغرهما ووفاة والدتهما.

س٤١٤ ــ كيف نسبوا أباهم إلى الضلال مع علمهم بأنّه نبي من الأنبياء وليس كافراً؟

ج ــ ليس المقصود الضلال في الدين، بل الخطأ في التعامل مع يوسف بزعمهم، لأنّ الضلال ينطبق على الخطأ وعدم الصواب، ولا يختص بالضلال في الدين.

((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)) (٢٤).

س ٤١٥ ــ كيف همّ يوسف (عليه السلام) بالفحشاء، ولماذا صرفه الله عن ذلك مع أنه تعالى لا يحابي بين عباده؟

ج ــ اختلف المفسرون في ذلك على آراء، فبينما ذهب بعض المفسّرين من الجمهور إلى أنه عزم على الفحشاء كما همّت زليخا بذلك، ذهب آخرون إلى أنه لم يعزم على الفحشاء بالفعل بقرينة قوله تعالى: ((لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ)).

وهناك رأي آخر لبعض المفسّرين بأنّ يوسف همّ بعقابها لا بالفاحشة، ولعلّ مما يشهد لذلك امتناعه من مطاوعتها كما يشهد بذلك قوله تعالى: ــ في الآية السابقة ــ ((... وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) (يوسف:٢٣) وكذلك قوله تعالى: ((لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ))(يوسف: ٢٤) باعتبار أن السوء هو العقاب الشديد الذي كان ينتظره لو أنه ضرب امرأة العزيز وعاقبها على فعلها معه. خاصة أنه تعرض للسجن مع علمهم ببراءته بشهادة الشاهد من أهلها والقميص الذي قُدَّ من دُبُر، فكيف يكون حاله لو كان قد اعتدى عليها. والله العالم.

((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ))(٣٣).

س ٤١٦ ــ كيف نسبَ الدعوة للفحشاء إلى جمع النساء والكيد لهنّ، مع أنه كان من امرأة العزيز فقط، وقد لُمنها على ذلك؟

ج ــ تضمنّت بعض الروايات أنّهن شاركنها في ذلك بعد أن رأين يوسف (عليه السلام) وانبهرنَ بجماله، فـ((في حديث أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (عليه السلام) أن النسوة لمّا خرجن من عندها أرسلت كلّ واحدةٍ منهنّ سرّاً من صاحبته تسأله الزيارة..)) (١).

ولعلّ ذلك وما يصاحبه عادةً من لغط اجتماعي هو الذي دعاهم إلى سجنه رغم علمهم ببراءته، كما أشار إليه قوله تعالى: ((ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ))(٢). ولذلك طلب يوسف (عليه السلام) إيضاح الحقيقة على الملأ عندما راموا إخراجه من السجن بعد أن فسّر لهم رؤيا الملك، كما تحدث عنه قوله

تعالى: ((وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَـالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ))(٣).

((قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))(٣٧).

س ٤١٧ ــ لماذا ذكر فاصلاً طويلاً بين ما طلبه الرجلان منه واستجابته لهما بتفسير الحُلمين بقوله: ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ))؟

ج ــ إنّه تعبير عن الشعور بالمسؤولية والموقف الرسالي،حيث استثمر فرصة حوار الرجلين وانفتاحهما عليه ليدعوهما إلى نبذ الأصنام، وعبادة الرحمن بدلاً من ذلك، خاصة بعد أن توسّما فيه الصلاح، وانجذبا إليه كما أشار إليه قوله تعالى: ــ حكاية عنهما ــ ((إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)).

((قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ...))(٧٧).

س ٤١٨ ــ كيف اتهموا يوسف بالسرقة مع براءته منها؟

ج ــ روي عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال: ((كانت لإسحاق النبي منطقة يتوارثها (٤) الأنبياء والأكابر، فكانت عند عمة يوسف، وكان يوسف عندها، وكانت تحبّه، فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إليّ واردّه إليكِ. فبعثت إليه أن دعه عندي الليلة لأشمّه ثم أرسله إليك غدوة. فلما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصاً وبعثت به إليه، وقالت: سُرقت المنطقة فوُجدت عليه ــ وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دُفع إلى صاحب السرقة ــ فأخذَته فكان عندها))(٥).

((قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ))(٨٣).

س ٤١٩ ــ لماذا اتهمهم بذلك مع كونهم صادقين في عدم التفريط بأخيهم بنيامين؟

ج ــ لم يصرّح باتهامهم بخصوص قضية بنيامين، بل في مجمل موقفهم الذي بدأ مع يوسف، وكان من نتائجه غياب بنيامين، ويشهد لذلك قوله: ((يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ)).

س ٤٢٠ ــ لماذا استخدم ضمير الجمع في قوله: ((أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا))مع أن المناسب هو ضمير التثنية ليعود إلى يوسف وبنيامين؟

ج ــ كلاً، لأنّ كبيرهم لم يرجع إلى يعقوب أيضاً، فأراد (عليه السلام) رجوعهم جميعاً.

((وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ))(٨٤).

س ٤٢١ ــ لماذا تأسف على يوسف فقط دون بنيامين؟

ج ــ لطول غيبته وجهالة مكانه أو مصيره، بخلاف بنيامين، فان أولاد يعقوب أخبروا أباهم بسلامته وأنه وديعة عند عزيز مصر، فكانت حادثة بنيامين مذكِّرة بقضية غياب يوسف (عليه السلام) ومهيجّة لأحزان يعقوب (عليه السلام).

س ٤٢٢ ــ ما معنى بياض عينيه من الحزن؟

ج ــ هذا من تأثير وافرازات العامل النفسي على الجسم، المعروف طبياً بـــ (سايكوساماثيك) ــ كما أكده اخصائي في طب العيون ــ فان الحزن الشديد الذي اصاب يعقوب (عليه السلام) وحرص على كظم حزنه أوجبا فقدان بصره خلال تلك الفترة وزال بعد ارتفاع سبب الحزن بعد أن جاؤوا بقميص يوسف (عليه السلام) **((فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً..))** (٦).

((وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا...))(١٠٠).

س ٤٢٣ ــ كيف سجدوا ليوسف مع أن السجود لشخص عبادة له؟

ج ــ كلاّ، فانّ السجود إنمّا يكون مظهراً لعبادة المسجود له اذا جيء به بنيّة الخضوع العبادي لا مطلقاً كالتحية والتعظيم المجردّين، وقد يكون ذلك جائزاً في بعض الشرائع السابقة.

وفي الحديث الوارد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حينما قال له يحيى بن أكثم: أخبرني أسَجَد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن (عليه السلام): ((أما سجود يعقوب وولده فانه لم يكن ليوسف، وإنما كان ذلك منهم طاعةً لله وتحية ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحيّة لآدم..)) (٧).

((وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ))(١٠٦).

س ٤٢٤ ــ كيف يجتمع الإيمان بالله مع الشرك؟

ج ــ قد يكون إشارة إلى بعض العرب، وبعض أهل الكتاب حيث يخلطون إيمانهم بالله بالشرك، فزعم أولئك أنّ الأصنام تقربّهم إلى الله زلفى فعبدوها، كما التزم النصارى بالتثليث الذي هو نوع من الشرك.

وفي بعض النصوص أنه أشارة إلى الشرك الذي لا يبلغ حدّ الكفر، وهو ما يسمّى بشرك الطاعة، فينطبق على العصاة الذين يطيعون الشيطان في سلوكهم، رغم أنهم موحّدون لله تعالى في عقيدتهم وعبادتهم(٨).

((حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ))(١١٠).

س ٤٢٥ ــ كيف يظنّ الرسل أن الله تعالى يُكذبهم؟

ج ــ ذكر بعض المفسّرين أنّ الضمير في قوله: ((ظَنُّواْ)) يعود إلى الناس لا إلى الرُسل أنفسهم.

ويمكن أن يرجع الضمير إلى الرسل، ويكون المقصود أنّهم حيث استبطأوا النصر رغم شدة المحنة المحيطة بهم وبالمؤمنين ظنوا أنّ ذلك ليس من القضاء المحتوم، وأنه أُرجيء أو رفع لبعض المصالح الخفيّة عنهم، فيكون إطلاق لفظ الكذب هنا باعتبار عدم تحقق الموعود به، كما أُطلق الكذب على الخطأ المجرّد في كلام العرب، قال الأخطل كذَبتك عينك أم رأيت بواسط(٩).

وقرأ عدد من القرّاء (كُذّبوا) بالتشديد، فيكون المعنى أن الرُسل قد حسبوا أو علموا أنّهم قد كُذِّبوا من قِبَل اُممهم.

---

(١) مجمع البيان: ٣٥٣/٥.

(٢) سورة يوسف:٣٥.

(٣)سورة يوسف:٥٠.

(٤) المنطقة: ما يشدّ بها الوسط.

(٥) تفسير العياشي: ١٩٧/٢.

(٦)يوسف:٩٦.

(٧) مجمع البيان: ٥/ ٤٠٦.

(٨) يراجع تفسير العياشي: ٢/٢١١.

(٩) لسان العرب: ١/٧٠٩.

سورة الرعد

((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))(٧).

س ٤٢٦ ــ ألا يعني ذلك أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لم تنزل عليه آية أو معجزة لتصديقه؟

ج ــ كلاّ، وإنما إشارة إلى ما كان يقترحه كلّ شخص أو كلّ مجموعة من آيات معيّنة، ولو استجيب لبعضهم لاحتّج الآخرون وطلبوا الآيات التي يقترحونها، وكان بعضها تعجيزياً، لأنه من طلب المحال، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: **((وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً))** (١)، وقد رفض القرآن هذه الاقتراحات مذكّراً أنّ دور الرسول هو الإنذار والتبليغ، وأن الله تعالى يختار لكل قوم الآية التي تصلح أن تكون حجةً عليهم.

ويبدو أن لهؤلاء طلبوا أن تكون الآية العظمى والملازمة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) غير القرآن ــ من دون أن ينكروا الآيات الثانوية التي حدثت في زمانه ــ، ولذلك ردّ الله عليهم بقوله: **((وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))** فكما أن عصا موسى (عليه السلام) كانت الإعجاز الرئيسي لموسى (عليه السلام)، لمناسبتها لإبناء عصره ودورها في هدايتهم، وكذلك إحياءة عيسى (عليه السلام) للأموات وإبراؤه الأكمه والأبرص فكذلك القرآن بمضمونه الخالد يناسب رسالة الإسلام الخالدة والأجيال المتعاقبة ما دامت الحياة الدنيا.

((لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ...))(١١).

س ٤٢٧ ــ ما هي (المُعَقِّبَات) وكيف تحفظ الإنسان من أمر الله؟

ج ــ المُعَقِّبَات الجماعة التي تتابع الإنسان وتحيط به، ولعلّه إشارة إلى ما تضمنته بعض النصوص من أن بعض الملائكة موكّلون بالإنسان لحفظه، وفي حديث عن الإمام علي (عليه السلام): ((إن مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه...)) (٢). وليس المقصود في الآية أن هؤلاء الموكّلين يمنعون الإنسان مما

قدّره الله تعالى له من مصير محتوم، وإنما يحفظانه من الأمر الإلهي غير المحتـــوم أو مما من شأنه أن يصيبه لولا حفظ هؤلاء الموكّلين. والله العالم.

((وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ...))(١٣).

س ٤٢٨ ــ كيف يسبّح الرعد وهو غير حيّ ولا عاقل؟

ج ــ قيل: إن تسبيح الرعد من خلال خضوعه تكويناً للأمر الإلهي، فهو تســبيح تكويني لا شعوري، وعلى ذلك يحمل كلّ مورد نُسب فيه التسبيح والسجود ونحوهمـــا لغير العقلاء، مثل قولـــه تعالى: ((... يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))(٣) وقولـــه تعالى: ((... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْـــرَ...))(٤) وقولـــه تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّـــنَ النَّـــاسِ وَكَثِيـــرٌ حَـــقَّ عَلَيْـــهِ الْعَذَابُ...))(٥).

وربما يكون السجود المذكور شعورياً بناءً على نظرية الملازمة بـــين الوجـــود والشعورــ ولو بمراتبه الدنيا التي لا يدركها الإنسان ــ وقد بدأ العلم الحديث باكتشاف مظاهر شعورية ــ بعضها بالغة التعقيد ــ لبعض الكائنات الحية التي كان التصور العام السابق على سلب الشعور عنها. علماً أن بعض الآيات وكثيراً من النصوص تضـــمنت الإشارة إلى ذلك والتنبيه على أن مثل هذا السلوك الشعوري لهذه الكائنات غير مدرَكـــة للإنسان، مثل قولـــه تعالى: ((... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـــكِن لاَّ تَفْقَهُـــونَ تَسْبِيحَهُمْ))(٦) كما تضمنت إثبات حوارات وسلوكيات واعية لبعض العجماوات كالنمل والهدهد مع نبي الله سليمان بن داوود (عليه السلام). وفي الحديث عـــن الإمـــام جعفـــر الصادق (عليه السلام) قال: ((نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسـلّم) عن أن توسم البهائم في وجوهها، وأن يضرب وجوهها فإنها تسبّح بحمد ربّها)) (٧). والله سبحانه هو العالم بأسرار خلقه.

((قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا...))(١٦).

س ٤٢٩ــ كيف يؤمر بالسؤال والإجابة معاً والمفروض أن يكون السائل غير المجيب؟

ج ــ إنه (صلى الله عليه وآله وسلّم) لا يجيب على سؤاله مباشرةً، بل بعد أن يطــرح سؤاله عليهم وهم يختلفون في الجواب، أو يجيبون بغيــر الصــواب، يــذكر الجــواب الصحيح بأنّ ربّ السموات والأرض هو الله تعالى.

((أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ))(١٧).

س٤٣٠ ــ ما هو الزبد الثاني الذي يشبّه به الباطل؟

ج ــ هو خبَث المعادن كالذهب والفضة والنحاس الذي يطفو عند ذوبــان هــذه المعادن بالنار في عملية التصفية، حيث يرمى الزبد ويبقى المعدن صافياً نقياً.

((... أُوْلَــئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ))(١٨).

س ٤٣١ ــ كيف يكون لهم سوء الحساب والله سبحانه عادل مع جميع خلقه؟

ج ــ ليس المقصود أن حسابهم سيء وغير عادل، وإنمّا لهم ما يســوؤهم مــن الحساب الذين كانوا هم السبب فيه، وأضيف السوء إلى الحساب باعتبار أنــه يترتــب عليه. والإضافة تصح لأدنى علقة بين المضاف والمضاف إليه.

((وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا...))(٣١).

س ٤٣٢ ــ ما هو جواب ((لو)) الشرطية؟

ج ــ حذف جواب الشرط لدلالة القرينة عليه، والتقدير ((لكان هذا القــرآن)) أو بمعناه.

س ٤٣٣ ــ كيف ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً، مع أنه حقيقــة ثابتة لا يليق بالمؤمن انكاره واليأس منه؟

ج ــ لعلّ اليأس بمعنى العلم، كما ذكر ذلك علماء اللغة، وأنشدوا قول الشاعر:

أقول لأهل الشِّعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس لازم (٨)

أي ألم تعلموا. ولذلك رُفع الفعل ((يشاء))، لأنّ ((أنْ)) المصدرية لا تنصب الفعل الذي بعدها إذا تقدّم عليها ما يدلّ على العلم، كما نصّ على ذلك النحويون.

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...))(٣٨).

س ٤٣٤ ــ لماذا نصّ على الأزواج والذرّية مع أنه لا علاقة للرسالة بذلك؟

ج ــ إنه ردّ على الذين كانوا يستنكرون ممارسات الرسول الطبيعية ويزعمــون أنّ طبيعة الرسول لابدّ أن تختلف عن الطبيعة البشرية، كما قال تعالى: ــ حكاية عنهم ــ **((وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ...))**(٩).

---

(١) سورة الإسراء:٩٠- ٩٣.
(٢) تصنيف نهج البلاغة:١٤٠.
(٣) سورة الحشر: ٢٤.
(٤)سورة الأنبياء:٧٩.
(٥)سورة الحج: ١٨.
(٦)سورة الإسراء: ٤٤.
(٧) تفسير العياشي: ٢/ ٣١٧.
(٨) يراجع لسان العرب:٦/ ٢٦٠.
(٩) سورة الفرقان: ٧.

سورة ابرهيم

((الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ))(٣).

س ٤٣٥ ــ كيف يذمّهم على حبّ الحياة الدنيا والناس جميعاً يحبّونها؟

ج ــ إنّ ذمّهم باعتبار تفضيلهم الحياة الدنيا على الآخرة، لأنّ الاستحباب هو حبّ الشيء والتعرّض له، فهؤلاء أفرطوا في حبّهم وتعرّضهم للدنيا حتى فضّلوها على الآخرة، فالفعل هنا مضمَّن معنى التفضيل، ولذلك تعدّى بـ ((على)).

س ٤٣٦ ــ ما معنى أن يكون الضلاّل بعيداً؟

ج ــ الضلال عدول عن الحق وانحراف عنه، فهؤلاء كان انحرافهم عن الحق كثيراً، فعبّر عنه بالضلال البعيد.

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...))(٤).

س ٤٣٧ ــ ألا يترتّب على ذلك أن يكون النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) مبعوثاً للعرب فحسب؟

ج ــ إن وحدة اللغة بين الرسول وقومه لا تعني حصر رسالته بهم، بل يكفي أن يكون قومه قاعدة للإيمان بالرسالة، وتكون الانطلاقة بعدها إلى الأمم الأخرى، بينما إذا لم يكن الرسول بلسان قومه فلا يكونون القاعدة لرسالته.

((جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ))(٩).

س ٤٣٨ ــ ما معنى ردّ الأيدي في أفواههم؟

ج ــ إنه كناية عن رفضهم ومواجهتهم لرسالات الأنبياء، إما باعتبار أن الغاضب يضع أصبعه في فمه بسبب الغضب كما قال تعالى: ((عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ))(١). أو باعتبار أن من يريد إسكات شخص يضع يده على فمه.

س ٤٣٩ ــ الكفر هو الإنكار والرفض فكيف يقول: ((وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ)) والشاك متردد وليس منكراً؟

ج ــ لا يشترط في الكفر الجزم بالإنكار، بل يكفي البناء العملي على رفض الرسالة مع الشك فيها، بل حتى مع العلم بصحتها، ولذلك يعتبر الجاحد كافراً رغم أنّه في قرارة نفسه مؤمن بصحتها.

((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ))(٩٥).

س ٤٤٠ ــ ألا يعني قولهم: ((أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا))أنّ الرسل كانوا على دين قومهم؟

ج ــ كلاّ، بل حيث أنّ الرسل يبدؤون برسالتهم ودعوة قومهم في فترة معيّنة من حياتهم، فتخيّل أولئك أن الرسل قبل هذه الفترة كانوا على دينهم.

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ))(٢٤-٢٦).

س ٤٤١ ــ ما معنى أن يكون للكلمة الطيبة أصل ثابت وفرع ممتد؟

ج ــ حيث ان الكلمة الطيبة تعبّر عن الحقيقة الراسخة التي لا تتغير ((أصلها ثابت)) وتجيها الشبات والأباطيل، وتنتفع منها الأجيال المتعاقبة، فهي ممتدة بامتداد الحياة ــ كالشجرة الممتدة الشاهقة ــ ولا يقتصر ثمرها على قوم أو فئة خاصة، بينما الكلمة الخبيثة التعاليم والمبادئ الهدامة والمنحرفة التي ليس لها جذور ولا ثمر.

((قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ))(٣١).

س ٤٤٢ ــ بما أن قوله: ((يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ)) مقول القول، فكان يفترض رفع الفعلين بإثبات النون فيهما لا جزمهما بحذفها؟

ج ــ كلاّ، يمكن أن لا يكونا ضمن مقول القول، وإنما هما جواب فعل الأمر (قل) ولذلك جاءا مجزومين، ومقول القول حذف لدلالة الجواب عليه، والمعنى قل لعبادي

الذين آمنوا: يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقناهم يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقنـــاهم. أي إذا قلت لهم ذلك يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فحُذف مقول القول اعتماداً على قرينة جواب الأمر، باعتبار أن مقول القول نفس مضمون الجواب.

((وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ))(٣٤).

س ٤٤٣ ــ كيف ينسجم قولـــه: ((وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ)) مع ما نلاحظه من عـــدم استجابة كثير من الأدعية؟

ج ــ الآية بصدد بيان وفرة نعم الله تعالى على الجنس البشري وأنه تعالى وفّر له ما يحتاجه ويطلبه ويطمح إليه ضمن نظام الأسباب، حيث جعل الخيرات في هذه الحياة الدنيا، منح القدرة والموهبة للإنسان، لاستثمارها. وليست الآية ناظرة إلى كل فرد مـــن الناس، إذ قد لا يستجيب الله تعالى لبعض الناس تبعاً لمصـــالح ومقتضـــيات أو موانـــع معيّنة.

((... أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ))(٤٤).

س ٤٤٤ ــ كيف يقسمون في الدنيا على عدم الزوال مع أن كلّ إنسان يعلم بأنه يمـــوت ولا يـــخلد فيها؟

ج ــ من معاني الزوال الاستحالة والحركة، فهم أقسموا على عدم تحـــوّلهم مـــن الدنيا إلى الآخرة.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٩.

سورة الحجر

((وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ))(١٦).

س ٤٤٥ ــ ما هي البروج المذكورة؟

ج ــ إشارة إلى منازل الشمس والقمر، شبهها بالقصور المحسوسة.

((وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ))(٢٤).

س ٤٤٦ ــ من هم المستقدمون والمستأخرون؟

ج ــ المستقدمون هم السابقون، والمستأخرون هم المتأخرون بحسب الوجود.

((... وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ))(٨٥).

س ٤٤٧ ــ كيف تنسجم الدعوة للصفح الجميل مع الدعوة للجهاد والغلظة على الكفار والمنافقين في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)) (التوبة:٧٣).

ج ــ ان الآية الأولى نزلت في مكة حيث كان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) يواجه أذاهم بالصبر في مقابل دعوتهم للإسلام، قبل تشريع الجهاد، فكانت هذه الآية ونحوها تسلية للرسول وحثّاً له على تحمّل الأذى في سبيل الله تعالى، بينما الآية الثانية نزلت بعد فتح مكة أو حينه حيث أسّس الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم)دولة الإسلام وخاض المعارك الجهادية في مواجهة عدوان الكافرين على الكيان الإسلامي الفتي، فكان الأمر بالجهاد والغلظة طبيعياً لردعهم عن الاستمرار في عدوانهم، وكذلك بالنسبة للمنافقين الذين كانوا يمثلون الطابور الخامس الذي يزرع الفتنة وعدم الاستقرار داخل البنية الإسلامية، علماً ان المقصود من جهاد المنافقين ليس هو القتال بالسيف وإنّما هو الردع والغلظة في التعامل.

وعلى كل حال فليس هناك تناقض بين مدلولي الآيتين، وانما اختلف الموقف تبعاً لاختلاف الظرف الموضوعي عما كان عليه في مكة قبل الهجرة.

((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ))(٩٥).

س ٤٤٨ ــ كيف ينسجم ذلك مع قولــه تعالى: ((فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَاب)) (١) وقولــه تعالى: ((كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ)) (٢)؟

ج ــ لا منافاة بينهما، لأنّ كلاً منهما من حالاته، قال الطبرسي: (وأصل آدم (عليه السلام) كان من تراب، وذلك قوله: ((خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ)) ثم جعل التراب طيناً، وذلك قوله: ((وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ))(٣) ثم ترك ذلك الطين حتى تغيّر واسترخى، وذلك قوله: ((مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)) ثم ترك حتى جف، وذلك قوله: ((مِن صَلْصَالٍ)) فهذه الأقوال لا تناقض فيها، إذ هي إخبار عن حالاته المختلفة) (٤).

((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))(٨٧).

س ٤٤٩ ــ إذا كان السبع المثاني هي سورة الفاتحة ــ كما تضمنته بعض النصوص ــ فكيف يعطف عليه القرآن، والعطف يعني المغايرة بين المتعاطفين؟

ج ــ كلاّ، لأنّ من مصحّحات العطف الاهتمام ببعض الأفراد وتخصيصها بالذكر.

((لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ))(٨٨).

س ٤٥٠ ــ كيف ينسجم الإعجاب بنعمة الله عليهم مع الحزن عليهم؟

ج ــ أصحاب النعم الوافرة هم قلّة منهم، حيث نبّه تعالى أنّ توفر هذه النعم عندهم لا يعني فوزهم ونجاتهم ما داموا كافرين، وأما قوله: ((وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ)) فباعتبار أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان ــ بسبب شفقته ــ يحزن على قومه ويتحسّر عليهم بسبب غضب الله تعالى عليهم وما ينتظرهم من عذابه، حتى خاطبه ربّه بقوله: ((فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ))(٥).

---

(١) سورة الحج: ٥.
(٢) سورة آل عمران: ٦٠.
(٣) سورة الأعراف: ١٢.
(٤) مجمع البيان: ٥١٦/٦.
(٥) سورة فاطر: ٨.

سورة النحل

((يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ))(٢).

س ٤٥١ ــ ما هو الروح، ولماذا قال هنا: ((يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ)) وقال في مواطن أخرى: ((يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا))(١) ،((تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ))(٢)؟

ج ــ الروح الذي يُعطف عليه الملائكة ــ كما في آيتي المعارج والنبأ ــ هو جبرئيل أو ملك آخر ــ كما تضمنته بعض النصوص. وأما الروح في آية سورة النحل فهو الوحي أو أمر النبوة، قيل سمي روحاً، لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان(٣).

((وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ))(٩).

س ٤٥٢ ــ كيف يكون على الله قصد السبيل؟

ج ــ القصد بمعنى الاستقامة، أي على الله بمقتضى لطفه بعباده بيان الطريق المستقيم لهم، وفي مقابل ذلك السبُل والمبادئ الجائرة أي المنحرفة.

((الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))(٢٨).

س ٤٥٣ ــ ما معنى إلقائهم السلَم؟

ج ــ من معاني السلَم الانقياد والاستسلام، فهؤلاء عندما لمسوا ضعفهم تركوا عنادهم وكبرياءهم، وخضعوا للأمر الواقع، فحاولوا الاعتذار والتنصّل من مواقفهم السابقة وكفرهم.

((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...))(٦١).

س ٤٥٤ ــ كيف يفني كلّ دابة بسبب ظلم الظالمين مع أن مقتضى العدل أن يقتصر العذاب عليهم؟

ج ــ حيث كلّ الناس ــ ما عدا المعصومين ــ مذنبون مع ربّهم، فهم يستحقّون عذابه، إلاّ أنّ رحمته تعالى وسعتهم، فامهلهم لكي يتوبوا ويستقيموا، وأما غير المكلّفين من الدواب فقد خُلقت لأجل الإنسان، كما قال تعالى: **((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً))**(٤) فيكون فناؤها تبعاً لفناء من خُلقت من أجله، وليس انتقاماً منها.

((وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ))(٦٦).

س ٤٥٥ ــ لماذا قال: ((فِي بُطُونِهِ)) مع أن مرجع الضمير ((الأَنْعَامِ)) جمع لغير العاقل؟

ج ــ ذكر النحاة أن جمع التكسير يمكن اعتباره مذكراً بإرادة الجمع، ويمكن اعتباره مؤنثاً بإرادة الجماعة، فيصح أن يقال: جاءت النساء، وجاء النساء.

وهناك توجيه آخر لتذكير الضمير في: ((بُطُونِهِ)) وهو أن المقصود من الأنعام الجنس والطبيعة، فالضمير يعود على جنسها، لا أفرادها، فلذلك جاء مذكّراً لا مؤنّثاً.

((وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...))(٧٧).

س ٤٥٦ ــ كيف يكون أمر الساعة أقرب من لمح البصر؟

ج ــ بسبب عموم قدرة الله تعالى، فهو لا يحتاج إلى توفر ظروف وتهيئة مقدّمات، بل: **((إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))**(٥).

((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ))(١٠٣).

س ٤٥٧ ــ اختلاف اللسان لا ينفي ادعاءهم، إذ يمكن أن يعلّمه المضمون فيصوغها محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ بزعمهم ــ صياغة عربية؟

ج ــ كلاّ، لأنّ من أهم ما انبهر به المشركون وتحدّاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) هو بلاغة القرآن العربية وفصاحته المتميّزة التي يعجز عنها البلغاء العرب، والكاشفة عن كونه من الله تعالى، لا من غيره.

((... فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))(١١٥).

س ٤٥٨ ــ المضطر غير الباغي ولا المعتدي ليس مذنباً في أكله الميتة حتى يحتاج للمغفرة؟

ج ــ ليس المقصود بيان كون المضطر المذكور مذنباً، بل حيث إنّ الله تعالى يغفر ذنوب عباده ويغضّ عنها رحمةً بهم، فهو ــ بطريق أولى ــ يراعي ظروفهم ولا يشق على المضطر المذكور بفرض تجنّب الميتة، بل يجوّز له سدَّ رمقه ورفع ضرورته.

((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ))(١١٩).

س ٤٥٩ ــ إذا كان عملهم للسوء بسبب جهلهم فلا يكون معصية، فكيف احتاجوا إلى توبة ومغفرة؟

ج ــ الجهالة هنا في مقابل الحكمة لا في مقابل العلم، فهؤلاء غلبهم هواهم فعملوا السوء من دون إصرار ثم عادوا إلى رشدهم، فتابوا وأصلحوا. ونظير ذلك ما جاء في حديث الإفك: (ولكن اجتهلته الحميّة) (٦) أي حملته العصبية على الجهل أي الحمق.

((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(١٢٠).

س ٤٦٠ ــ ما معنى أن يكون ابراهيم أُمّة؟

ج ــ قال أبو عبيدة: كان أُمّة أي إماماً (٧). ولعلّه إشارة إلى قوله تعالى ــ لإبراهيم ــ: ((قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا))(٨).

وقيل: الأُمة: الرجل الذي لا نظير له، وكلّ من كان على دين الحق مخالفاً لسائر الأديان، فهو أُمة وحده، وكان إبراهيم خليل الرحمن ــ على نبينا وعليه السلام ــ أُمّة(٩).

((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...))(١٢٥)

س ٤٦١ ــ كيف ينسجم الأمر بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة في هذه الآية وقريب منها الآيات التي نفت الإكراه في الدين مثل قوله تعالى: ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...)) (١٠). مع الآيات التي تأمر بتحريض المؤمنين على القتال، والأمر بقتال الكافرين مثل قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...)) (١١). و((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...)) (١٢) و((قَاتِلُوا... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)) (١٣) و((فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...)) (١٤)؟

ج ــ قبل أن نتحدث عن الآيات الوارد في السؤال نرتأي أن نمرّ سريعاً على سيرة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) مع أعدائه من المشركين وأهل الكتاب منذ بداية الرسالة الإسلامية، حيث نجده(صلى الله عليه وآله وسلّم) قد اعتمد المنطق والحوار في دعوة الناس للإسلام والإيمان بالله، وبرغم العنف والإرهاب الذي واجهه به المشركون إلاّ انه(صلى الله عليه وآله وسلّم) لم يعاملهم بالمثل فلم يعتمد أسلوب التنظيمات السرية المسلحة مثلاً، بل دعا أصحابه إلى الصمود وتحمّل قساوة التعذيب والعدوان حتى ضرب المسلمون الأوائل الأمثلة الرائعة في الصبر والصمود في سبيل العقيدة، فنرى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) عندما يمرّ بمشاهد التعذيب القاسي الذي يعانيه الصحابي الجليل ياسر وزوجته سمية وولدهما عمّار، لا يزيد على قوله(صلى الله عليه وآله وسلّم): (صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنّة)، وكذلك بالنسبة لباقي أصحابه الذين كانوا يعانون من ضغوط المشركين وبطشهم.

واستمر الوضع الرهيب يخيّم على أوساط المسلمين حتى هاجر بعضهم الى الحبشة، وتمادى المشركون فكانت محاولتهم ــ الفاشلة ــ في إرجاع المهاجرين الى قبضتهم... وبعدها كانت الهجرة العامة الى المدينة المنوّرة فجوبهوا بمصادرة أموالهم وممتلكاتهم في مكة، وملاحقة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) وأصحابه خلال مسيرة الهجرة بهدف قتلهم وإبادتهم.

وعندما حاول المسلمون استرجاع جزء من حقوقهم من قافلة أبي سفيان التجارية تجهّز المشركون للحرب بهدف القضاء على المسلمين ــ رغم علمهم بسلامة القافلة من سيطرة المسلمين ــ فخاض المسلمون الأوائل اوّل حرب دفاعية في (بدر)، وتلتها معارك مصيرية اخرى كان موقف المسلمين فيها كلها دفاعياً، كما تشهد بذلك مواقع المعارك الجغرافية وأنها جميعاً في أطراف المدينة لا اطراف مكة.

واستمر الرسول في مساعيه لتجنب الحرب والعنف حتى عندما تجاوز المشركون الخط الأحمر في التعامل مع القبائل والجماعات المناوئة عندما منعوا الرسول

والمسلمين من أداء مراسم العمرة، متجاوزين كل الأعراف السائدة في الجزيرة العربية التي تحظر ــ في كل الأحوال والظروف ــ منع حجاج البيت الحرام وتهديدهم وقتالهم(١٥)، فتنازل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) عن حقّه في زيارة البيت الحرام واستعد للرجوع مع الكم الهائل من المسلمين إلى المدينة المنوّرة رغم انّهم وصلوا إلى أطراف مكة.

وتم الاتفاق بين الطرفين على صلح الحديبيّة، وتحمّل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) تبعات وآثار الصلح خصوصاً فيما يرتبط بالبند الذي ينصّ على انّ "من أتى محمداً من قريش بدون اذن وليّه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً من أتباع محمد لم يردّوه عليه" حيث واجه الرسول احتجاجاً عنيفاً من بعض الصحابة ــ الذين جهلوا حكمة هذا البند ــ ومع كل ذلك التزم النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) ببنود الصلح ليؤكد حرصه على السلام ونبذ الحرب، ومرت الأيام القليلة واذا بالمشركين ينقضون معاهدة الصلح ويغدرون بقبيلة (خزاعة) احلاف المسلمين...

ورغم المواقف العدائية والركام الهائل لعدوان المشركين لم ينتقم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) منهم وهو في اوج قوّته وهم في منتهى ضعفهم عند فتح (مكة)، بل اوصى المسلمين بعدم سفك الدماء، وخاطب أعداءه بكلمته الخالدة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

وأما موقف النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) من أهل الكتاب فكان هو اعتماد منطق الحوار الهادئ والحكمة امتثالاً لقوله تعالى **((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...))** حتى انه عقد معاهدة الدفاع المشترك مع الجماعات اليهودية التي كانت متواجدة في المدينة، الاّ ان اليهود واجهوا النبي وأصحابه بمواقف الغدر والطعن من الخلف في احلك الظروف الحرجة التي مرّت بهم، واستمرت كل طائفة منهم تتحيّن الفرصة تلو الفرصة للتحالف السري مع المشركين والغدر بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) فاضطر(صلى الله عليه وآله وسلّم) للتخلّص منهم، ورغم غدرهم ومواقفهم المشينة لم يستخدم العنف مع كثير منهم.

وكان للرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) موقف مماثل مع الكافرين خارج الجزيرة العربية حيث كانت دعوته لهم للدخول في الإسلام سلمية من خلال الرسائل التي أرسلها للملوك والرؤساء آنذاك، لكن بعض هؤلاء ــ مثل كسرى والحارث الغساني ــ واجهوا هذا الموقف السلمي بالتحدّي والاستخفاف حتى قتل بعضهم رسول النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إليهم.

بعد هذه اللمحة الموجزة عن سيرة النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلّم)ومواقفه السلمية مع أعدائه ومناوئيه من المشركين وأهل الكتاب نعود إلى الحديث حول الآيات الواردة في السؤال فنقول...

ليس هناك مناقضة بين الآيات من القسمين المذكورين في السؤال لأن القسم الأول منها يتحدث عن ان الإيمان الحقيقي يكون عن عقيدة وإرادة من صاحبه، ولا يتحقق بالحث والإكراه النفسي عليه بسبب الرغبة والحرص في هدايتهم الذي عرف به الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) وكما تشير بعض هذه الآيات إلى مدى حرص النبي على إيمان الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والشرك **((فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ))**(١٦).

وأمّا القسم الثاني من الآيات..

أ) فالآية الأولى **((حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ))** (١٧) تدعو إلى حث المسلمين على التهيّؤ والاستعداد للجهاد في مواجهة أعداء الإسلام، ولا ترتبط باكراه غير المسلمين على الدخول في الاسلام على خلاف ما صوّره صاحب النشرة.

ب) والآية الثانية **((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ))** (١٨) نزلت بعد فتح مكة ونقض العهد من جانب المشركين، فكانوا هم السبب في انتهاك حرمة انفسهم.

ج) وأمّا الآية الثالثة **((قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ...))** (١٩) فهي تتحدث عن التزامات أهل الكتاب المالية في الدولة الإسلامية التي توفّر لهم الأمن وحريّة المعتقد والعبادة والأنشطة الاقتصادية المتنوعة، حتى أنهم أُعفوا من واجب الجهاد في مواجهة العدوان الذي يواجه البلاد وفرض على المسلمين تحمله عنه.

د) وأمّا الآية الرابعة و**((فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...))** (٢٠) فهي تتحدث عن تحريض المسلمين على الجهاد لدفع عدوان الكافرين عليهم، وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان لما رجع إلى مكة يوم (أحد) واعد رسول الله موسم بدر الصغرى، فتثاقل المسلمون عن تلبية نداء الجهاد فنزلت هذه الآية تدعو النبي إلى حثّ المؤمنين وتحريضهم على الجهاد **((عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا))** (٢١) بأس الذين كفروا فهذه الآية لا ترتبط بقضية الإكراه على الإسلام، كما جاء في السؤال.

---

(١) سورة النبأ: ٣٨.

(٢) سورة المعارج: ٤.

(٣) لسان العرب: ٢ / ٤٦٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٩.

(٥) سورة يس: ٨٢.

(٦) لسان العرب:١١/ ١٢٩.

(٧) لسان العرب: ٢٧/١٢.

(٨)سورة البقرة: ١٢٤.

(٩)يراجع لسان العرب: ٢٧/١٢.

(١٠)البقرة:٢٥٦.

(١١)الأنفال:٦٥.

(١٢)الأنفال:٣٩.

(١٣)التوبة:٢٩.

(١٤)النساء:٨٤.

(١٥) ذكر المؤرخون ان قريشاً بعثوا الى النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) وهو في الحديبية الحليس بن علقمة او ابن زبان وكان سيد الأحابيش ــ وهم حلفاء قريش ــ ليحاوره ويمنعه من دخول مكة، فلما رآه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) قال: ان هذا من قوم يتألّهون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدي وعرف علامته رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) إعظاماً لما رأى. فقال: يا معشر قريش إنّي قد رأيت ما لا يحل، صدّ الهدي في قلائده قد أكل اوباره من طول الحبس عن محلّه. قالوا له: اجلس فإنّما أنت أعرابي لا علم لك، فغضب الحليس وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أن تصدّوا عن بيت الله من جاء معظّماً له، والذي نفس الحليس بيده لتُخلّنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له: مه كفّ عنّا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. يراجع الطبري ٢٧٦/٢.

(١٦) فاطر: ٨.

(١٧) الأنفال: ٦٥.

(١٨) الأنفال:٣٩.

(١٩) التوبة:٢٩.

(٢٠) النساء:٨٤.

(٢١) النساء: ٨٤.

سورة الإسراء

((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ))(١).

س ٤٦٢ ــ لماذا قال: ((بَارَكْنَا حَوْلَهُ))؟

ج ــ كأنه باعتباره مقرّ الأنبياء وآثارهم، حيث تحيط ببيت المقدس.

((وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ... وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا))(٤- ٧).

س ٤٦٣ ــ ما هما الوعدان اللذان تشير اليهما هذه الآيات الكريمة؟

ج ــ اختلف المفسّرون في تحديدهما على عدّة أقوال:

منها: انه إشارة إلى بختنصر وملك فارس.

ومنها: ان الأولى إشارة إلى بختنصّر والثانية إشارة إلى الإمام المهدي (عليه السلام) وأصحابه.

((وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً))(١١).

س ٤٦٤ ــ كيف يدعو الإنسان باستعجال الشرّ مع أنه بطبيعته يتجنّبه ولا يريده؟

ج ــ لعلّه إشارة إلى استعجال الكافرين لعذاب الله تعالى أو ليوم القيامة، تعنّتاص وتحدياً للرسول كما أشار إليه القرآن مراراً، كما في قوله تعالى: ((وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ))(١).

((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا))(١٣).

س ٤٦٥ ــ ما هو الطائر الذي في عنق الإنسان؟

ج ــ قال الطبرسي: (معناه وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شر في عنقه ــ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ــ يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه. وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم: ((جرى طائره بكذا))

ومثله قولـــه ســـبحانه: ((قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ)) (٢) وقولـــه: ((إِنَّمَا طَائِـــرُهُمْ عِندَ اللّهُ)) (٣)...) (٤).

((وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا))(١٦).

س ٤٦٦ ــ كيف يأمر الله تعالى بالفسق؟ وكيف يعاقب عليه بعد ذلك؟

ج ــ لم تتضمن الآية الكريمة أن المأمور به هو الفسق، بل المـــأمور بـــه هـــو الطاعات إلاّ أن هؤلاء لم يفعلوها ففسقوا وعصوا.

ولو فرضنا أنّ المتعلَّق المحذوف للأمر هو الفسق فهو من باب المجاز باعتبـــار أنه تعالى هيّأ لهم أسباب ذلك كالترف والنعم المتتالية التي لم يحسنوا التعامـــل معهـــا، فيكون نظير نسبة الإضلال والهداية إليه تعالى في عدّة آيات، من دون أن يعني ذلك أنه يجبر الناس على ذلك.

س ٤٦٧ ــ إذا كان الفاسقون هم المترفين فلما يعذّب الجميع، مع أنه تعالى قال: ((وَلَـــا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))؟

ج ــ إن الفسق لم يقتصر على المترفين، وإنما نصّ عليهم باعتبـــار أنّهـــم هـــم السبب في إفساد المجتمع، بسبب تأثيرهم الاجتماعي الفاعل.

((قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً))(٤٢).

س ٤٦٨ ــ لربّ قائل يقول إنّ الإلهة تتفق فيما بينها في خلق الكـــون وإدارتـــه دفعـــاً للتنازع والفساد؟

ج ــ إن الذي يحتاج إلى الاتفاق مع الآخرين هو المخلوق المحدود فـــي قدراتـــه وسلطانه، والمفروض في الإله استغناؤه المطلق بذاته ولا حدّ لقدرته وسلطانه.

((نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى...))(٤٧).

س ٤٦٩ ــ ما معنى ما يستمعون به؟

ج ــ كأنه يريد الداعي والهدف من استماعهم، يعني نحن نعلـــم هـــدفهم الـــذي يستمعون بسببه أي من أجله.

((... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ...))(٦٠).

س ٤٧٠ ــ ما هي الرؤيا وأين لعنت الشجرة في القرآن؟

ج ــ قيل: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) رأى شجرة الزقّوم التي أشار إليها القرآن بقوله تعالى: ((إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ))(٥)، وقوله تعالى: ((أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ))(٦)، حيث تضمن القرآن ذَمّها وذمّ آكليها.

وتضمنت بعض النصوص من الفريقين أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) رأى بني أُمية ينزون على منبره كالقرود، فاغتمّ لذلك وما رؤي ضاحكاً إلى أن مات، وانّ الآية نزلت في هذه المناسبة.

((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً))(٦٥).

س ٤٧١ ــ كيف نفى سلطان الشيطان على عباده مع أن الغاوين عباده أيضاً ولذلك استثناهم في قوله تعالى: ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ))(٧)؟

ج ــ اعتمد هنا على قرينة ما سبق قبل ثلاث آيات حيث استثنى من عباده من تبع الشيطان: ((قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا))(٨) بينما في سورة الحجر لم يتقدّم على الآية المذكورة ما يوضّح طبيعة المستثنى بالضبط، إذ الذي تقدّم على تلك الآية حكاية قول ابليس: ((... وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ))(٩)، فلو لم ينصّ على المستثنى لتوهّم أن الناجين خصوص العباد المخلَصين، ولا يشمل غيرَهم كالمستضعفين الذين قد تشملهم رحمة الله تعالى لعدم اتباعهم لإبليس. والله العالم.

((ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا))(٦٩).

س ٤٧٢ ــ ما هو التبيع؟

ج ــ الذي يتابع ويطالب بهم. قال الزمخشري: (التبيع: المطالِب، من قوله: ((فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ)) أي مطالبة، يقال: فلان على فلان تبيع بحقّه أي مصيطر عليه

مطالب له بحقه. والمعنى: انّا نفعل ما نفعل بهم، ثمّ لا تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منّا وادركاً للثأر من جهتنا. وهذا نحو قوله: ((وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا)) (١٠).

((وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً))(٧٢).

س ٤٧٣ ــ كيف يكون في الآخرة أعمى والحقائق هناك تتضح للجميع وتزول الحُجب كما قال تعالى: ((لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)) (١١)؟

ج ــ لا شك أنه ليس المراد من الأعمى في الدنيا فاقدَ البصر، وإنما يراد منه فاقد البصيرة والمنحرف، باعتبار اشتراكه مع فاقد البصر في إضاعة الطريق وحرمانه من بلوغ سعادته. وبهذا الاعتبار أُطلق على المنحرفين والكافرين في الآخرة الذين أضاعوا حظّهم وسعادتهم وخسروا أنفسهم.

بل إطلاقه على هؤلاء أولى لأن الإيمان والاستقامة في الدنيا وسيلة للسعادة الأخروية، وليسا هدفاً، بينما سعادة الآخرة هي الهدف، فضياعها ــ من جانب الفاسقين ــ أولى باطلاق العمى، وبتعبير آخر أنه إذا كان من أضاع ــ في الدنيا ــ الوسيلة إلى السعادة والرضوان أعمى فاطلاق العمى على من أضاع ــ في الآخرة ــ نفس السعادة والرضوان الإلهي أولى، ولذلك قال تعالى: ((وَأَضَلُّ سَبِيلاً)).

((وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً))(٧٣-٧٤).

س ٤٧٤ ــ ألا يعني ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد عزم على الافتراء على الله تعالى؟

ج ــ ليس في الآيتين ما يشير إلى العزم المزعوم، وإنمّا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ لفرط شفقته على الناس ورغبته في هديتهم وإيمانهم ــ يلين معهم، وعندما طلب منه بعضهم إمهال أصنامهم أو الكف عن تسفيهها أو نحو ذلك ــ على اختلاف الروايات ــ ربما خطر في نفسه أن يستجيب لهم رغبةً في جذبهم للإسلام من دون أن يعزم عليه، ولما وجد عدم انسجام طلبهم مع مسؤوليته التي يتحمّلها أعرض عنه، وذلك كما تلوح في نفس الإنسان عدّة خيارات قبل أن يصمّ على أحدها.

والتثبيت والتسديد الإلهي لا يعني تصميم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعزمه على المخالفة، وإنمّا هو اللطف الإلهي الذي يشمل عباده المخلصين ــ كلاً حسب مقامه ومرتبته ــ كما قال تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ))(١٢).

((إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا))(٧٨).

س ٤٧٥ ــ لماذا خصّ قرآن الفجر أي صلاة الفجر بذلك، مع أن باقي الصلوات اليومية الأربع التي تحدثت عنها الآية مشهودة أيضاً؟

ج ــ تضمنّت النصوص الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وآل بيته أن صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، ولذلك وُصفت بأنها مشهودة(١٣).

((أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً))(٩٢).

س ٤٧٦ ــ إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد وعدهم بإسقاط السماء كسفاً فكيف يُخلف وعده؟

ج ــ إنما أخبر عن حدوثها ضمن أشراط الساعة ويوم القيامة، كما قال تعالى: ((إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ))(١٤) و((إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ))(١٥) وهؤلاء استعجلوا بها على خلاف ما وعدهم.

((قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً))(٩٥).

س ٤٧٧ ــ لماذا لا يصلح الملك رسولاً للبشر؟

ج ــ حيث كان الهدف من بعثة الأنبياء هداية البشرية وإصلاح شؤونهم وأن يكون مناراً لهم وقدوة ، كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)) (١٦)، فإذا كان الرسول مخالفاً لهم في طبيعته فلا تقوم به الحجة عليهم، ولا يهتدون به، بل يرتابون في أمره ولا يقتدون به، خاصّة إذا كان ملَكاً فاقداً للهوى والشهوة ــ كما هو المعروف ــ بعكس ما إذا كان مشاركاً لهم في طبيعتهم ويعيش بينهم ويصيبه ما يصيبهم.

ولذلك يرسل الله تعالى الملك رسولاً إلى أنبيائه، ولا يُرسلهم إلى المجتمع البشري لإصلاحه وإقامة الحجة عليه، لأنّ دور الملَك المرسَل إلى النبي مجرّد إبلاغ رسالته وتعاليمها بخلاف دور الأنبياء في أممهم. والله العالم.

س ٤٧٨ ــ إذن كيف صحّ أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) هادياً للجنّ، كما أشارت إليه آيات من سورة الجن وبعض النصوص؟

ج ــ انّ الجنّ يشاركون الإنس في الهوى والشهوة والطاعة والمعصية، ومع ذلك قد يكون دور النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بين الإنس أقوى من دوره بينهم ــ كما يبدو ــ حيث لا تشير الآيات والنصوص إلى الارتباط الوثيق والدور الفاعل له (صلى الله عليه وآله وسلّم) بين الجن كما هو بين الإنس، حيث الجهاد والتضحيات والتعاليم الإسلامية المفصّلة، ولعلّ شمول رسالته (صلى الله عليه وآله وسلّم) لهم، لعدم وجود من هو مؤهل منهم لحمل الرسالة الإلهية الخاتمة لأبناء نوعه. والله العالم.

س ٤٧٩ ــ لماذا قال: ((يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ)) وهل الملائكة وَجلون في الأرض؟

ج ــ الطمأنينة هنا بمعنى السكون والاستقرار. قال الزجاج: معناه مستوطنين في الأرض(١٧)، وليست هي بمعنى الأمن، في مقابل الوجل والخوف.

((... وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا...))(٩٧).

س ٤٨٠ ــ كيف يكونون كذلك وقد تحدث القرآن أنهم يبصرون ما حولهم ويتكلّمون ويسمعون الكلام؟

ج ــ أشرنا قبل قليل إلى إضاعتهم حظّهم وخسرانهم سعادتهم وعدم انتفاعهم بأعضائهم وملكاتهم مثل الصمّ والبكم والعمي.

وربّما يكون ذلك أيضاً إشارة إلى مدى الهلع والارتباك الذي ينتابهم بسبب شدّة عذابهم.

---

(١) سورة العنكبوت: ٥٣.

(٢) سورة يس: ١٩.

(٣) سورة الاعراف: ١٣١.

(٤) مجمع البيان: ٦/ ٦٢٢.

(٥) سورة الدخان:٤٣- ٤٦.

(٦) سورة الصافات: ٦٢- ٦٣.

(٧) سورة الحجر: ٤٢.

(٨) سورة الإسراء: ٦٣.

(٩) سورة الحجر: ٣٩، ٤٠.

(١٠) الكشاف: ٢/٦٨٠.

(١١) سورة ق: ٢٢.

(١٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(١٣) يراجع وسائل الشيعة: ٣/١٥٤، والجامع الصحيح: ٣/ ٢٥٢.

(١٤) سورة الانفطار: ١.

(١٥) سورة الانشقاق: ١ ــ ٢.

(١٦) سورة الأحزاب: ٤٥ ــ ٤٦.

(١٧) لسان العرب:١٣/ ٢٦٨.

سورة الكهف

((مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا))(٣).

س ٤٨١ ــ ما هو مرجع الضمير في قولــه: ((فِيهِ)).

ج ــ هو الأجر المتقدم، أي يتنعّمون في ذلك الأجر أبداً.

((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا))(٩).

س ٤٨٢ ــ ألا توحي هذه الآية نفي العجب من قضية أصحاب الكهف مع أنّهــا مــدعاة للتّعجب فعلاً؟

ج ــ قال الطبرسي: فلخلق السموات والأرض أعجب من هذا ــ عن مجاهد وقتادة ــ، ويحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سألوه عن القصة قيل له: أحسبتَ أنّ هذا الشيء عجيب، حرصاً على إيمانهم حتى قوي طمعك أنك إذا أخبرتهم به آمنوا(١).

((...لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ...))(٢٦).

س ٤٨٣ ــ ما معنى: ((أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ))؟

ج ــ هذه من الصيغ العربية للتعجب، والمعنى ما أبصرَه وأسمعَه!

((كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا...))(٣٣).

س ٤٨٤ ــ كيف يتصوّر الظلم هنا حتى ينفيه؟

ج ــ الظلم هنا بمعنى النقصان، أي لم تنقص منه شيئاً.

((وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...))(٤٨).

س ٤٨٥ ــ كيف يكون مجيئهم كما خُلقوا في الدنيا؟

ج ــ يُحشر كلّ إنسان وحده مجرّداً من الأعوان والأموال وغيرها. وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنه قال: ((يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلاً(٢)))..(٣).

((وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا))(٨٢).

س ٤٨٦ ــ كيف لم يلتزم موسى بوعده واعترض على العالم ــ الذي يقال إنه الخضر ــ ولم يصبر؟

ج ــ إن اعتراض موسى (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان ضمن الإدراك العام للحكمة والصواب، بينما كان سلوك الرجل العالم منسجماً مع اختصّ به من العلم، ولذلك قال: ((وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)).

((الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا))(١٠١).

س ٤٨٧ ــ الذِّكر ليس من شؤون العين حتى تكون في غطاءٍ عنه.

ج ــ المقصود ــ والله العالم ــ بيان غفلتهم وعدم وعيهم، باعتبار أن العين عضو وآلة لنقل صور الأشياء للجزء المحدّد في الدماغ، ومنه إلى القوة المدركة لا أنها هي المدركة.

---

(١) مجمع البيان: ٦/ ٦٩٧.
(٢) جمع أغرل وهو الأقلف غير المختون.
(٣) مجمع البيان: ٦/ ٧٣٢.

سورة مريم

((قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا))(١٠).

س ٤٨٨ ــ كيف يكون سكوته آية؟

ج ــ باعتبار أن لسانه اعتُقل عن الكلام العادي، ولذلك نُصب الفعل بأن المصدرية بعد (لا) النافية، وقد تقدم توضيحه.

((وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا))(١٣).

س٤٨٩ ــ ما معنى الزكاة هنا؟

ج ــ لعلّ المراد به الطهر ــ كما ان تزكية المال تطهيره ــ أي انّ الله تعالى حباه بالحنان عليه والطهر.

((قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا))(١٨).

س ٤٩٠ ــ كيف تقول ذلك مع أن الفاسق هو الذي يتعوَّذ منه؟

ج ــ كلاّ، لأن هذا الخطاب وإظهار التعوّذ بالرحمن إنما يجدي بالنسبة لمن يتقي الله ويخشاه إذا خيف منه، أما الذي لا يتقي الله فلا يرتدع بذلك.

((فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا))(٢٦).

س ٤٩١ ــ لماذا دعاها إلى صوم الصمت؟

ج ــ لتتخلّص من الجدال مع الناس ويتكفّل عيسى محاورتهم والردّ عليهم، فيظهر الاعجاز الإلهي وتثبت براءتها.

س ٤٩٢ ــ إذا كانت صائمة بصوم الصمت فكيف تحدثهم بذلك؟

ج ــ لعلّ المقصود من القول (فقولي) هو البيان الإفهام بأية وسيلة اخرى دون الكلام اللفظي ، كما تقول عندما تكتب أمراً لصديقك: قلتُ له كذا، مع أنّك كتبتَ إليه ولم تتلفظ بذلك. ويؤيّد هذا الذي ذكرناه قولــه تعالى ــ فيما بعد ــ ((فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ)) (١) فكانت إشارتها قرينة على صومها المذكور، ولذلك لم تقل لهم ذلك لفظاً.

((ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ))(٣٤).

س ٤٩٣ ــ ما معنى أن يكون عيسى قول الحق؟

ج ــ المقصود ــ والله العالم ــ أنّ القول الحقّ في عيسى هو ما ذكرناه، كما تقول: إن قصة عيسى وأمره كذا حقاً.

((لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاّ سَلاَمًا...))(٦٢).

س ٤٩٤ ــ كيف يستثني السلام من اللغو مع أنّه مباين له؟

ج ــ هذا الاستثناء منقطع ــ كما يسميه النحاة ــ حيث لا يندرج المستثنى ضمن المستثنى منه، بل لمّا نفى سماعهم للغو، فقد يتوهم أن ذلك يكشف عن حالة الصمت المطبق التي تعمّ أجواء الجنّة بحيث لا يسمعون أي كلام، لأنّ سماع اللغو مألوف في الحياة الدنيا التي عاشوا فيها من قبل ، فنفى هذا التوهّم بأنهم يسمعون السلام الذي هو مباين للّغو، ويكون بشرى لهم حيث تستقبلهم الملائكة بذلك، كما قال تعالى: ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)) (٢).

((وَإِن مِّنكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا))(٧١-٧٢).

س ٤٩٥ ــ هل يعني ذلك ورود المؤمنين والأئمة والأنبياء إلى النار؟

ج ــ هناك اختلاف بين المفسّرين في معنى الورود وكيفيته، ففسّره بعضهم بالإشراف على النار، بينما حمله آخرون على الجواز على الصراط، وأن الناس يتفاوتون في العبور وفي سرعته. وقد يستثني البعض المعصومين من ذلك.

---

(١) سورة مريم: ٢٩.

(٢) سورة الزمر: ٧٣.

سورة طه

((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))(٥).

س ٤٩٦ ــ بما أن الرحمن منزّه عن أن يكون جسماً فكيف يستوي على العرش؟

ج ــ لقد تقدم في الآية (٢٩) من سورة الأعراف أنّ العرش عالم الإيجاد، والاستواء هو السيطرة والاستيلاء.

((إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى))(١٥).

س ٤٩٧ ــ لماذا قال: ((أَكَادُ أُخْفِيهَا)) مع أنه قد أخفاها بالفعل كما قال: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ)) (١)؟

ج ــ قيل أي اريد أن اخفيها. ولعلّ التعبير بـــ (أكاد) إنما صحّ باعتبار أن هناك أشراطاً وعلامات على قرب حلول الساعة تظهر لمصالح خاصة في اظهارها. فقولـــه: **((أَكَادُ أُخْفِيهَا))** للإشارة إلى ذلك،وأنه لولا المصالح المذكورة لكانت الساعة مخفية تماماً، مفاجئة من دون تلك العلامات والأشراط.

((وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى))(٢٢).

س ٤٩٨ ــ لماذ ١ قال: ((مِنْ غَيْرِ سُوءٍ))؟

ج ــ حيث كان المألوف أن يكون البياض غير المتعارف بسبب مرض معيّن كالبهق والبرص، فأراد أن يطمئنه أن البياض ناصع وليس من ذلك النوع المرَضي.

((وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي))(٢٧- ٢٨).

س ٤٩٩ ــ لماذا طلب ذلك؟ وما هي العقدة في لسانه؟

ج ــ قيل: انه كان في لسانه رُتّة لا يفصح بسببها بالحروف، وروي أن سبب ذلك جمرة طرحها في لسانه عندما كان صغيراً في بيت فرعون، وذلك لمّا أراد فرعون قتله، لأنّه أخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل. فقالت آسية بنت مزاحم: لا تفعل فانه صبي لا يعقل، ولذلك فانه لا يميّز بين الدرة والجمرة، فأمر فرعون فأحضرت دُرة وجمرة بين يديه، فأراد موسى أن يأخذ الدّرة، فصرف جبرئيل يده إلى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه، فاكتوى لسانه بها، فأصابته الرُتّة، وقد رفعها الله تعالى بعد دعائه هذا(٢).

((وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي))(٣٢).

س ٥٠٠ ــ هل شاركه في النبوة؟

ج ــ نعم، فقد جعله الله تعالى نبيّاً إلى جنب موسى، كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ((فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ...)) (٣)، ولذلك استثنى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) النبوة في حديث المنزلة الوارد في حق الإمام علي (عليه السلام) حيث قال له: ((ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه ليس نبيّ بعدي)) (٤).

((قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى))(٤٥).

س ٥٠١ ــ كيف لا ينفّذان الأمر الإلهي أو يتردّدان فيه خوفاً من القتل أو طغيان فرعون؟

ج ــ كلاّ ، ليس هو من باب الامتناع عن التنفيذ ولا التردّد فيه، والمقصود هو توقّع عدم إمكانية تحقيق وتنفيذ المهمة الموكلة إليها بإصلاح فرعون ، المشار إليها بقوله تعالى: ((فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) لما يعرفان من طغيانه وكبريائه، ولذلك لم يردّ الباري عليهما ولم يعنفّهما، بل أشار إلى أنّ هناك مهمّة أخرى وراء ذلك، وهي تخليص بني اسرائيل من فرعون: ((فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ...)).

((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى))(٥٠).

س ٥٠٢ ــ ما معنى إعطاء الأشياء خلقها؟

ج ــ المقصود ايجادها وتكوينها، ووفّرلها الطبيعة أو الغريزة وحدها أو مع العقل لنموّها وصلاح شأنها.

((قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى))(٥١- ٥٢).

س ٥٠٣ ــ لماذا سأل فرعون عن الأمم الماضية؟

ج ــ يبدو أن فرعون بعد أن فوجئ بالدعوة إلى عبادة الله تعالى، أراد أن يعرف مصير الذي لا يستجيب لذلك، وأنه هل يترك وشأنه أو يحاسبه الله ويعاقبه عليه فسأل عن الأمم الماضية التي ماتت على كفرها. فأجابه موسى بأنّ الله لم يهمل شأنهم، بل ثبّت

مواقفهم في اللوح المحفوظ، وفي ذلك إشارة إلى حسابهم، لأن تثبيت المواقف السيئة وحفظَها ليس عبثاً.

((إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ))(٦٣).

س ٥٠٤ ــ لماذا لم ينصب اسم (إِنْ) فيقول: إنّ هذين لساحران، وليس: ((إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ))؟

ج ــ أولاً: ان هذا ليس غلطاً، بل قد يكون جرياً على لغة (كنانة) الذين يثبتون ألف المثنى في كل الأحوال فيقولون إنّ الرجلان نائمان قال بعض شعرائهم:

واهاً لريّا ثم واهــاً واهــا يا ليت عينــاها لنــا وفاها
وموضع الخال من رجلاها بثمــن نعطــي بــه أباهــا
إنّ أبــــاها وأبــا أبــاها قــد بلغا في المجــد غايتاها

فلم يقل: عينيها، فيها، رجليها، أبيها، وغايتيها.

وقال آخر:

تزوّد منّا بين اذناه طعنةً دعته الى هابي التراب عقيم

فلم يقل: أذنيه.

وقال آخر:

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاعُ لصمّا

فلم يقل: لنابيه.

وثانياً: ان هناك قراءات اخرى للآية، فقد قرأ ابو عمرو ((انّ هذين)) وقرأ ابن كثير وحفص ((أنْ هذان)) فالاشكال المزعوم لو صحّ لكان على القراءة المعيّنة لا على القرآن نفسه.

((... فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ...))(٧١).

س ٥٠٥ ــ ما معنى: ((مِنْ خِلَافٍ...))؟

ج ــ هو أن تكون اليد المقطوعة مخالفة للرجل المقطوعة، كأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وهو أبلغ في التنكيل، لما فيه من المثلة والتشويه.

((وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى))(٨٣- ٨٤).

س ٥٠٦ ــ كيف استعجل موسى؟

ج ــ قيل: انّ الله جعل ميعاد موسى وقومه أو الصفوة من قومه جانب الطور الأيمن ليُنزل عليه الألواح والشريعة، فسبق موسى قومه للميعاد ليناجي ربه، ولعلّه للتمهيد إلى جلبهم للميقات، فأخبره الله تعالى بالفتنة التي عصفت بهم في غيابه.

((قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ))(٨٧).

س ٥٠٧ ــ كيف وجّهوا عذرهم بذلك، وتغيير العقيدة أمر تابع لاختيار الإنسان ولا يجبر عليه؟

ج ــ كأنّ عذرهم أن هذا الانحراف والكفر لم يكن مقصوداً لهم من أول الأمر، وإنما كان بسبب الفتنة التي أفقدتهم صوابهم وسيطرت على عقولهم.

ويلاحظ التعبير الرائع عن حلّي القوم بالأوزار باعتبار ما آلت إليه حيث صارت سبباً لضلالة بني اسرائيل وإثقال كاهلهم، بالإضافة إلى ما توحيه من كثرتها وثقلها المادي.

((قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ...))(٩٧).

س ٥٠٨ ــ ما معنى: ((لا مِسَاسَ))؟

ج ــ قيل انّ الله تعالى ابتلاه بالتحسّس الجسدي فيثيره أي تماس مع غيره أو النفسي من الناس أدى إلى عزلته عنهم حتى هام في البراري وتوحّشَ.

((... وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا))(١٠٢).

س ٥٠٩ ــ ما معنى حشرهم زُرقاً؟

ج ــ لعلّه بسبب هول العذاب وشدّته تتوتّر أعصابهم فينحبس الدم في عروقهم فتميل وجوههم أو أجسادهم للزرقة، أو انّ وجوههم تتحوّل ــ بسبب هلعهم ــ شاحبةً بيضاء، ومن معاني الزرقة بياض خاص، قال ابن منظور: ((وقيل: الزرَق: بياض لا يُطيف بالعظم كلّه، ولكنّه وضحٌ في بعضه)) (٥).

((يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا))(١٠٣- ١٠٤).

س ٥١٠ ــ كيف يكون من قدّر مدّة المكث الطويلة بيوم أو فرهم عقلاً مع أنّ تقديره أبعد عن الصواب؟

ج ــ لعلّه باعتبار أن المقدرَّ هو فترة مكثهم في القبر، وهناك لا يتوارد عليهم الليل والنهار، فهو ــ من هذه الجهة ــ أقرب إلى اليوم من حيث الكيفية لا الكميّة.

((... وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا))(١١٣).

س٥١١ ــ كيف يُحدث لهم ذكراً؟

ج ــ يذكرّهم الله تعالى وثوابَه وعذابَه.

((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى))(١٢٤).

س ٥١٢ ــ كيف وهناك الكثير من المنحرفين والكافرين يعيشون حياةً مترفة؟

ج ــ لعلّه باعتبار أن هؤلاء ــ رغم ترفهم المادي ــ يعيشون حالة الاضطراب والتوجس بالنسبة لما يواجهونه بعد الموت من المصير المجهول، لعدم إيمانهم بالله تعالى والتزامهم بنهجه القويم.

((فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى))(١٣٠).

س ٥١٣ ــ ما هي خصوصية هذه الأوقات للتسبيح؟

ج ــ هناك رأيان للمفسرين: الأول أن الآية بصدد الحث على مداومة ذكر الله وتسبيحه، وهذه الأقات تستوعب وقت يقظة الإنسان في اليوم والليلة.

الثاني: ان الآية تشير إلى أوقات الصلاة، فصلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصلاتا الظهرين الممتد وقتهما إلى ما قبل الغروب، وصلاتا العشائين في الليل وربما صلاة الليل

أيضاً، قيل: واطراف النهار اشارة إلى الصلوات المستحبة التي يؤتى بها نهاراً كما يؤتى بصلاة الليل المستحبة ليلاً(٦).

((وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى))(١٣٣).

س ٥١٤ ــ ما هي البيّنة التي وصلتهم؟

ج ــ هي ما تحدث به القرآن من مصير الأمم السابقة الذين طلبوا آيات من ربّهم، ثم لم يلتزموا بعهدهم، فلم يحفظوها مثل قوم نبي الله صالح الذين طلبوا الناقة لتكون آية لهم ثم لم يحفظوها، فأنزل الله تعالى عليهم العذاب الماحق. فالآية الكريمة تحذّر هؤلاء من اقتراح آيات معيّنة قد يكفرون بها ــ كما كفرت الأمم السابقة ــ فينزل عليهم الغضب الإلهي.

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٢) يراجع مجمع البيان: ١٥/٧.

(٣) سورة طه: ٤٧.

(٤) الجامع الصحيح للبخاري: ١٧٦/٣. حديث: ٤٤١٦.

(٥) لسان العرب: ١٣٩/١٠.

(٦) يراجع التفسير الأمثل: ١٠٨/١٠.

سورة الأنبياء

((... وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ))(٣).

س ٥١٥ ــ ماذا يقصدون من ذلك؟

ج ــ كان الظالمون يحذّرون الناس من اتّباع الرسول ويتّهمونه بالسحر، ويقولون لهم كيف تُقبلون على السحر وتؤمنون به؟

((لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ))(١٧).

س ٥١٦ ــ ما معنى اتخاذ اللهو من لدنه؟

ج ــ كأنه بصدد بيان استغنائه تعالى عن التلهي بما يلهو به البشر، وأنه لو أراد التلهي لاتخذ لهواً يناسب شأنه، تعالى الله سبحانه عن ذلك علوّاً كبيراً.

((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...))(٢٢).

س ٥١٧ ــ لماذا يوجب تعدّد الآلهة الفساد؟

ج ــ هناك بحوث مفصّلة حول الموضوع ذكرت في الفلسفة وعلم الكلام، ونشير هنا إلى جانب منها، وهو أن مقتضى الألوهية عدم محدودية قدرة الله، وحينئذٍ فكلّ إله سوف يوظف قدرته لتثبيت سلطانه ــ إن صح التعبير ــ، إذ لا يعقل إرادة ما لا ينسجم مع بسط سلطانه، ويلزم من ذلك اصطدام الارادات وفساد عالم التكوين.

((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ))(٣٠).

س ٥١٨ ــ كيف كانت السموات والأرض رتقاً وكيف فتقتا؟

ج ــ روي أن السموات كانت رتقاً لا تمطر والأرض كانت رتقاً لا تنبت الزرع، ففتقت الأولى بأن مطرت والثانية بأن أنبتت الأشجار واثمرت الثمار وامتلأت بالأنهار(١).

س ٥١٩ ــ كيف يكون كلّ حيٍّ من الماء مع ان الملائكة والجن ليسوا من الماء بل من النور والنارــ كما قيل ــ؟

ج ــ الظاهر أن المنظور الأحياء الظاهرة في الأرض، والتي هي منظورة للإنسان، لأنّ الآية بصدد دعوة الكافرين للنظر والاعتبار.

((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ))(٣٣).

س ٥٢٠ ــ إن قولــه: ((يَسْبَحُونَ)) يشمل الليل والنهار مع أنهما لا يســبّحان لأنهمــا مــجرد أثر حركة الأرض حول الشمس؟

ج ــ كلاّ، بل حيث كان حدوث الليل والنهار تابعاً لسباحة الجرم، فنسبت إليهما السباحة أيضاً.

ومن المحتمل أيضاً رجوع ضمير الجماعة إلى الشمس والقمر فقط، ويكون ضمير الجمع إشارة إلى تعدّد أفراد الشمس والقمر، كما أثبته العلم الحديث.

س ٥٢١ ــ كيف استعمل ضمير الجمع للعقلاء مع ان هذه الأمور غير عاقلة؟

ج ــ لعلّ الذي سوّغ ذلك كون هذه السباحة مقتضى الحكمة والتدبير، فيكون السابح بمنزلة العاقل، ورعاية مثل هذه المناسبات شائع في اللغة العربية المبتنية على المناسبات المجازية اللطيفة.

((خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ))(٣٧).

س ٥٢٢ ــ ما معنى: ((خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ))؟

ج ــ باعتبار حبّ الإنسان ودأبه على الاستعجال نُسب إليه مجازاً واعتبر كأنه أصله. وليس هو مجبوراً عليها، ولذلك يفترض بالعاقل تحكيم العقل والحكمة وتجنب الاستعجال عندما لا ينبغي له ذلك.

((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ))(٥٧).

س ٥٢٣ ــ كيف هدّدهم ابراهيم بتدمير أصنامهم فأوجب شكّهم فيه عندما رأوها مدمّرة، وكان يفترض أن لا يهدّدهم بذلك؟

ج ــ لم يكن هدف ابراهيم مجّرد تدميرها إذ لا أهمية لذلك، لأنهم سرعان ما يعيدونها، بل قصَد أن يثير الشبهة نحوه، ليكون ذلك منطلقاً مناسباً للحوار معهم، بعد أن يهزّهم حدوث التدمير، وأبقى الصنم الكبير، ليعطيهم فسحة للتفكير والمقارنة.

((قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ))(٦٣).

س ٥٢٤ ــ كيف نسب تدمير الأصنام إلى الصنم الكبير، وهو خلاف الحقيقة، والأنبياء منزّهون عن الكذب؟

ج ــ الكذب هو الإخبار الجاد بهدف تمويه الحقيقة، وابراهيم قال ذلك على سبيل السخرية والتهكم، فلا يكون كذباً، ولذلك لم يقبلوا ذلك منه، لعلمهم بتهكّمه وامتناع صدور ذلك من الصنم الكبير، ولذلك قال: ((فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ)) (٢).

((فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا))(٧٩).

س ٥٢٥ ــ كيف يخطأ داوود الحكم الشرعي مع أنه كان نبيّاً ورسولاً، وقد قال تعالى: ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...)) (٣)؟

ج ــ لعلّ اختلافهما كان في كيفية تطبيق الحكم، لا في أصله، إذ تضمنت النصوص أنّ داوود حكم باعطاء الغنم لصاحب الكرْم، وأن سليمان حكم له باللبن والصوف ذلك العام، وهما تطبيقان مختلفان للحكم الشرعي بضمان قيمة ما أتلفته الأغنام، إلاّ أنّ سليمان اختار الصيغة الأرفق.

وقد تضمنّت بعض النصوص المعتبرة أنّهما تحاورا قبل إصدار الحكم، ولم يختلفا في الحكم نفسه، فقد روى جميل بن درّاج عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عزّ وجلّ: ((وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ)) قال: لم يحكما،إنما كانا يتناظران، ((فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)) (٤). ويبدو أنّ الهدف كان تكريم سليمان وبيان فضله، تمهيداً لنبوّته بعد أبيه.

((وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ...))(٨٧).

س ٥٢٦ ــ كيف يظنّ نبيّ من الأنبياء بعدم قدرة الله عليه مع أنّ مقتضى الإيمان الإذعان بعموم قدرة الله تعالى؟

ج ــ إن ((نَّقْدِرَ))هنا ليس فعلاً من القدرة ، بل يراد منها معنى التقدير أو التضييق: ((قال الفراء: المعنى: ((فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ))من العقوبة ما قدَرنا. وقال أبو الهيثم ــ بعد أن ذكر معنى التقدير ــ: ويحتمل أن يكون تفسيره: فظنّ أن لن نضيّق عليه، من قولــه تعالى: ((وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ)) (٥) أي ضُيِّق عليه، قال: وكذلك قولــه: ((وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ))(٦) معنى فَقَدرَ عليه: فضيّق عليه. وقد ضيّق الله على يونس (عليه السلام) أشدّ التضييق ضيّقه على معذَّب في الدنيا، لأنه سجنه في بطن حوت، فصار مكظوماً أُخِذ في بطنه يكظمه)) (٧).

((وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ))(٩٥).

س ٥٢٧ ــ ما معنى أن يكون عدم رجوعهم حراماً؟

ج ــ فسّر الكسائي ــ تبعاً لابن عباس ــ الحرام بالواجب، كما في قول عبد الرحمن بن جمانة المحاربي:

فانّ حراماً لا أرى الدهرَ باكياً على شجوه إلاّ بكيتُ على عمرو (٨)

ويمكن أن تكون (لا) هي التي تسمى في العربية بالزائدة، وأن المعنى: حرام على القرية التي نزل عليها العذاب رجوعُهم.

وهناك وجه ثالث في تفسير الآية، وذلك أن قولــه في الآية السابقة: ((فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ)) يتضمّن الفسحة لكل إنسان لعمل الصالحات وتثبيتها وكتابتها في سجلّ أعماله، فاستدرك على ذلك بأنّ القرية التي ينزل عليها العذاب لا تبقى لأهلها فسحة لذلك، لأنّهم لا يرجعون للدنيا حتى يعتبروا بما حدث لهم، فيؤمنوا ويعملوا الصالحات.

ومن الواضح أنّ الحرمة على الوجهين الثاني والثالث هي الحرمة التكوينية أي الامتناع لا الحرمة التشريعية.

((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ))(١٠٥).

س ٥٢٨ ــ ما هي الأرض التي يرثها العباد الصالحون؟

ج ــ أشارت بعض النصوص التفسيرية للآية إلى أن الإمام المهدي (عليه السلام) وأصحابه حيث ينتصرون على قوى الشر والكفر، فتمتلئ هذه الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

وذكر بعض المفسّرين أن المقصود من الأرض أرض الجنّة حيث يرثها الصالحون بعد يوم القيامة، حيث تفنى الدنيا وما فيها قبل ذلك، كما جاء في قولــه تعالى ــ حكاية عن أهل الجنة ــ: ((وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء)) (٩).

((فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ))(١٠٩).

س ٥٢٩ ــ ما معنى: ((آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء))؟

ج ــ الظاهر أنّ المقصود أنّ رسالته وإنذاره للجميع ولا يقتصر على فئة دون أخرى، فالكل سواء في ذلك.

---

(١) يراجع تفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي: ٢٤٤.
(٢) سورة الأنبياء: ٦٤ و ٦٥.
(٣) سورة ص: ٢٦.
(٤) الفقيه: ١٠١/٣.
(٥) سورة الطلاق: ٧.
(٦)سورة الفجر: ١٦.
(٧) لسان العرب: ٧٧/٥.
(٨) يراجع لسان العرب: ١٢٧/١٢.
(٩) سورة الزمر: ٧٤.

سورة الحج

((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...))(٢).

س ٥٣٠ ــ لماذا قال: ((مُرْضِعَةٍ)) ولم يقل (مرضع) مع أنه من مختصات النساء، فلا يحتاج لتاء التأنيث، نظير (حامل)؟

ج ــ المرضع ــ كما ذكر علماء اللغة ــ هي المرأة التي لها صبّي في دور الرضاعة ويرتضع منها عادةً، وإن لم تكن مشغولة برضاعته. و(المرضعة) تطلق على المرأة المشغولة برضاعة الصبي، حيث تتأجّج لديها عاطفة الأُمومة أكثر حين رضاعتها. فكأن الآية بصدد بيان أنّ أهوال يوم القيامة تُذهل المرضعة حين رضاعتها عن طفلها رغم شدّة تعلّقها به آنذاك.

((... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ.... وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ))(٥).

س ٥٣١ ــ ما معنى المضغة المخلّقة وغير المخلَّقة؟

ج ــ قال الزمخشري: المخلَّقة المسواة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خلَق السواك والعود، إذا سواه وملسه، من قوله: صخرة خلقاء، وإذا كانت ملساء، كأن الله تعالى يخلق المضَغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم، وتمامهم ونقصانهم(١).

ولعلّ المخلّقة وغير المخلقة وصفان للمضغة من دون أن يعني أن البشر مخلوقون من كليهما، بل هم مخلوقون من المخلَّقة، وهي المصوَّرة التي ينفخ فيها الروح فيما بعد. وفي الحديث عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: ((مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ)) قال: وأما قوله: ((وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ)) فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله عزّ وجلّ في صلب آدم حين خلق الذر وأخذ عليهم الميثاق، وهم النطف من العَزْل، والسِّقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء(٢).

س ٥٣٢ ــ ما هو الهدف من ذكر كبار السنّ ونسيانهم معلوماتهم؟

ج ــ كأنّه تذكير بقدرة الله تعالى حيث إنّ كبير السن رغم امتداد عمره ووفرة معلوماته قد يفقدها بسبب النسيان والخلل الذهني الذي يصاب به.

س ٥٣٣ ــ كيف تهتزّ الأرض وتربو؟

ج ــ بينما الأرض يابسة صلبة فإذا أصابها الماء والمطر تصير طيناً ليناً منتفخاً. والربو هو الارتفاع.

((ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...))(٩).

س ٥٣٤ ــ ما معنى: ((ثَانِيَ عِطْفِهِ))؟

ج ــ العِطف منكب الإنسان، وهو الموضع الذي يميله الإنسان عندما يُعرض عن الشيء. وكأنه إشارة إلى إعراضه عن الحق وانحرافه، وقال البعض إنه إشارة إلى تكبرّه، يقول العرب: ثنى فلان عطفه إذا تكبّر وتجبّر(٣).

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ))(١١- ١٢).

س ٥٣٥ ــ ما معنى عبادة الله على حرف؟

ج ــ الحرف هو الطرف، وهو إشارة إلى الذين لا يعتمدون في إيمانهم على برهان وحجة قوية، فيكون نظير الواقف على الحافة، تجرفه الفتنة، بعكس أصحاب البصائر الذين لا تهزّهم ولا تحرفهم الفتن.

س ٥٣٦ ــ كيف يقول: ((يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ)).مع أن الفتنة إنما تؤثر على صمود الشخص وصبره لا على إيمانه وعقيدته؟

ج ــ كلاّ، لأن بعض الفتن تزيح الناس عن عقائدهم فيلتبس عليهم الحق والباطل. وقد جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، لأنه ليس أحد إلاّ وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن) (٤) نعوذ بالله تعالى من مضلاّت الفتن.

((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرض وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء))(١٨).

س ٥٣٧ ــ كيف يكون سجود من لا يعقل؟

ج ــ من خلال الخضوع التكويني والانقياد الذاتي لله تعالى فيما يريد، بينما سجود العقلاء اختياري وإرادي.

س ٥٣٨ ــ لماذا قال: ((كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ))مع إنهم داخلون في قوله: ((وَمَن فِي الأَرض))؟

ج ــ يبدو أنّ التنصيص عليهم من باب الاهتمام بهم، لأن سجودهم اختياري وعن عقيدة في مقابل الذين حقّ عليهم العذاب.

س ٥٣٩ ــ هل الذين حقّ عليهم العذاب يسجدون لله تعالى أو لا؟

ج ــ الظاهر أنّهم في مقابل: **((كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ))** وأنّ الواو استئنافية وليست عاطفة، وقد أخبر باستحقاقهم العذاب الذي هو متفرع على عدم إيمانهم وخضوعهم الاختياري الإرادي لله تعالى، رغم خضوعهم الذاتي لله وربما سجود بعضهم الإكراهي، إلاّ غير أنه كافٍ منهم، لكونهم عقلاء مكلّفين بالسجود الاختياري عن إرادة وقناعة.

((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ))(٢٦).

س ٥٤٠ ــ كيف يطهّر إبراهيم البيت؟

ج ــ بأن يجنّبه من مظاهر الشرك والرجس.

((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ...))(٣٠).

س ٥٤١ ــ ما هي: ((حُرُمَاتِ اللَّهِ)).

ج ــ قيل: هي حدود الله من أوامره ونواهية. وقيل: هي ما عظّم الله شأنه كالبيت الحرام والشهر الحرام وغيرهما، وقد أخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري عن النبي

(صلى الله عليه وآله وسلّم): ((انّ لله عزّ وجلّ حرمات ثلاث، من حفظهنّ حفظ الله له أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً، حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي)) (٥).

((لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ))(٣٣).

س ٥٤٢ ــ ما هو ذلك الأجل الذي تنتهي إليه منافعها؟

ج ــ هو نحرها أو ذبحها، حيث يجوز الانتفاع منها قبل ذلك، ففي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: ((لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)) قال: ((إن احتاج إلى ظهرها ركبها من غير أن يعنّف عليها. وإن كان لها لبن حلبها حلاباً لا ينهكها))(٦).

((... فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ...))(٣٦).

س ٥٤٣ ــ ما معنى وجوب جنوبها؟

ج ــ قال ابن منظور: وأصل الوجوب: السقوط والوقوع، ووجب الميت إذا سقط ومات... وفي حديث الضحية: ((فلما وجبت جنوبها أي سقطت إلى الأرض، لأن المستحبّ أن تُنحر الإبل قياماً معقّلة...)) (٧).

((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ))(٤٠).

س ٥٤٤ ــ كيف يكون اختلاف الناس وصراعهم حافظاً لأماكن العبادة من الخراب مع أنّ خرابها إنما هو بسبب اختلافهم؟

ج ــ الآية تشير إلى ثبات المؤمنين في كلّ عصر وجهادهم وصمودهم، وأنّه لولاه لم تُحفظ هذه الأماكن من سطوة الطغاة الكافرين، ولذلك قال تعالى: ((وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ)). إذن فهي لا تتحدث عن اختلاف الآراء والقناعات، وإنما عن صمود المؤمنين ودفاعهم في مقابل الكثرة المنحرفة والكافرة.

هذا ((والصوامع جمع صومعة، وهي بناء في أعلاه حدة، كان يُتخذ في الجبال والبراري، ويسكنه الزهاد والمعتزلون من الناس للعبادة، والبِيَع جمع بِيعة ــ بكسر الباء ــ معبد اليهود والنصارى، والصلوات جمع صلاة، وهي مصلى اليهود، سمّي بها

تسمية للمحلّ باسم الحال... وقيل: هي معرَّب ((صلوثا)) ــ بالثاء المثلثة والقصر ــ وهي بالعبرانية المصلّى، والمساجد جمع مسجد، وهو معبد المسلمين)) (٨).

((وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى...))(٤٣ ــ ٤٤).

س ٥٤٥ ــ لماذا لم يقل: ((وقوم موسى)) كما ذكر سائر الأقوام؟

ج ــ لأنّ أهم ما واجه موسى (عليه السلام) تكذيب الأقباط له، لا تكذيب قومه، وهم بنو إسرائيل.

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)) (٥٢ ــ٥٣).

س ٥٤٦ ــ ما معنى الأُمنية وكيف يلقى الشيطان في أُمنية النبي والرسول؟

ج ــ ذكر بعض المفسرين ان المقصود من التمني التقدير، وهو إشارة إلى خطط الأنبياء ومناهجهم في سبيل تبليغ رسالة الله لهداية الأُمم، فانّ الشيطان يضع المعوّقات، ويثير الفتن لإعاقتهم في ذلك، مما يوجب افتتان البعض ((لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ)) وصلابة إيمان أهل البصيرة ورفعة مقامهم.

س ٥٤٧ ــ ما هو الفرق بين الرسول والنبي؟

ج ــ الظاهر أن النبي هو الذي يُنبّأ من الله تعالى ويوحى إليه، وإن لم يتحمل رسالةً إلهية لإبلاغها، أما الرسول فهو المبعوث من جانب الله تعالى لقوم أو أمة، ويحمل رسالته إليهم. وهناك آراء أخرى للباحثين والمفسرين.

((لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ))(٦٧).

س ٥٤٨ ــ إذا كان الله قد جعل لكل أُمة طقوساً وتشريعاً خاصاً بها فكيف يكون الإسلام أُمياً وديناً لكل الشعوب في جميع العصور؟

ج ــ ليس المقصود من الأُمة معنى الشعب بالمصطلح المعاصر، بل كلّ الــذين يجمعهم دين أو منهج واحد، فالمؤمنون أُمة واحدة وإن كانوا من شعوب متنوعة وفــي عصور مختلفة وكذلك أبناء كل عقيدة، قال تعالى: ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّــهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...))(٩) ((وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ...))(١٠). وعلى كلّ حال، فكأنّ الآية الكريمــة تــردّ على الذين كانوا يخاصمون النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن ســبب الاخــتلاف بــين تشريعات الإسلام وطقوسه وتشريعات وطقوس الأديان السماوية السابقة من أنها جميعاً من الله تعالى، فأشارت الآية الكريمة إلى أن مشيئة الله اقتضت ــ رعاية لمصالح الأمم ــ اختلاف مناسك الأمم وأديانهم وتشريعاتهم، وأن الإسلام يمثل الهدى المستقيم بعــدها باعتباره خاتم الأديان.

((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))(٧٢).

س ٥٤٩ ــ كيف يعتبر النار أكثر شرّاً من آيات الله مع أنّ الآيات خير وليست شرّاً؟

ج ــ حيث كانوا يكرهون آيات الله ويُعرضون عنها باعتبار ثقلها على نفوســهم فحذّرهم بأنّ النار أشدّ وقعاً عليهم من تلك الآيات. فشرّها في حقهم باعتبار ما تسببه لهم من الضيق، والفضيحة أحياناً.

---

(١) الكشاف:٣/١٤٤.
(٢) الكافي: ٦/ ١٢.
(٣) مجمع البيان: ٧/ ١١٦.
(٤) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام).
(٥) المعجم الكبير: ٣/ ١٢٦.
(٦) لسان العرب: ١/ ٧٩٤.
(٧) وسائل الشيعة: ١٠/٣٣.
(٨) الميزان: ١٤/٣٨٥.
(٩) سورة البقرة: ٢١٣.
(١٠) سورة الزخرف: ٣٣.

سورة المؤمنون

((وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ))(١٧).

س ٥٥٠ ــ ما هي الطرائق السبع؟

ج ــ إنها السموات السبع، وسمّيت بالطرائق باعتبارها ممرّات وطرقاً يخترقها أمر الله تعالى وملائكته.

((وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ))(٢٠).

س ٥٥١ ــ ما هذه الشجرة، ولماذا خصّها بالذكر؟

ج ــ إنها شجرة الزيتون التي تتميّز بالزيت الذي يستخدم كإدام في الطعام، فانّ الصَّبغ هو الإدام. وطور سَيناء إما المنطقة المحدّدة التي ينتشر فيها شجر الزيتون، أو الجبل كثير الشجر.

((إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))(٣٧).

س ٥٥٢ ــ إذا اعترفوا بالموت والحياة فكيف ينكرون البعث؟

ج ــ مقصود هؤلاء موت أجيال وحياة أجيال أُخرى في هذه الحياة الدنيا، من دون حياة وبعث بعدها.

((فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ))(٤٧).

س ٥٥٣ ــ كيف يقول: ((وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)) مع أَنّ بني اسرائيل كانوا يعبــدون الله تعالى؟

ج ــ إما المقصود من العبادة الخضوع والطاعة، أو باعتبار أَنهم كانوا يُظهرون عبادة فرعون تقية وخوفاً.

((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ))(٩١).

س ٥٥٤ ــ ما المانع من اتفاق الآلهة المزعومة فيما بينها على حدود معينّة لصلاحيات كلّ منها بحيث لا يلزم محذور الصراع والفساد الذي أشارت إليه الآية؟

ج ــ إن الاحتياج للغير في نظم الخلق ينافي الإلوهية التي لازمها الحكمة والقدرة والغَناء المطلق.

((إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ))(١٠٩ ــ ١١٠).

س٥٥٥ ــ كيف يقول: ((أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي)) مع أنّ المؤمنين يذكّرون غيرهم بالله؟

ج ــ حيث إن سخرية الكافرين من المؤمنين أشغلتهم عن التمعن والتدبر في آيات الله حتى نسوه تعالى، فنسب الإنساء للمؤمنين باعتبارهم السبب في ذلك.

سورة النور

((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ))(٢٤ ــ ٢٥).

س ٥٥٦ ــ ما معنى أن يوفيهم الله دينهم يوم القيامة مع أنهم كانوا مسلمين في الدنيا؟

ج ــ من معاني الدين الجزاء، قال ابن منظور: ((والدِّين: الجــزاء والمكافــأة)) (١). وهو أحد الوجوه في تفسير قولــه تعالى: ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))(٢)، فيكون المعنــى ــ على هذا ــ أن الله يوفيّهم جزاءهم العادل يوم القيامة.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))(٢٧ ــ ٢٨).

س ٥٥٧ ــ ما معنى الاستيناس الممهِّد لدخول بيوت الآخرين؟

ج ــ من معاني الاستيناس: النظر والاستعلام، قال الفراء..((والاستئناس في كلام العرب النظر. يقال: اذهب فاستأنِس هل ترى أحداً؟ فيكون معناه انظُر مَن ترى في الدار)) وفي حديث ابن مسعود: كان إذا دخل داره استأنسَ وتكلّم أي استعلَم وتبصّر قبل الدخول (٣). وعلى هذا فالآية الكريمة تشير أنّ من آداب دخول بيوت الآخرين عدم المبادرة والتسرّع بل يتأكد الداخل من وجود أهل الدار وإذنهم له ويسلّم عليهم، ولذلك قال بعد ذلك: ((فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ...)).

((لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ))(٢٩).

س ٥٥٨ ــ هل مجرّد وجود المتاع يسوّغ دخول البيت من دون إذن صاحب البيت؟

ج ــ لابدّ من إحراز إذن صاحب البيت ــ في غير حالات غصب المتاع ونحوه ــ ولو بقرينة خارجية، وليست الآية بصدد إسقاط اعتبار إذنه، وإنما بيان أن عدم وجود أهل البيت لا يمنع من دخول صاحب المتاع لجلب متاعه الذي يوضع عادة في بيــوت الأقارب أو الأصدقاء.

((...ولَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا...))(٣٣).

س ٥٥٩ ــ لماذا قيّد النهي عن الإكراه على البغاء بإرادة التحصّن؟

ج ــ لأن من لا تريد التحصّن وتندفع للبغاء لا يتصور في حقها الإكراه عليــه، فلا معنى للنهي عنه.

((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))(٣٥).

س ٥٦٠ ــ لماذا خصّ شجرة الزيتون بالذكر واعتبرها مباركة؟

ج ــ كأنّها باعتبار صفاء زيتها، واعتبرها مباركة باعتبار تعدّد فوائدها، حيــث يسرج بزيتها ويستعمل إداماً في الطعام ويدهن به، ويوقد بحطبها وثفلها، وغير ذلك من الفوائد.

س ٥٦١ ــ لماذا قال: ((لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ))؟

ج ــ كأنه للتعبير عن جودة ثمرها وزيتها حيث تسطع عليها الشمس، ولا تغرب عنها بحال.

((... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))(٦٣).

س ٥٦٢ ــ لماذا قال: ((يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ)) مع أنّ فعل المخالفة يتعدى من دون حرف الجر؟

ج ــ كأنّه باعتبار أنّه متضمّن معنى الإعراض الذي يناسب التعدية بــ ((عن)).

---

(١) لسان العرب: ١٣/١٦٩.

(٢) سورة الفاتحة: ٤.

(٣) لسان العرب: ٦/١٥ ــ ١٦.

سورة الفرقان

((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا))(١٧ ــ ١٨).

س ٥٦٣ ــ إذا كان المعبودون الأصنام فكيف يقولون: ((مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِــن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء))مع أنها لا تعقل؟

ج ــ يبدو أن الخطاب للعقلاء من المعبودين ونحوهم ممن يتأثر بهم الناس، ولذلك خاطبهم بقولــه: ((أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء))، ومن الواضح أن الذين يتصوّر في حقهم الإضلال هم العقلاء دون مثل الأصنام.

((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا))(٣٢).

س ٥٦٤ ــ كيف يكون الترتيل مثبتاً لفؤاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)؟

ج ــ ليس المقصود منه الترتيل في القراءة، وإنما التدرّج في تنزيل القرآن ووحيه للنبي(صلى الله عليه وآله وسلّم)، ويسمى ((الترتيل في المعنى)). ومن الواضح أنّ التدرّج في تنزيل القرآن يعني مواصلة الارتباط والوحي السماوي، وهو يقوي عزيمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أكثر ممّا لو نَزل دفعةً.

((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً)) (٤٣).

س ٥٦٥ ــ إذا كان المقصود أنه اتبع هواه وجعله إلاهاً، فالمفروض أن يقال: (مَن اتخذ هواه الهة).

ج ــ كلاّ، بل المقصود أنه صيّر الإله هوىً، فأن الفعل ((اتخذ)) متعدٍّ إلى مفعولين من أفعال التحويل، وهو الصيرورة(١) فإله هذا الكافر هواه.

((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا))(٦٢).

س ٥٦٦ ــ ما معنى الخلقة وما ارتباطه بالتذكر والشكر؟

ج ــ الخِلفة إما بمعنى التعاقب حيث يخلف أحدهما الآخر، أو بمعنى الاختلاف، حيث انّ النهار مضيء والليل مظلم، وعلى كلّ حال، فانّ اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما دليل عموم قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته لعباده حيث يسعون ويكتسبون في النهار ويسكنون ليلاً.

((إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا))(٧٠).

س ٥٦٧ ــ إذا كانت السيئات تتبدّل حسنات، فمن كثرت سيئاته هل يكون أفضل حالاً من غيره؟

ج ــ كلا ليس المقصود ان كلّ سيئة تتحول إلى حسنة، وإنما بالتوبة والإيمان والعمل الصالح تحذف السيئات من سجل أعمالهم وتحل محلها حسنات بسبب التوبة والإيمان والعمل الصالح.

((أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا))(٧٥).

س ٥٦٨ ــ ما هي ((الْغُرْفَةَ))؟

ج ــ الغرفة اسم جنس بمعنى العالي، والمقصود أن هؤلاء الصالحين يُعطَون الأماكن العالية في الجنان.

س ٥٦٩ ــ ما الفرق بين التحية والسلام؟

ج ــ لعلّ المقصود من التحية الترحيب، ومن السلام الطمأنينة والأمان.

---

(١) قال ابن عقيل: واما أفعال التحويل.... وعدّها بعضهم سبعة: ((صيّر))... و((جَعَل))... و((اتخذ))...: (شرح ألفية ابن مالك: ٢/ ٤٢٨).

سورة الشعراء

((وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ))(١٤).

س ٥٧٠ ــ ما هو الذنب الذي كان للأقباط على موسى؟

ج ــ هو قتله للقبطي الذي كان يقاتل أحد بني اسرائيل، الذي أشار إليه قوله تعالى: ((... فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...)) (١).

((وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ))(١٩ ــ ٢٠).

س ٥٧١ ــ هل كان موسى ضالاً عند قتل القبطي قبل نبوّته؟

ج ــ كأنّ المقصود من الضلال هنا ما يقابل بصيرة النبوّة والارتباط بالوحي، حيث لم يكن نبيّاً آنذاك، لا الضلال بمعنى الانحراف عن الحق.

((وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ))(٢٢٤).

س ٥٧٢ ــ لماذا خصّ الشعراء بذلك؟

ج ــ لأن الشعراء ــ غير المتقين طبعاً ــ يستخدمون موهبتهم في التقرب إلى أصحاب النفوذ والمال، ولا يردعهم ذلك عن الباطل، وبسبب قوة تأثير الشعر على مخيّلة الناس يتأثر به من عدا ذوي البصيرة والتعقل منهم. والآيات الكريمة تردّ على اتهام بعض المشركين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بأنّه شاعر، وأن له شيطاناً يعلّمه الشعر، كما كان يزعمه العرب آنذاك بالنسبة للشعراء.

---

(١) سورة القصص: ١٥.

سورة القصص

((... فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ))(١٥).

س ٢٧٣ ــ ألا يعني ذلك صدور المعصية من موسى بسبب تسرّعه في القتل؟

ج ــ كلاّ، فان المقتول كان قبطياً لا يهودياً. ومجرّد نسبته للشيطان لا يعني كونه معصية، إذ كما يغري الشيطانُ الإنسان بالمعصية يغريه بأفعال أخرى تضرّ به من دون أن تكون معاصي، على الذي يبدو عند التمعن في الآية الكريمة أنّ نجدة اليهودي لم يأسف عليها موسى، لكن كيفية الوكزة وشدّتها بحيث أودت بحياة القبطي كانت من عمل الشيطان وإغرائه فندم عليها موسى.

((فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا...))(١٩).

س ٢٧٤ ــ إذا كان قتل القبطي الأول من عمل الشيطان ــ كما قال موسى (عليه السلام) ــ فكيف يقدم على قتل القبطي الثاني؟

ج ــ أشرنا قبل قليل أنّ الذي أحزن موسى هو قتل القبطي الأول لا مجرّد نجدة اليهودي، وفي الحادثة الثانية يبدو أن هدف موسى كان المبادرة بتخليص اليهودي ــ كما يوحي به التعبير بالاستصراخ ــ من خلال تأديب القبطي من دون قتله، لأنّ البطش ليس بمعنى القتل، بل هو الأخذ القوي الشديد(١). ومن الطبيعي أنه يكون حذراً من قتله هذه المرة.

((...قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ))(٤٨).

س ٢٧٥ ــ ما هما السحران؟

ج ــ إما أن يكون مقصودهم منهما التوراة والأنجيل، اوموسى (عليه السلام) ومحمّداً (صلى الله عليه وآله وسلّم)، كما يقال جاء العدلان أي العادلان، من باب إقامة المصدر مقام اسم الفاعل.

((وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ))(٧٥).

س ٥٧٦ ــ لماذا ينزع الشهداء من الأمم؟

ج ــ يبدو أن الآية تعكس وقائع محاكمة الأمم، حيث يخرج الشهداء من بين الأمم ويؤدي كلّ شهيد شهادته على اُمته، وكيف أقام الحجة عليهم وأبلغهم رسالات الله في الدنيا، وحينئذٍ تُطالبَ كلّ اُمة بتقديم عذرها في عدم اتبّاع الحجة، وحيث أنه لا حجة لهم وانّ الحجة البالغة لله تعالى، فتتضح لهم الحقيقة ناصعة.

---

(١) يراجع لسان العرب: ٦/٢٦٧.

سورة العنكبوت

((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ))(١٢).

س ٥٧٧ ــ كيف لا يحملون شيئاً من خطاياهم إذا أضلوهم، وقد قال بعد ذلك: ((وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ...)) (١)؟

ج ــ الكافرون وعدوهم بأن يتحملوا خطيئاتهم بحيث لا يبقى ثقلها ومسؤوليتها على فاعلها، فردّ الله عليهم بأن صاحب الخطيئة لا يتخلص من مسؤوليتها رغم أنّ مَن يُضلّه يزداد ثقله بسبب إضلاله.

---

(١) سورة العنكبوت: ١٣.

سورة الروم

((...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))(٤ ــ ٥).

س ٥٧٨ ــ ما هو نصر الله الذي يفرح به المؤمنون؟

ج ــ الظاهر أنه نصر المسلمين على المشركين في بدر، الذي اقترن بنصر الروم على فارس، فيكون هذا إخباراً غيبياً آخر تضمنته هذه الآيات، ويلاحظ أنها عبّرت عن نصر المسلمين ــ الذين يمثّلون الحق ــ بنصر الله، بينما عبّرت عن النصر في معركة الروم والفرس بغلبة الروم، لأنّ كلاً منهما على باطل، وإن كان الروم ــ باعتبارهم نصارى ــ أقرب للمسلمين.

((...ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ))(٢٥).

س ٥٧٩ ــ كيف تكون الدعوة من الأرض؟

ج ــ ليست نفس الدعوة من الأرض، بل المدعوون ــ وهم البشر ــ مدفونون في الأرض، فيدعوهم ويخرجهم منها.

((وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...))(٢٧).

س ٥٨٠ ــ كيف يقول: ان إعادة الخلق أهون عليه، مع أنّا نعلم أن ابتداء الخلق وإعادته سواء بالنسبة إليه تعالى؟

ج ــ الظاهر أن المنظور في ذلك المقاييس والاعتبارات المألوفة عند الناس، باعتبار أنه في مقام المحاججة.

س ٥٨١ ــ ما معنى أن يكون له المثل الأعلى؟

ج ــ أي كلّ ما يكون من صفات الكمال فله تعالى المثل الأعلى.

((ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))(٢٨).

س ٥٨٢ ــ ما معنى هذا المثل؟

ج ــ هذا المثل لبيان أن الله تعالى لا يجعل شريكاً له من مخلوقاته، كما انكم أيها البشر لا تسمحون أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم في أموالكم، ولا ندّاً لكم، فتخافوهم كما يخاف أحدكم الآخر، فكيف يجعل الله شريكاً له من مخلوقاته؟

((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))(٣٠).

س ٥٨٣ ــ كيف يكون الدين الحق فطرياً مع أن تعاليمه تعبديّة لا يدركها الإنسان بفطرته؟

ج ــ الظاهر أنّ الملحوظ عقيدة التوحيد وإثبات الكمال لله تعالى والدعوة إلى الفضيلة والرشاد التي يشتمل عليها الدين الحق، دون خصوصيات الأوامر والنواهي التعبدية الأخرى.

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ))(٤٧).

س ٥٨٤ ــ إذا كان حقاً على الله نصر المؤمنين فلماذا يُضطهد المؤمنون ولا ينصرهم ربّهم في كثير من العصور والبلدان؟

ج ــ نصر الله للمؤمنين مرهون بالظروف والمصالح العامة، حيث ابتنت الحياة الدنيا على نظام السببية المادية إلاّ مع وجود مصالح معيّنة تقتضي تدخّل العوامل الغيبية، فينصر الله عباده المؤمنين عند توفّرها. وليس مقتضى هذا الحق على الله أن ينصر عباده المؤمنين دائماً من دون رعاية المصالح العامة، كما تقول حقّاً على الحكومة دعم المواطن، من دون أن يعني ذلك تجاوز القوانين التي يتضرّر منها بعض المواطنين لسبب وآخر.

سورة لقمان

((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ...))(١٠).

س ٥٨٥ ــ ما هي هذه الرواسي؟

ج ــ الظاهر أنّها الجبال، كما أكّد ذلك العلم الحديث، وجاء في بعض التفاسير القديمة.

((مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))(٢٨).

س ٥٨٦ ــ كيف نوفق بين هذه الآية وقوله تعالى في سورة الروم: ((وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ))؟

ج ــ لا شك أنّ ابتداء الخلق وإعادته سواء لدى الله تعالى، لأنّ قدرته على كلّ الممكنات على نحوٍ سواء، لكن سياق آية سورة الروم حيث كان في مقام محاججة الكافرين الذين ينكرون البعث وإعادة الإحياء، فجاءت وفق ما يعهدونه في أفعالهم وقُدراتهم، حيث تكون الاعادة أهون من ابتداء الصنع.

((إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))(٣٤).

س ٥٨٧ ــ ما الفرق بين علم الله بما في الأرحام وعلم الأطباء بذلك في العصر الحديث؟

ج ــ الفرق بينهما أنّ علم الله تعالى ذاتي باعتبار كماله الذاتي، بينما علم الأطباء مكتسب من خلال ما وفّره الله تعالى لهم من موهبة الإدراك ووسائله، فهو راجع إلى علمه، كما إذا أخبر الله تعالى نبيّه بما في أرحام بعض النساء، فانّ علمه متفرع عن علم الله وليس مستقلاً.

س ٥٨٨ ــ كيف يقول: ((وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ))مع أن بعض الناس كبعض المرضى ومن يقدم على الانتحار يعلم بمكان موته؟

ج ــ كلاّ، إنه ليس علماً حقيقياً، وإنما هو مجرّد توقّع قد يصيب وقد يخطئ، فكم من مسجّىً ينتظر موته بين لحظة وأخرى يقوم سالماً ويموت في أرض أخرى؟!

سورة السجدة

((ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ))(٨).

س ٥٨٩ ــ كيف اعتبره هنا من ماء مهين، بينما قال في سورة المؤمنون: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ))(١)؟

ج ــ الآية في سورة ((المؤمنون)) تشمل آدم الذي خُلق من الطين، بينما هذه الآية تتحدث عن نسل آدم وذرّيته، وهم من ماء مهين أي النطفة لا من الطين مباشرةً. وسلالة الشيء: ما استُلّ منه(٢).

((وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))(١٣).

س ٥٩٠ ــ ألا ينافي هذا القول منه رحمته تعالى؟

ج ــ كلاّ، لأنه لم يسلب اختيارهم، وإنمّا وقع بعد علمه بكفر وعصيان هؤلاء بإرادتهم واختيارهم فكانوا مستحقين لجهنّم.

((وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))(٢١).

س ٥٩١ ــ ما هو العذاب الأدنى؟

ج ــ إنه ما قبل العذاب الأكبر في يوم القيامة، وقد اختلفت النصوص في تحديده أو مصاديقه.

((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ))(٢٣).

س ٥٩٢ ــ أي لقاء تشير إليه الآية؟

ج ــ كأنه إشارة إلى الميقات الذي كلّم الله تعالى موسى خلاله، وأوحى إليه التوراة، باعتبار أن التوراة نزلت عليه آنذاك.

(١) سورة المؤمنون: ١٢.

(٢) لسان العرب: ٣٣٩/١١.

سورة الأحزاب

((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا))(١).

س ٥٩٣ ــ هل كان يحتمل في حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن يطيع الكافرين والمنافقين ولا يتقي الله حتى يخاطب بذلك؟

ج ــ كلاّ، وإنما هو أسلوب بليغ لتأكيد موقف السماء من طاعة الكافرين والمنافقين ومداراتهم على حساب العقيدة وتعاليم الرسالة، لأنه مع ورود هذا الخطاب الحاسم للرسول لا يبقى مجال لتوهم الكافرين بإمكانية مداراته لهم وزيغه عن طاعة الله.

((مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...))(٤).

س ٥٩٤ ــ ما هي الفائدة من بيان ذلك مع وضوحه لجميع الناس؟

ج ــ كأنّه إشارة إلى انّ لكل إنسان موقفاً وعقيدة واحدة محدّدة، لأنّ له عقلاً واحداً، ولا يمكن الجمع بين الاتجاهات والأفكار المتضادة كالإيمان والكفر.

وقيل: إن الآية نزلت في أبي معمّر ــ وهو من أحفظ العرب وأرواهم ــ وكان يقول: إنّ لي قلبين، أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمّد. فرُوي أنه انهزم يوم بدر، فمرّ بأبي سفيان، وهو معلِّق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: ما فعل الناس؟ فقال: هم ما بين مقتول وهارب. فقال له: ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ فقال: ما ظننتُ إلاّ أنهما في رجلي. فأكذب الله قوله وقولهم(١).

((...وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا...))(٦).

س٥٩٥ ــ ما معنى هذا الاستثناء؟

ج ــ ذكر المفسّرون أن الآية بصدد بيان حكم إرث الأموال، وأنها نسخت حكم التوارث بالهجرة والمواخاة، وأثبتت أن الميراث بالقرابة، ومن كان أقرب إلى الميت فهو أحق بميراثه ــ وفق نظام الإرث المعروف ــ ثمّ استثنت ما يوصيه الميت إلى غير قرابته، إذ من حقه الوصية لمن يشاء بثلثه على ما بيّنته النصوص.

((وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا))(٧ ــ ٨).

س ٥٩٦ ــ ما هو الارتباط بين أخذ الميثاق من النبيين وبين محاسبة غيرهم؟

ج ــ بعد أخذِ الميثاق من النبيين بتبليغ رسالاتهم لأممهم وقيام الحجة بذلك تُحاسَب الأمم، فيثاب المطيع ويعاقب العاصي، ومن دون إقامة الحجة لا يحاسبهم، كما قال تعالى: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)) (١).

((إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ...))(١٠).

س ٥٩٧ ــ كيف جاؤوا من فوقهم ومن أسفل؟

ج ــ قال الزمخشري: ((((مِّن فَوْقِكُمْ))من أعلى الوادي من قِبَل المشرق، بنو غطفان. ((وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ)) من أسفل الوادي من قِبَل المغرب، قريش..)) (٢).

((وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا))(٢٩).

س ٥٩٨ ــ لماذا خصّ الوعد بالأجر ببعضهن فقط؟

ج ــ لأنّ البعض الآخر منهن لا يستحقّ ذلك رغم إسلامهن، وهذا بخلاف آية التطهير التي تحدثت عن أهل البيت (عليهم السلام): ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))(٣) فانها لم تقتصر على بعضهم، وذلك يؤيّد الرأي القائل أن المقصود من أهل البيت أصحاب الكساء دون أزواجه (صلى الله عليه وآله وسلّم).

((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا))(٤٥).

س٥٩٩ ــ ما معنى كــون النبــي شاهداً؟

ج ــ يشهد على الأمة بأنه قد أبلغهم الرسالة وأقام الحجة عليهم، لأن الله تعالى لا يعذّب الأمم إلاّ بعد إرسال الرسل وإقامة الحجة عليهم، كما قال تعالى: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً))(١).

((... فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا...))(٤٩).

س ٦٠٠ ــ كيف قال: ((تَعْتَدُّونَهَا)) والمرأة هي التي تعتدّ؟

ج ــ المقصود حساب العدّة، وهو يصح نسبته للرجل والمرأة، فالمطلَّقة تحسب وتحصي عدّتها والزوج يحسب عدّة مطلَّقته ان كان لها عِدّة، وكذلك الأجنبي الذي يريد الزواج منها.

((لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً)) (٥٢).

س ٦٠١ ــ هل تقتضي الآية تحريم الزواج على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)؟ من حين نزولها؟

ج ــ النصوص في تفسير هذه الآية والجمع بينها وبين ما قبلها متفاوتة، والذي يبدو من ملاحظة نفس الآيات أنه بعد ذكر النساء المحلّلات له (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وعدم تقييده (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وعدم تقييده (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالمساواة بين أزواجه في ((القَسَم)) أي حق المبيت. جاءت هذه الآية لتحدّد زيجاته والنساء المحلّلات له، ولذلك جاء في التعبير عنهن بالضمير ((بهنّ)) وليرجع إلى من ورد ذكرهن قبل آيتين. ولعلّ هذا التحديد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لتخليصه من بعض الحرج الاجتماعي وغيره الذي كان يواجهه (صلى الله عليه وآله وسلّم) أحياناً لعقد زيجات جديدة، كما أشير إليه في بعض المصادر التأريخية. والله العالِم.

((لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ...))(٥٥).

س ٦٠٢ ــ ما هو الأمر الذي لا جناح عليهن مع هؤلاء؟

ج ــ بعد أن فرضت الآية السابقة أن يكون الحديث مع أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) من وراء الحجاب، استثنت هذه الآية حديثهن مع المحارم، فلا يجب أن يكون من وراء حجاب.

((إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))(٧٢).

س ٦٠٣ ــ كيف تعرض الأمانة على هذه الأشياء وكيف تأباها وتشفق منها؟

ج ــ الأمانة هي المسؤولية، وتحميلُ المسؤولية وحملُها لا يقبلان الرّد والرفض، فلا يراد أنه تعالى قد عرض الأمانة عليها، ورفضت هي تحمّلها، بل كأنّ المقصود بيان ثقل المسؤولية الملقاة على كاهل الإنسان، وأنها تنوء بحملها الجبال والسموات والأرض ــ رغم عظمتها ــ ((والعرب تقول: سألتُ الربع وخاطبتُ الدار فامتنعت عن الجواب)) بينما الإنسان رغم صغر حجم جسمه إلاّ أنه أعظم من هذه الأشياء، باعتبار إدراكه وعقله الذي يُميِّز بين الحق والباطل والخير والشر، وبالرغم من قدرته على تحمّل المسؤولية إلاّ أنه باختياره لم يحسن حملها جهلاً وظلماً لنفسه.

ومن خلال ما ذكرناه يتضح أن كونه جهولاً باعتبار عدم التزامه بمقتضى المسؤولية لا بسبب تحمّله الأمانة. والله العالم.

---

(١) الكشاف: ٣/٥٢٠.

(١) سورة الاسراء: ١٥.

(٢) الكشاف: ٣/٥٢٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(١) سورة الاسراء: ١٥.

سورة سبأ

((وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً...))(١٨).

س ٦٠٤ ــ ما الفائدة لهم من جعل هذه القرى؟

ج ــ قيل: إن تجارتهم ــ وهم باليمن ــ مع الشام، فجعَل الله تعالى في طــريقهم قرىً ليسهل عليهم السفر ويأمنوا فيه، لقرب المحطات والمنازل في الطريق.

((...حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ))(٢٣).

س ٦٠٥ ــ ما معنى: ((فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ))؟

ج ــ كشَف عنهم الفزع بحيث هدأت نفوسهم وأمكنهم جــواب الملائكــة الــذين يسائلونهم.

((...وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))(٢٤).

س ٦٠٦ ــ ما معنى التشكيك في تعيين المهتدي والضال؟

ج ــ إنه ليس تشكيكاً، وإنما هو من باب أدب المحاورة، وطــرح الاحتمــالات المختلفة قبل الحوار، لتقريب الخصم من الموضوعية والوصول للحقيقة.

((وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ))(٥١ ــ ٥٣).

س ٦٠٧ــ ما هو المكان القريب؟

ج ــ كأنّه إشارة إلى قبورهم التي يؤخذون منها للحساب، وأنها قريبــة مــن الله تعالى وتحت سلطانه، ولذلك لا يفوت منهم أحد.

س ٦٠٨ ــ ما معنى: ((التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ))؟

ج ــ التناوش: بمعنى التناول. وكأنّ الآية تشير إلى أن الإيمان النافع أصبح بعيداً عنهم بعد الموت، فهم لا يتناولونه ولا يبلغونه، إذ انّ إيمانهم بعد الموت لا ينفعهم، بينما كفروا بالله تعالى في الحياة الدنيا وخسروا حظهم وفرصتهم حيث كان الإيمان النافع في متناول أيديهم، إذ بدلاً من الإيمان آنذاك اختاروا التشكيك وطرح الشبهات والتخرّصات البعيدة عن الواقع.

سورة فاطر

((... جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...))(١).

س ٦٠٩ ــ لماذا لم يقل: ((اولي اجنحة اثنين وثلاثة وأربعة)) ما دام المقصود جناحين وثلاثة وأربعة؟

ج ــ قال بعض المفسرين ان مثنى بمعنى ((اثنين اثنين،وثُلاث بمعنى ثلاثة ثلاثة، ورباع بمعنى أربعة أربعة، أي في كل جانب جناحان أو ثلاثة أو أربعة، حسب أصنافهم. وهناك وجه آخر وهو ان الآية بصدد بيان أصناف الملائكة، كما تقول: دخل القوم المدينة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، فانّه تصنيف لمجاميع الداخلين للمدينة، بعكس ما إذا قال: اثنين وثلاثة وأربعة، فانه يوهم الجمع بين الأعداد بدل التصنيف.

((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ))(٦).

س ٦١٠ ــ كيف يقول: ((لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) مع أن الشيطان يغري حزبه وأتباعه بأنهم المفلحون والرابحون لا من أصحاب السعير، وإلاّ لم يتبعه أحد؟

ج ــ هذه اللام تسمّى لام العاقبة، وهي التي تدخل على نتيجة ومآل العمل من دون أن يكون مقصوداً، فدعوة الشيطان لهم انتجت كونهم من أصحاب السعير، من دون أن يقصدوا ذلك، نظير قوله تعالى: ((... فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...))(١)حيث كانت نتيجة التقاط آل فرعون لموسى (عليه السلام) أن كان لهم عدوّاً وحزناً، من دون أن يريدوه كذلك، إذ التقطوه ليكون لهم ولداً وقرّة عين.

((... وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ))(٢٢).

س ٦١١ ــ كيف لا يسمعه من في القبور مع أن المؤرخين ذكروا أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) خاطَب قتلى المشركين في بدر بعد أن وُضعوا في القليب، وعندما ((قال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيّفوا؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبون)) (٢)؟

ج ــ هذه الواقعة قضية خاصة شاء الله تعالى أن يسمع أولئك المشركون خطاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، بينما الآية تتحدث عن الحالة العامة في كلام رسول الله وخطابه للناس، فانه موجَّه للأحياء ولا يسمعه الأموات.

((... وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ))(٢٧).

س ٦١٢ ــ ما هي الجُدَد والغرابيب؟

ج ــ الجُدَد جمع جُدَّة بمعنى الطُرق، والغرابيب جمع غربيب بمعنى شديد السواد الذي يشبه لون الغراب. ((قال الفراء: هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق، بيض وسود وحُمر)) (٣).

((... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا))(٤٣).

س ٦١٣ ــ ما الفرق بين تبديل سُنّة الله وتحويلها؟

ج ــ التبديل هو التعويض، والتحويل تغيير محلّها. وكأنّ المراد أنه ليس هناك من يعوّض ويستبدل سنّة الله، ولا مَن يحوّلها، وأن هؤلاء لا يمكنهم الإفلات منها.

---

(١) سورة القصص: ٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ١٥٦/٢.

(٣) مجمع البيان: ٦٣٥/٨.

سورة يـــس

((تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ))(٥ و ٦).

س ٦١٤ ــ رجّح بعض المفسرين أن تكون ((ما)) نافية، والمعنى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ينذر قوماً لم يُنذر آباؤهم من قبل. وعلى هذا فيطرح هذا السؤال: كيف تنسجم فرضية ترك أبائهم من دون نذير مع قوله تعالى: ((وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)) (فاطر:٢٤) وكيف يحاسَب أولئك الآباء على كفرهم ما دام لم يُبعث لهم رسول وقد قال الله تعالى: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)) (الاسراء:١٥)؟

ج ــ أولاً: ان أولئك الآباء يمثلون أحد أو بعض أجيال الأمة، فعدم ارسال رسول لهم لا يعني عدم وجود رسول للأمة، ففي الجزيرة العربية كان هناك عدة رسل، وقد انتشرت بينهم الحنيفية التي جاء بها إبراهيم الخليل (عليه السلام) قبل تحريفها فيما بعد، والآية التي تحدثت عن النذير لكل أمة لم تتضمن الإخبار عن وجود نذير في كل جيل منها، فلا ينافيها عدم وجود نذير في بعض الأجيال السابقة على عصر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ولعلّ التعبير في الآية ((خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)) يؤكد كفاية تقدم النذير.

وثانياً: إن الهدف من بعثة الرسل إقامة الحجة على الأمم، ويكفي في إقامة الحجة على الأجيال المتعاقبة وجود رسول في بعضها، ولا يتوقف إقامة الحجة على وجود رسول في كل جيل، والآية الكريمة: **((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً))** لم تتضمن بعثة الرسول لكل جيل، بل مجرد بعثة الرسول التي تتم به الحجة، وإن كانت على عدة أجيال.

((... وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ))(١٢).

س ٦١٥ ــ ما هو الإمام المبين؟

ج ــ قيل: إنه الكتاب الظاهر الدال على علمه تعالى، وهو اللوح المحفوظ.

((قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ...))(١٩).

س ٦١٦ ــ ما معنى أن يكون طائرهم معهم؟

ج ــ الطائر: هو ما يتطيّرون ويتشائمون منه، وكأن المقصود أن سبب الشؤم ملازم لكم وهو الكفر بالله تعالى.

((وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))(٣٨).

س ٦١٧ــ ما هو المستقرّ الذي تجري له الشمس؟

ج ــ ما قدّر الله تعالى أن تستقرّ في جريانها له، ولعلّه ينطبق على ما يقولــه علمــاء الفلك في العصر الحديث، من اتجاه المجموعة الشمسية إلى ((النسر الطالع)) حيث تكــون نهايتها بارتطامها به، وحين تنتهي الحياة الدنيا. والله العالم.

سورة الصافات

((وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ))(٢٧ ــ ٢٨).

س ٦١٨ ــ كيف يقول هنا إنهم يتساءلون، بينما في سورة المؤمنون يقول تعالى: ((فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ)) (١)؟

ج ــ عند الحشر لا يتساءلون، لأنّ لكلّ منهم يومئذٍ شأناً يغنيه، وبعد الحساب حيث يمتاز أهل اليمين عن أهل الشمال ويدخل كل من الفريقين مقرّه الدائم، يتساءل أهل الشمال ويعنّف بعضهم بعضاً، كما تحدثت آيات سورة الصافات هذه، وكذلك غيرها مثل قوله تعالى: ((إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ)) (٢).

((فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ))(٨٨ ــ ٨٩).

س ٦١٩ ــ كيف يكون ابراهيم (عليه السلام) سقيماً، والسقم كناية عن الشك؟

ج ــ المتأمل في هذه الآية وغيرها من الآيات التي تتحدث عن ذلك يلاحظ أنّها ليست بصدد بيان الحالة النفسية لابراهيم (عليه السلام) بقدر ما تبيّن موقفه الحواري ومحاججته لقومه، فلم يكن شكه حقيقياً، كيف! وقد: ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)) (١) وإنما هو الظهور بمظهر الشاك والتزام الشك في مقام الحوار، ليكون أبلغ في إقامة الحجة، وهو منهج مألوف لا يختص بإبراهيم (عليه السلام)، وقد أشار إليه القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)) (٢). ولعلّه إلى هذا يشير ما رواه العياشي باسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله L أنهما قالا: ((والله ما كان سقيماً وما كذب))(٣).

((وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ))(١١٢).

س ٦٢٠ ــ لماذا ذكر البشارة بإسحاق ولم يذكر إسماعيل؟

ج ــ لعلّه باعتبار تقدُّم ذكره باعتباره الذبيح: ((فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...))(٤) وهذا مما يرجح أن الذبيح هو إسماعيل.

ومما يشهد بأن الذبيح إسماعيل أن الآيات المذكورة تدلّ على أن البشارة بالغلام الذبيح كانت بعد طلبه الذرية ــ حيث كان عقيماً ــ ((**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...**)) (٥)، وحيث إن إسماعيل أكبر سناً من إسحاق، باعتبار أن سارة أم إسحاق عندما وجدت نفسها لم تنجب من إبراهيم، وهبت له جاريتها هاجر ــ أم إسماعيل ــ لتلد له غلاماً فولدت له إسماعيل، فيكون هو الذبيح.

((وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق أم إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي أين ذهب عنك عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان بمكة إسماعيل، وهو بنى البيت مع أبيه، والمَنحر بمكة، لا شك فيه)) (١)

فيكون هذا شاهداً ثالثاً على كون الذبيح إسماعيل.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٢) سورة ص: ٦٤.

(١) سورة الصافات: ٨٥ ــ ٨٧.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

(٣) مجمع البيان: ٧٠٢/٨.

(٤) سورة الصافات: ١٠١ــ ١٠٢.

(٥) سورة الصافات: ١٠٠ــ ١٠٢.

(١) مجمع البيان: ٧٠٨/٨.

سورة ص

((فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ))(٣٢-٣٣).

س ٦٢١ ــ كيف يفضّل نبيّ الله حبّ الخير ــ الخيل ــ على ذكر الله؟

ج ــ لم تتضمّن الآية ذلك، وإنّما تضمنت انّ سليمان انشغل بحبّ الخير، كمن يعرض عليه ما يشغله عمّا اعتاده من ذكر الله، من دون أن يفضله على ذكر الله، ولذلك تعدّى بـ (عن) فقال: ((عَن ذِكْرِ رَبِّي)) ولم يقل: على ذكر ربّي، حتى يدلّ على التفضيل.

كما انه لا دليل على أن المقصود من ذكر ربّه الذكر الواجب، فقد يكون ذكراً مستحباً قد اعتاد عليه، ولا وجه لحمله على فوات الوقت الشرعي للصلاة الواجبة، لأن الشرائع مختلفة في أحكامها، فما هو واجب في الإسلام قد لا يكون واجباً في شريعة أُخرى.

س ٦٢٢ ــ لماذا عاقب الخيلَ بقتلها مسحاً بالسوق والأعناق مع أنها لا جرم لها؟

ج ــ هذا ليس من باب العقوبة لها، وإنما هو كبح لرغبته بإزالة السبب الذي أشغله عن ذكر الله تعالى. ويدخل ذلك في ضمن وسائل تربية النفس.

((وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الأَخْيَارِ))(٤٨).

س ٦٢٣ ــ لماذا قرَن ذكر إسحاق ويعقوب بإبراهيم وأخر ذكر اسماعيل مكتفياً بوصفه من الأخيار ، ألا يعني تفضيلهما عليه؟

ج ــ ذكر القرآن الكريم إسماعيل مقروناً بإبراهيم في عدة آيات مثل قوله تعالى: ((... وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ...)) (١) ومجرّد تأخير ذكره في آية واحدة، لمناسبة معيّنة لا يعني تفضيلهما عليه.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أنّ خلّو القرآن من تفضيل واضح لإسماعيل على إسحاق ــ رغم انتساب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلى إسماعيل، والحسّاسية المفرطة التي يبديها اليهود وإصرارهم على تفضيل أبيهم إسحاق على إسماعيل الذي ينتسب له خصمهم نبي الإسلام وقومه ــ يشهد بارتباطه بالوحي الإلهي، كما قال: ((وَمَا

يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)) (٢).وأنه ليس مـــن إنشاء محمد(صلى الله عليه وآله وسلّم) لدعم سلطانه، كما يدعيه أعداء الإسلام.

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) سورة النجم: ٣ ــ ٥.

سورة الزمر

((... وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ...))(٦).

س ٦٢٤ ــ ما معنى إنزال الأنعام؟

ج ــ لعلّه باعتبار كونه معلوماً لله تعالى قبل إيجاده وثابتاً في اللوح المحفوظ، كما تقول انزلتُ الفكرةَ إلى الواقع.

س ٦٢٥ ــ كيف يقول: ((ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)) في إشارة إلى الزوجين من الأبل والبقر والغنم والمعز، بينما هي أربعة أزواج؟

ج ــ الظاهر أنه من اضافة الصفة للموصوف، وأصله أزواج ثمانية أي عددها ثمانية، وإضافة الصفة للموصوف مألوف في كلام العرب.

س ٦٢٦ ــ ما هذه الظلمات الثلاث؟

ج ــ المروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنها ظلمات البطن والرحم والمشيمة(١).

((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...))(٢٣).

س ٦٢٧ ــ ما معنى قولــه: ((مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ)).

ج ــ كأنه إشارة إلى أن القرآن لا تضادّ ولا تنافر بين آياته وأجزائه، بل هي متشابهة ومتناسقة يُكمّل بعضها بعضاً، ويؤكده.

((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَّجُلا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا...))(٢٩).

س ٦٢٨ ــ ما هي الحكمة من هذا المثل؟

ج ــ ضُرب هذا المثل للتفريق بين العبودية لشركاء متشاكسين والعبودية لواحد، حيث يكون الصلاح في الحالة الثانية والفساد في الحالة الأولى، بسبب تشاكس الموالي وصراعهم.

((قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))(٤٤).

س ٦٢٩ ــ كيف ينسجم حصر الشفاعة بالله تعالى في هذه الآية وفي آية سورة السجدة: ((مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ)) (٢) مع اثبات الشفاعة لغيره تعالى في سورة يونس: ((مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ)) (٣).

ج ــ ليس هناك مناقضة بين الآية الثالثة والآيتين الاولى والثانية، فإنّ الآية الأولى جاءت ردّاً على الكافرين من عبدة الاصنام الذين يتصوّرون انّ الأصنام تشفع لهم يوم القيامة **((أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))** (٤).

فأولئك كانوا يزعمون ان الأصنام تشفع لهم من دون الله فردّ عليهم تعالى بأنّ الشفاعة لله وهو لا ينافي أن يشفع لشفاعة بعض عباده المؤمنين فانّ شفاعة هؤلاء راجعة إليه تعالى وليست في مقابل شفاعته، ويصح نسبة فعل التابع الى المتبوع كما يقال الرئيس قتل فلاناً، مع أنه لم يباشر القتل وإنما أمر به.

وكذا الآية الثانية ــ في سورة السجدة ــ فإنها جاءت ردّاً على الكافرين **((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ))** (٥).

وهي لا تنافي شفاعة الأنبياء وغيرهم من الابرار بإذن الله تعالى، وقد حفل القرآن الكريم والسنّة بالآيات والنصوص الدالة على قبول الشفاعة بإذن الله تعالى، لأنّها ترجع إليه سبحانه.

س ٦٣٠ ــ كيف تنفي هذه الآية الشفاعة لغير الله بينما تضمنت آيات أخرى الشفاعة لغيره، كما في قوله تعالى: ((مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ)) وكذلك النصوص الكثيرة المتضمنة شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وغيره؟

ج ــ لا تنافي بين هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات والنصوص المثبتة لشفاعة النبي وآله وغيرهم، لأن هذه الآية جاءت ردّاً على الاستشفاع بالأصنام ونحوها

من دون الله، بينما النبي وآله (صلوات الله عليهم) يشفِّعهم الله تعالى، فشفاعتهم راجعة إليه وبإذنه تعالى. فليست هي الشفاعة من دون الله المنفية في هذه الآية.

---

(١) يراجع مجمع البيان: ٧٦٦/٨.

(٢) السجدة: ٤.

(٣) يونس: ٣.

(٤) الزمر:٤٣ ــ ٤٤٥.

(٥) السجدة:٣ ــ ٤.

سورة غافر

((قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ))(١١).

س ٦٣١ ــ ما هما الميتتان وما هما الحياتان؟

ج ــ الظاهر أن الموتة الأولى هي حالة الإنسان قبل حياته في الحياة الدنيا، والثانية هي موته ومفارقته للحياة الدنيا، وسمّى الأولى إماتة من باب التغليب، وهو شائع في كلام العرب. والحياتان أولاهما بإحيائه في الحياة الدنيا، والثانية بإحيائه بعد الموت، فتكون هذه الآية نظير قولــه تعالى: ((وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ))(١).

((...وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ...))(٢٨).

س ٦٣٢ ــ لماذا قال: ((يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ))مع أنه إذا كان صادقاً يصــيبهم كــلّ الذي يعدهم؟

ج ــ هذا التحذير من تصديهم لقتل موسى، كما هو ظاهر من قولــه:

((... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...)) وليس مرتبطاً بدعوتهم وحثّهم على الإيمان برسالة موسى حتى يكون مستلزماً للتصديق بكل ما وعده موسى، فكأنّ مقصود مؤمن آل فرعون أنكم إذا لم تؤمنوا برسالته وبالمعاد فتجنّبوا قتله حذراً من العذاب الدنيوي ــ الذي هو بعض ما وعده موسى لهم ــ الماحق الذي يصيب الأمم التي تقتل نبيّها.

((إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ...))(٥٦).

س ٦٣٣ــ ما معنى عدم بلوغهم الكبر؟

ج ــ حيث كان خصامهم وعنادهم نتيجة استكبارهم عن الخضوع للحق ــ كما أكّدته كثير من الآيات ــ أشار هنا إلى انهم سوف لا يبلغون الشموخ الموهوم، لأنّ الله تعالى سوف يُذلّهم.

(١) سورة البقرة: ٢٨.

سورة الشورى

((تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ...))(٥).

س ٦٣٤ ــ لماذا كادت السماوات يتفطّرن؟

ج ــ ذلك من عظمة الله تعالى وخشيته.

((... قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...))(٢٣).

س ٦٣٥ ــ من هم ذوو القربى الذين تتحدث عنهم الآية؟

ج ــ هم عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم). وروي أنها لما نزلت قيل: ((يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناها)) (١). وروي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انّه قال: ((إنها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء)) (٢).

((وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ))(٢٦).

س ٦٣٦ــ كيف قال: ((يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا)) مع أن الذي يستجيب هو الله، والمؤمنون يستجاب لهم؟

ج ــ فاعل الاستجابة هو الله تعالى ومفعوله الذين آمنوا، لأن فعل الاستجابة كما يتعدى للموصول باللام يتعدى بنفسه أيضاً، قال ابن منظور: ((... استجابه واستجاب له، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب (٣))).

فقال: يستجبه، ولم يقل يستجب له. وكلاهما صحيح.

((...أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا...))(٥٠).

س ٦٣٧ ــ ما معنى تزويجهم الذُّكران والإناث؟

ج ــ معناه أن يجمع لهم في الذرية من الذكور والإناث. وليس المقصود من التزويج هنا الزواج.

((...مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ...))(٥٢).

س ٦٣٨ ــ كيف لا يكون النبي ــ محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) عارفاً بالإيمان قبل رسالته مع أنه كان موحّداً لله تعالى؟

ج ــ الإيمان لا يقتصر على الاعتقاد بأصل التوحيد، بل هناك تفاصيل الصـــفات والمعاد وغيرها مما تجلّى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بعد الوحي.

---

(١) الكشاف: ٤/٢٣٠.

(٢) مجمع البيان: ٩/٤٤.

(٣) لسان العرب: ١/٢٨٢.

سورة الزخرف

((وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ))(١٥).

س ٦٣٩ ــ كيف جعلوا له جزءاً؟

ج ــ من خلال ادّعائهم أن له ولداً، وكل ولد فهو من والده.

((أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ))(١٨).

س ٦٤٠ ــ مَن الموصوف بهذه الصفة؟

ج ــ إنّه وصف للنساء ــ بشكل عام ــ حيث تنشأ البنت وتحاط بالزينة، وليس لها دور فاعل في ساحات الوغى والخصام عندما تكبر، فانها (ريحانة وليست بقهرمانة) ــ كما ورد في الحديث ــ. فمن كانت تلك طبيعته كيف يصطفيه الله تعالى ويستعين به على إدارة الكون ــ كما يزعمون ــ.تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

((وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ))(٧٧-٧٨).

س ٦٤١ ــ هل المخاطَبون في كلام (مالك) أهل النار فقط أو البشرية جمعاء؟

فإذا كان المقصود بها البشرية جميعاً. فكيف يوجه كلام إلى البشرية جميعاً وهو يخاطب أهل النار فقط؟

وإذا كان المقصود أهل النار فقط فلماذا استخدم عبارة ((أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)) ولم يستخدم عبارة: (وكنتم للحق كارهون)؟

ج ــ في تفسير هذه الآية وجهان...

الأول: أن يكون الخطاب لهم بما هم بشر لا باعتبارهم من العاصين، كما تقول لمجموعة من أهل بلدة معينة لقد حذّرتكم ولكن أكثركم لم يعتن بالتحذير وتقصدهم باعتبارهم أهل البلدة لا بما هم تلك المجموعة الخاصة المذمومة.

الثاني: أن يكون الخطاب لأهل النار والتعبير بالأكثرية باعتبار أن بعض أهل النار لم يكرهوا الحق ولكن جهلهم وحمقهم جرّهم إلى النار كما ورد عن الامام

علي(عليه السلام): ((لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه)).

فهناك أقلية من أهل النار لا يكرهون الحق، لكن جهلهم وتقصيرهم في البحث عن الحق أوردهم جهنم.

سورة الدخان

((وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ))(٣٢).

س ٦٤٢ ــ هل ان بني اسرائيل مفضّلون على كل الأُمم وفي كل العصور؟

ج ــ كلاّ، فانّ الآية تتحدث عن خصوص قوم موسى الذين فضّلهم على العالمين المعاصرين لهم كالأقباط والفرس وغيرهم.

ويمكن أن يكون المقصود من التفضيل تمييزهم بوفرة الأنبياء، حيث لا تشاركهم في هذه الفضيلة أُمة. وعلى كلّ حال ليس المراد من التفضيل سموّ ورفعة مقامهم، لأنّ الدين عند الله الإسلام، فمن دان بدين الله أفضل ممن أنكره عناداً وعاداه، ولذلك ذمّهم القرآن الكريم والنصوص كثيراً، بسبب كفرهم وكيدهم للإسلام وأهله.

وممّا يشهد بعدم إرادة رفعة المقام من التفضيل أنّ المسلمين لم يشكّوا في دينهم ولم يتوهّموا ذلك، كما أن اليهود المعاصرين للنبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) لم يحتجّوا على المسلمين بهذه الآيات.

((لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ))(٥٦).

س ٦٤٣ ــ كيف استثنى الموتة الأولى مع أنها لا تكون في الجنة حتى يذوقوها؟

ج ــ قيل: ان الاستثناء هنا منقطع أي من المفهوم لا المنطوق، وذلك إنه حيث كان بصدد بيان سعادتهم في الجنّة فعندما نفى تذوّق الموت قد يُفهم منه عدم خطوره بالبال أيضاً، فاستثنى الموتة الأولى من هذا المفهوم، باعتبارهم يتذكرونها، فكأنه قال: لا يذوقون فيها الموت ولا يخطر ببالهم إلاّ الموتة الأولى.

ويلوح وجه محتمل آخر: وهو أن يكون ذكر الاستثناء المذكور لغرض تأكيد عدم تذوّقهم للموت في الجنة، وهو اسلوب عرفي شائع. كما يقال للمريض ــ بعد إجراء عملية جراحية له ــ: سوف لا تحتاج إلى إجراء عملية جراحية أخرى إلاّ هذه العملية، وذلك بهذف حصر الحاجة بتلك العملية، وتأكيد نفي الحاجة لغيرها في المستقبل، ولعلّ هذا الوجه أرجح من الوجه الأول.

سورة الجاثية

((قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ))(١٤).

س ٦٤٤ ــ ما معنى أن يغفر المؤمنون للكافرين؟

ج ــ بأن يتركوا خصامهم ويتحملوا أذاهم في الدنيا ــ في غير ظروف الصراع بين الحق والباطل ــ انتظاراً وإيكالاً لعذاب الله لهم في الآخرة.

س ٦٤٥ ــ لماذا جزم: ((يَغْفِرُوا)) والمفروض رفعه بثبوت النون، لأنه مقول القول؟

ج ــ كلاّ ليس هو مقول القول، بل المقول محذوف تقديره (اغفروا) كما دلّت عليه القرينة، وعلى هذا يكون جزم ((يَغْفِرُوا)) لأنه جواب الطلب المتقدم، وهو ((قل))حيث يفترض في المؤمنين أن يطيعوا الرسول الذي لا يتوانى عن أمرهم بذلك تنفيذاً للأمر الإلهي ((قل)) فكأن مغفرتهم مترتبة عليه.

س ٦٤٦ ــ ما معنى أيام الله؟

ج ــ هي الأيام المنسوبة له تعالى باعتبار ظهور ملكه وسلطانه مثلاً، كيوم القيامة: ((...لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ))(١).

((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ...))(٢٤).

س ٦٤٧ ــ إن قولهم: ((نَمُوتُ وَنَحْيَا)) اعتراف منهم بالحياة بعد الموت، فكيف قالوا: ((مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا))؟

ج ــ كلا، لأن الواو لا تدلّ على الترتيب، ومرادهم أنه لا توجد حياة أخرى غير هذه الحياة التي يولد بعضنا ويموت البعض الآخر فيها، أي يولد جيل ويموت جيل.

---

(١) غافر: ١٦.

سورة الفتح

((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا))(١ ــ ٣).

س ٦٤٨ ــ ما هو الارتباط بين الفتح على النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) بصلح الحديبية أو فتح مكة وبين غفران ذنوبه؟

ج ــ الظاهر أنه ليس المراد من الذنب المعصية ــ كيف! وهو(صلى الله عليه وآله وسلّم) معصوم من ذلك ــ إذ لا يتجه الربط بين الفتح الإلهي ــ الذي هو نعمة إضافية على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ وبين غفران ذنبه. بل كأن المقصود من الذنب التبعاتُ والجرمُ الذي كان في أنفسهم بسبب أوهامهم وتصوراتهم الباطلة عن رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ودعوته لهم ، سواء القديمة منها عندما كان بين أظهرهم في مكة أم المتأخرة التي حدثت بعد الهجرة من مواقفه وحروبه معهم. فإن موقفه في صلح الحديبية واستعداده للسلم معهم واحترامه للبيت الحرام كشف عن زيف التهم والأوهام التي كانوا يحملونها عنه (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعن رسالته، فيكون ذلك غفراناً ــ من المغفرة بمعنى التغطية ــ وإزالةً لتلك التهم وكشفاً لزيفها. وبهذا الوجه ينسجم ذيل الآية مع مقدَّمها ويتضح الارتباط بينهما.

((لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...))(٥).

س ٦٤٩ ــ ما هو الارتباط بين دخول المؤمنين الجنة وما قبله حتى جاءت لام التعليل؟

ج ــ بعد أن أنزل الله تعالى السكينة على المؤمنين فثبتوا وازدادوا إيماناً استحقوا رحمة الله وجنّاته وكفّر عنهم سيئاتهم.

((لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا))(٩).

س ٦٥٠ ــ هل مرجع الضمائر في قوله: ((وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ))هو الله أو رسوله؟

ج ــ يمكن إرجاع الأولين للرسول، والأخير لله تعالى، ويمكن إرجاع الجميع لله تعالى، لأن التعزير بمعنى النصرة، فيكون نظير قوله تعالى: ((إِن تَنصُرُوا اللَّهَ

يَنصرُكُمْ)) (١) ، والتوقير هو التعظيم، وقد ذمّ الله تعالى الكافرين بقولـه: ((مَّا لَكُمْ لَـا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)) (٢) أي لا تعظمونه.

((سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ...))(١٥).

س ٦٥١ ــ كيف يبدّلون كلام الله بخروجهم؟

ج ــ روى المؤرّخون أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعَد الذين خرجوا معه إلى الحديبية بعد الصلح أن يحصلوا على مغانم خيبر وخصّهم بها، فأراد المتخلّفون عن الحديبية أن يخرجوا إلى خيبر ليشاركوا في المغانم الموعودة خلافاً لما أراده الله تعالى.

((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا))(١٨).

س ٦٥٢ ــ هل تدلّ هذه الآية على أنّ أهل بيعة الشجرة مرضون عند الله تعالى؟

ج ــ الآية تدلّ على الرضا عنهم في موقفهم هذا، لا عن أشخاصهم مطلقاً، ولذلك قال: ((إِذْ يُبَايِعُونَكَ)) ليكون بدل اشتمال ــ كما يسميه النحاة ــ نظير قولـه تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)) (٣) أي اذكر وقت انتباذها. ويؤكد ما ذكرناه تخصيص الوعد الإلهي بالأجر والمغفرة ببعضهم في آخر هذه السورة: ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ... وَعَدَ اللَّـهُ الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)) (٤).

وعلى كلّ حال، فكان نتيجة موقفهم المرضي هذا أن أثابهم الفتح القريب والمغانم الكثيرة، بينما عاتبهم يوم حنين ــ بعد ذلك ــ حينما أعجبتهم كثرتهم وأخذهم الغرور فانهزموا: ((...وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ))(٥).

---

(١) سورة محمد: ٧.
(٢) سورة نوح: ١٣.
(٣) سورة مريم: ١٦.
(٤) سورة الفتح: ٢٩.

(٥) سورة التوبة: ٢٥.

سورة ق

((ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ))(١).

س ٦٥٣ ــ ما هو جواب القَسَم المذكور؟

ج ــ طبق القواعد النحوية يكون جواب القسم محذوفاً مدلولاً عليه بالآيات اللاحقة: ((بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ...)).

((... فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ))(٩).

س ٦٥٤ ــ ما هو حبّ الحصيد؟

ج ــ الحبّ الذي من شأنه أن يُحصد كالحنطة والشعير، وهذا من باب إضافة الموصوف للصفة، مثل مسجد الجامع وحق اليقين، والمعنى: الحب الحصيد والمسجد الجامع والحق اليقين.

((إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ))(١٧).

س ٦٥٥ ــ من هما المتلقيان وماذا يتلّقيان؟

ج ــ هما الملَكان الملازمان للإنسان عن يمينه وشماله يتلقيان أعماله. والقعيد كناية عن الملازم الذي لا يفارق.

((لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ))(٢٢).

س ٦٥٦ ــ ما معنى أن يكون البصر حديداً؟

ج ــ أي حادّ النظر وثاقباً حيث يرى الحقيقة من دون غشاوة.

((فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ))(٣٩ ــ ٤٠).

س ٦٥٧ ــ ما هذه التسبيحات وذكر الله في هذه الأوقات؟

ج ــ قيل الأولى صلاة الفجر، وقبل الغروب صلاتا الظهرين. وفي الليل صـــلاتا العشائين.وأما أدبار السجود، فهو تعقيب الصلوات، وقيل: إنه الوتر من آخر الليل، روي ذلك عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) (١).

((نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ))(٤٥).

س ٦٥٨ ــ ما هو الجبّار؟

ج ــ الجبّار المتسلّط الذي يفرض الأمر فرضاً عليهم.

---

(١) مجمع البيان: ٩/٢٥٥.

سورة الذاريات

((وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا))(١ ــ ٤).

س ٦٥٩ ــ ما معنى هذه الأمور التي أقسم بها؟

ج ــ عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال وهو على المنبر: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام ابن الكوّاء فقال: ما الذاريات ذروا؟ قال: الرياح (باعتبارها تذرو أي تطير التراب ونحوه) قال: فالحاملات وقراً؟ قال: السحاب (لأنها موقَرة أي مثقَلة بالماء التي تحمله). قال: فالجاريات يسراً؟ قال: الفُلك (باعتبارها تجري على الماء جرياً سهلاً) قال: فالمقسمّات أمراً؟ قال: الملائكة (لأنّهم مكلّفون من قِبل الله تعالى بتقسيم الأرزاق ونحوها) (١).

((وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ))(٦).

س ٦٦٠ ــ ما معنى وقوع الدَّين؟

ج ــ الدَّين بمعنى الحساب أو الجزاء، وهو متحقق يوم القيامة.

((فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ))(٤٠).

س ٦٦١ ــ ما معنى: ((مُلِيمٌ))؟

ج ــ المُليم: هو الذي يفعل ما يستحق اللومَ عليه.

((وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ))(٤٧).

س ٦٦٢ ــ ما معنى الأيد؟

ج ــ الأيد: القوة والإحكام.

((فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ))(٥٩).

س ٦٦٣ ــ ما هو الذَّنوب الذي للظالمين ومَن يشاركونهم في الكفر من الأمم السابقة؟

ج ــ الذَّنوب: هو النصيب، والمقصود هنا نصيبهم من العذاب.

(١) يراجع الكشاف: ٤/٣٩٤ ــ ٣٩٥.

سورة الطور

((وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا))(١٠).

س ٦٦٤ ــ كيف يقول إنها تسير آنذاك مع أن آيات أخرى ذكرت أن من أشراط الساعة أن تُنسف الجبال وتكون كثيباً وكالعهن المنفوش، قال تعالى: ((وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ)) (١) ((وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلا))(٢) ((وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ))(٣)؟

ج ــ إنّ سيرها كناية عن زوال ثباتها واستحكامها، ويتحقق ذلك عند نسفها ودكّها، كما قال تعالى: ((وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا))(٤) حيث جمع بين سيرها وكونها سراباً أي دمارها.

((يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ))(٢٣).

س ٦٦٥ ــ كيف يتنازعون مع أنّ الجنّة لا نزاع فيها ولا تخاصم؟

ج ــ التنازع هنا بمعنى التجاذب، لا الخُصومة. قال ابن منظور: ((وأصلُ النزع الجذبُ والقلع)).

وقال أيضاً: ((ومنازعة الكأس: معاطاتها. قال الله عزّ وجلّ: **((يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ))** أي يتعاطون، والأصل فيه يتجاذبون)) (٥).

((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ))(٣٥).

س ٦٦٦ــ كيف يستنكر أن يكونوا خُلقوا من غير شيء مع أنّ الله تعالى أبدع الخلق لا من شيء؟

ج ــ هذا ردّ على ادعائهم بأنّ وجودهم لم يكن بإيجاد خالق ــ فالخلق هنا بمعنى الوجود ــ بينما وراء خلق الإنسان وكلّ المخلوقات الأخرى الباري تعالى بما لَــه مــن قدرة وكمال. فــ(من) في الآية للسببية والمنشأ، لا لبيان أصــل المخلوقــات وحالتهــا السابقة حتى يتنافى مع إبداع الخلق لا من شيء.

(١) سورة المرسلات: ١٠.

(٢)سورة المزمل:١٤.

(٣)سورة القارعة:٥.

(٤)سورة النبا:٢٠.

(٥) لسان العرب: ٨/٣٥٠ ــ ٣٥١.

سورة القمر

((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ))(١).

س ٦٦٧ ــ لو كان القمر قد انشقّ في عهد رسول الله لرآه باقي الأُمم والشعوب، ولــم يعرف ذلك في التأريخ؟

ج ــ لا دليل على عدم رؤية شعوب أخرى(١) لشق القمر. ومجرّد عدم ذكره في التأريخ غير الإسلامي لا يدل على عدمه، لأنّ التدوين والتوثيق لم يكن مألوفاً آنذاك،على أن جلّ الكتب والمصادر المدوّنة قد تلفت ولم تصل إلينا.

هذا ، وإنّ ذكر هذه الآية المكية لشق القمر شاهد تاريخي قوي ــ بالنسبة لغير المسلمين فضلاً من المسلمين ــ على حدوثه، لأنّ المسلمين كانوا أقلية حديثي عهدٍ بالإسلام في مكة، والمشركون يتربصون بهم، فكيف تتضمن الآية أمراً من شأنه أن يكون واضحاً للعيان، وهو لا واقع له؟! مما يوجب تشكيك الأقلية المسلمة المضطهدة في دينها ومحاججة المشركين لهم. بل إنّ الآية اللاحقة: **((وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ))** (٢) شاهد على أن المشركين لم يكذّبوا ذلك، وإنما فسّروه بالسحر.

---

(١) المقصود خصوص الشعوب التي كان القمر طالعاً عندهم حين حدوث هــذه الآية، ولم تكــن فــي الجوّ عندهم علّة من مطر وغيم ونحوهما. وأما غيرهم فلم يظهر لهم شقّ القمر حتى يروه.

(٢) سورة القمر:٢.

سورة الرحمن

((فباي آلاء ربّكما تكذبان))

س ٦٦٨ ــ لماذا كررت الآية أكثر من مرة؟

ج ــ كأنه من باب التذكير بالنعم الإلهية الوفيرة، وتأكيد الحجة على الخلائق ليشكروها بمعرفة ربّهم والخضوع والطاعة له.

((سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ))(٣١).

س ٦٦٩ ــ كيف يقول: ((سَنَفْرُغُ)) مع أن الله تعالى لا يشغله شيء عن شيء حتى يتفرّغ له؟

ج ــ جاء الفعل هنا بمعنى القصد، قال ابن الأعرابي ــ في تفسير هذه الآية ــ أي سنعمد، واحتجّ بقول جرير:

ولمّا التقى القينُ العراقيَ باسته فَرَغتُ إلى العبدِ المقيَّد في الحِجل

قال: معنى فرَغتُ أي عَمدتُ... (١).

((فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ))(٣٩).

س ٦٧٠ ــ كيف لا يُسألون عن ذنوبهم مع أنّ ذلك اليوم يوم الحساب والسؤال؟

ج ــ الظاهر أنّ المقصود الإشارة إلى عدم الحاجة للاستفسار منهم عن صدور الذنوب، لأنّ الأدلة الاثباتية متوفرة بحدّ الكفاية من دون حاجة لاستجوابهم، فأعضاؤهم وجلودهم تشهد عليهم، بالإضافة إلى سيماهم، كما قال تعالى لاحقاً: **((يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ))**(١).

((يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ))(٤٤).

س ٦٧١ ــ هل يــخرجون من جهنم إلى الحميم؟

ج ــ كلاّ، لأن الحميم في جهنم، وإنما المقصود الإشارة إلى توارد أصناف العذاب عليهم وتعاقبه، فهم بين نار وحميم.

---

(١) لسان العرب: ٨/٤٤٥.

(١) سورة الرحمن: ٤١.

سورة الواقعة

((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ))(٨٢).

س ٦٧٢ ــ كيف يجعلون رزقهم التكذيب؟

ج ــ كان حظهم هو تكذيب المعاد وما جاء به الرسول، أو انهم كانوا يرتزقون بالتكذيب، حيث يحفظون مصالحهم ومقامهم في الدنيا بذلك ولا يخضعون للرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم).

((فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))(٨٦ ــ ٨٧).

س ٦٧٣ ــ ما هو المقصود من هذا التحدي؟

ج ــ إنه تحدٍّ للكافرين الذين لا يؤمنون بالله تعالى، والمعنى: هلاّ ترجعون الأرواح إلى أصحابها ــ أو أرواحكم إليكم ــ إن لم تكونوا خاضعين لله تعالى وقضائه كما تزعمون. والله العالم.

سورة الحديد

((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...))(١٦).

س ٦٧٤ ــ أليست قلوب المؤمنين خاشعة لذكر الله؟

ج ــ ليس كلّ المؤمنين على درجة سواء، ولذلك اختلف الموقف منهم، وورد العتاب لبعضهم، والتحذير من الغفلة والقسوة. وعن أبي بكر أنّ هذه الآية قرئت بين يديه، وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاءً شديداً. فنظر إليهم فقال: هكذا كنّا حتى قست القلوب(١).

((إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ))(١٨).

س ٦٧٥ ــ كيف عطف الفعل ((أَقْرَضُوا)) على اسم ((إِنَّ))والمفروض أن يكون المعطوف اسماً لا فعلاً؟

ج ــ كلاّ، إنّ الفعل ليس معطوفاً على اسم (إنّ)، بل اسم (إنّ) هو (أل) الموصولة، صلتها اسم الفاعل (مصدّقون) والفعل (أقرضوا) معطوف على صلة الموصول، لا على اسم الموصول نفسه.

((لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ))(٢٣).

س ٦٧٦ ــ كيف لا يأسى الإنسان على ما فاته ولا يفرح بما آتاه الله من النِعم؟

ج ــ إذا علم الإنسان أنّ كلّ ما يجري عليه بقضائه تعالى وقدره، وهو الكريم المحسن، لا تتعلق نفسه بما عنده ولا يكون أسير المادة، بل يأمل في كرم ربّه وولّي نعمته، وهو الذي يعوّضه عما فاته بغيره أو بثواب الصبر.

كما قال تعالى: ((لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) حيث لا حزن على ما فات ، ولا خوف مما يأتي.

وعن الإمام علي (عليه السلام): الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ((لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)) ومن لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه(٢).

(١) يراجع الكشاف: ٤/٤٧٧.

(٢) نهج البلاغة: ٥٥٣ ــ ٥٥٤ الحكمة رقم:٤٣٩.

سورة المجادلة

((... وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ))(٨).

س ٦٧٧ ــ كيف يتمنّون أو يطلبون عذاب الله تعالى؟

ج ــ إنما قال ذلك اليهود استهزاءً بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) حيث لم ينزل عليهم العذاب بسبب سوء أفعالهم وعدوانهم تجاهه (صلى الله عليه وآله وسلّم). فردّ عليهم القرآن بقولــه: ((حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ)).

((أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...))(١٣).

س ٦٧٨ ــ كيف يتوب الله عليهم ولم يفعلوا معصية، بل شحّت أنفسهم فتركوا مناجــاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)؟

ج ــ التوبة هي العودة والإقبال بعد الإعراض، وليس من الضرورة أن يكون الإعراض بسبب المعصية، بل بسبب الشحّ والجهالة حيث تركوا مناجاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بسبب ذلك. وهذه الآية من الموارد التي استُعملت فيها التوبة في مورد فعل ما لا ينبغي من دون أن يكون هناك ذنب وعصيان.

هذا، وقد ذكر المحدّثون والمفسّرون أنه لم يعمل بآية النجوى سوى الإمام علي (عليه السلام)، حيث روي عنه قولــه: إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: كان لي دينار فصرفته، فكنتُ إذا ناجيته تصدّقتُ بدرهم. وعن ابن عمر: كان لعليّ ثلاث، لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حُمر النعم، تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى(١).

((يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ))(١٨).

س ٦٧٩ ــ كيف يجرؤون على الحلف كذباً على الله يوم القيامة؟

ج ــ هؤلاء هم المنافقون الذين اعتادوا على الكذب في الحياة الدنيا، يكذبون في الآخرة جرياً على تلك العادة تخبطاً وجهالة، كما يتشبث الغرقى بالخيط الرفيع طمعاً في النجاة مع علمهم بعدم جدواه.

---

(١) الكشاف:٤/٤٩٤.

سورة الممتحنة

((...يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ...))(١).

س ٦٨٠ ــ لماذا لم يقل (يــخرجونكم والرسول) من باب الاختصار؟

ج ــ قدّم ذكر الرسول تعظيماً لشأنه، حيث إن إخراجه أعظم وزراً من إخراج المسلمين.

((... وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...))(١٠).

س ٦٨١ ــ إذا كان ابقاء الزوجة الكافرة محرّماً فكيف يفتي كثير من الفقهــاء بجــواز الزواج من الكتابية؟

ج ــ المنظور في الآية الكافرات المشركات لا الكتابيات.

((... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ...))(١٢).

س ٦٨٢ ــ لماذا خصّ المعصية بالمعروف مع أن النبي لا يأمر بغير المعــروف، فــلا حاجة للتنصيص عليه؟

ج ــ لعلّ التنصيص عليه رعاية لحساسية المجتمع العربي تجاه النساء

ــ خاصة إن المجتمع المكي جديد عهد بالإسلام ــ فأكدت الآية على أنّ طاعتهن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إنما هي في المعروف، باعتبار أنه (صلى الله عليه وآله وسلّم) لا يأمر إلاّ به.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ))(١٣).

س ٦٨٣ ــ لماذا خصّ الكفار بالذكر، مع أنّ المؤمنين أيضاً لا يطمعون في الأمــوات ــ أصحاب القبورــ؟

ج ــ كلاّ فانّ المؤمنين يعتقدون ببعث الأموات وإحيائهم، بينما الكفار ينظرون إليهم كعظام نخرة بالية لا تعاودها الحياة.

سورة الجمعة

((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...))(٢).

س ٦٨٤ ــ إذا كان مبعوثاً في الأميين فكيف تكون رسالته عامّة لكل الشعوب؟

ج ــ إن تعدية البعث بـــ (في) لا يعني اختصاص رسالته بهم، ولذلك لم يقــل: (إلى الأميين).

س ٦٨٥ ــ لماذا عطف الحكمة على الكتاب مع أنّ الكتاب يحتوي على الحكمة؟

ج ــ الحكمة تشمل مكارم الأخلاق ونحوها مما لا يعرف من الكتاب العزيز، بــل تضمّنته السّنّة الشريفة.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّــوُا الْمَــوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))(٦).

س ٦٨٦ــ كيف يؤنّبهم على ذلك مع أنّ أكثر المسلمين الصالحين لا يتمنّون الموت؟

ج ــ إنما كان تأنيبهم على ادعائهم أنّهم أولياء الله وأحباؤه، واحتج علــيهم بعــدم تمنيّهم الموت، بينما المسلمون لا يدّعون أنهم أحباء الله، وإنما يعــيش المــؤمن حالــة الخوف والرجاء.

((وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْــرٌ مِّــنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ))(١١).

س ٦٨٧ ــ لماذا قدم التجارة على اللهو في صدر الآية، وأخرها عنه في آخرها؟

ج ــ بما أن التجارة أهم من اللهو فعندما أنّبهم ــ في صدر الآية ــ على تــركهم الصلاة خلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) تدّرج من الأهم للأدنى، فكأنه قال: إنهم قدّموا التجارة على الصلاة بل قدّموا ما هو أدنى من التجارة، لأن منهم من ترك الصلاة للّهو ومنهم من تركها للتجارة ــ كما أشار إلى ذلك المفسّرون ــ ، وفي آخر الآية حيث كان

بصدد بيان أهمية الصلاة ترقى من الأدنى ــ اللهو ــ إلى الأهم ــ التجارة ــ، إذ لــو فضّل الصلاة على التجارة لم يتوجه تفضيلها بعد ذلك على ما هو أدنى من التجارة، بل يكون زيادة غير مفيدة.

سورة المنافقون

((...كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ...))(٤).

س٦٨٨ ــ كيف شبّههم بالخشُب المسنّدة؟

ج ــ باعتبار أن من يؤمن بلسانه دون عقله مثل الهياكل والتماثيل التي لا روح فيها.

س ٦٨٩ ــ لماذا قال: ((يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ))؟

ج ــ لأن المنافق يعيش هاجس الفضيحة دائماً.

سورة التغابن

((يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ...))(٩).

س ٦٩٠ ــ لماذا سمي يوم القيامة بيوم التغابن؟

ج ــ لعلّه مأخوذ من الغَبْن بمعنى ضعف الرأي والسفاهة، حيث يستخفّ المؤمنون بما آلت إليه عقول الفاسقين والكافرين وآراؤهم.

سورة الطلاق

((فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ...))(٢).

س ٦٩١ ــ إذا بلغن أجلهن وتمت العدّة فكيف يمكنه الرجوع بالمرأة وامساكها؟

ج ــ المقصود من بلوغ الأجل مشارفة نهاية العدّة لا انتهاؤها. وكأنه لتاكيد حق الرجوع للمطلِّق إلى نهاية العدّة.

سورة التحريم

((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))(١).

س ٦٩٢ ــ كيف يغيّر النبي حكم الله فيحرّم الحلال إرضاءً لأزواجه؟

ج ــ المقصود من التحريم هنا مجرّد الاجتناب لا البناء على حرمته، كما يقال: حرّم فلان على نفسه الخضاب أي اجتنبه، ومجرّد اجتناب الحلال تجنباً لمشاكل الزوجة المشاكسة ليس معصية حتى لا ينسجم مع مقام النبوّة. وقد أرشد الله نبيّه ــ من خلال الآية الكريمة ــ إلى تجاهل ضغوط زوجاته عليه من دون حق.

((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا...))(١٠).

س ٦٩٣ ــ كيف يمسك النبي زوجة خائنة؟

ج ــ ليس المقصود بذلك الخيانة الزوجية، وإنما انضمامها إلى الكافرين ومواطأتهم ، حيث قيل إن امرأة نوح كانت تخبرهم بمن يؤمن به، وامرأة لوط كانت تخبرهم بضيوفه، فكان ذلك خيانة منهما.

سورة القلم

((فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ))(٥،٦).

س ــ ما معنى: أيّكم المفتون؟

ج ــ قال الزمخشري: ((المفتون: المجنون، لأنه فُتن أي محّن بالجنون، أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن، وهم الفُتّان للفتاك منه، والباء مزيدة ،أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، أي بأيّكم الجنون أو بأي الفريقين منكم الجنون...)) (١).

والظاهر أن الإبصار مضمَّن معنى العلم واليقين، والمعنى إنكم يوم القيامة تتيقنون بأيّكم المفتون أي بجواب هذا السؤال، كما تقول: علمتُ بكم هذه البضاعة أي بجواب هذا السؤال، المتضمن لسعرها. وعلى هذا الوجه لا تكون الباء زائدة، ولا حاجة لتأويل الزمخشري المتقدّم.

((سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ))(١٦).

س ٦٩٤ ــ ماذا تعني السمة على الخرطوم؟

ج ــ إنها تعني الإذلال والهوان، حيث كان الأنف وسط الوجه والموضع المتقدم منه، فوسمه إذلال له، ولذلك كانوا يجدعون الأنف إذلالاً للشخص، ويقولون ــ للاستهانة بالشخص ــ برغم أنفه.

هذا، وإن في التعبير عن الأنف بالخرطوم مزيداً من الإهانة والاستخفاف.

((وَلا يَسْتَثْنُونَ))(١٨).

س ٦٩٥ ــ ما معنى: ((لا يَسْتَثْنُونَ))؟

ج ــ أي لا يعلّقون قطف الثمرة والحصاد على مشيئة الله تعالى.

((وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ))(٢٥).

س ٦٩٦ ــ ما معنى غدوّهم على حردٍ قادرين؟

ج ــ الحرد: المنع، والمعنى: أنهم جاؤوا للحصاد غداةً عازمين على منع الفقراء مع قدرتهم ــ بتخيلهم ــ على إعطائهم، فوجدوا جنتهم محترقة. ويمكن أن يكون ((قَادِرِينَ)) من التقدير والتضييق لا بمعنى القدرة، أي عزموا على منع الفقراء مضيّقين ومقتّرين عليهم.

((يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ))(٤٢).

س ٦٩٧ ــ ما معنى الكشف عن الساق؟

ج ــ كناية عن شدة الأمر وفظاعة الموقف. قال عكرمة: سئل ابن عباس عن قولــه: ((يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ)) فقال: إذا خفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر، فانه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: ((وقامت الحرب بنا عن ساق)) هو يوم كرب وشدة. وقال القتيبي: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه يشمّر عن ساقه، فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة..)) (٢).

س ٦٩٨ ــ كيف يُدعَوْن إلى السجود يوم القيامة ولا تكليف آنذاك؟

ج ــ ليست هذه الدعوة دعوة تكليف، وقد تكون من باب التعبير العملي عن الخضوع لله تعالى من جانب المؤمنين عندما يتجلى المُلك الإلهي لأهل المحشر: ((لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ))(٣) بينما ينتاب الكافرين الهلع والذلة كما قال تعالى: ((خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ))(٤).

((وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) أنهما قالا في هذه الآية: أُفحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لِما رهقهم من الندامة والخزي والمذلة، وقد كانوا يُدعَون إلى السجود وهم سالمون أي يستطيعون الأخذ بما أُمروا والترك لما نُهوا عنه، ولذلك ابتُلوا)) (٥).

---

(١) الكشاف: ٤/٥٨٥ ــ ٥٨٦.

(٢) مجمع البيان:٩/٥٠٩.

(٣)سورة غافر: ١٦.

(٤) سورة القلم:٤٣.

(٥) مجمع البيان: ٩/٥١٠

سورة الحاقة

((وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ))(٩).

س ٦٩٩ ــ ما هي: ((الْمُؤْتَفِكَاتُ))؟

ج ــ هي القرى المنقلبة بأهلها، في إشارة إلى قرى قوم لوط السبعة ــ كما قيل ــ.

((وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ))(٣٦).

س ٧٠٠ ــ ما هو الغِسلين؟

ج ــ هو الصديد الذي ينغسل بسيلانه من أجسام أهل النار(١). وفي لسان العرب: ((الغلسين: كل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين)) (٢).

((لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ))(٤٥).

س ٧٠١ ــ لماذا خصّ اليمين بالذكر؟

ج ــ كأنّ اليد اليمنى رمز لقوة الإنسان باعتباره أداة بطشه ــ عادةً ــ فأخذُها قضاء على قوته وتعبير عن السيطرة عليه.

---

(١) يراجع مجمع البيان: ٥٢١/٩.

(٢) لسان العرب: ١١/ ٤٩٥.

سورة المعارج

((... فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)) (٤).

س ٧٠٢ ــ كيف ينسجم تقدير اليوم بخمسين ألف سنة مع تقديره بألف سنة في سورة الحج والسجدة: ((في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون))؟

ج: ١ ــ قولــه تعالى في سورة السجدة: آية ٣ ــ ٦: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ * ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)).

٢ ــ قولــه تعالى في سورة الحج: آية ٤٧: ((وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)).

وهاتان الآيتان تتحدثان عن الحياة الدنيا وانّ اليوم عند الله يعدل ألف سنة لدى الإنسان على أساس حساب الأيام، وعلى هذا الأساس جاء الردّ الإلهي على الكافرين الذين كانوا يستعجلون بالعذاب لتبين أن الحساب الإلهي يختلف عن حسابكم، وانّ ما هو بعيد عندكم قريب عند الله لأن اليوم عنده كألف سنة مما تعدّون أي أن ألف سنة عندكم التي ترونها بعيدة بمثابة يوم عند الله تعالى.

أما الآية التي تتحدث عن تحديد اليوم بخمسين ألف سنة فهي ضمن آيات سورة المعارج ((سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ)).

وواضح من هذه الآيات أنّها تتحدث عن يوم القيامة، وقد روي عن ابي سعيد الخدري أنّه قال: قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفس محمّد بيده إنه ليخفّ على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصيلها في الدنيا(١) وعلى

كل حال فلا تناقض بين هذه الآية التي تتحدث عن يوم القيامة مع الآيتين السابقتين اللتين تتحدثان عن الحياة الدنيا.

---

(١) مجمع البيان ٥٣١/٩.

سورة نوح

((يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))(٤).

س ٧٠٣ ــ لماذا قال: ((إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لا يُؤَخَّرُ))؟

ج ــ كأنه لبيان أنّ إيمانهم إنّما يمنع عنهم عذاب الله لهم في الدنيا وتعجيل موتهم بالغرق، من دون أن يخلّدهم، لأن المؤمن يموت في أجله المحدّد الذي لا يتخلف عنه.

((وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالا))(٢٤).

س ٧٠٤ ــ لماذا دعا عليهم بزيادة الضلال؟

ج ــ بعد أن تمادوا في ضلالهم ويئس من إيمانهم دعا ربّه أن لا يزيد في أعمارهم ويقطع دابرهم، ولا يمهلهم إلاّ بمقدار تأكيد الحجة عليهم ــ حيث يزداد ضلالهم ــ وهي النتيجة الطبيعية لعنادهم وعدم خضوعهم للحجة فيستحقوا المحق والعذاب.

فنوح (عليه السلام) لم يطلب زيادة ضلالهم، وإنما مجرّد تأكيد الحجة عليهم الذي يترتب عليه زيادة عنادهم وضلالهم ــ بمقتضى اختيارهم وطبيعة سلوكهم ــ كي يستحقوا العذاب الإلهي في الدنيا والآخرة.

سورة الجن

((وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا))(٣).

س ٧٠٥ ــ ما معنى: ((جَدُّ رَبِّنَا))؟

ج ــ العظمة. قال الطبرسي: ((الجَدّ أصله القطع. ومنه الجدّ العظمة، لانقطاع كلّ عظمة عنها، لعلوّها عليه. ومنه الجَدّ أبو الأب، لانقطاعه بعلوّ أُبوّته...)) (١).

---

(١) مجمع البيان:١٠/٥٥٣.

سورة المزمل

((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَ قَلِيلاَ * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاَ * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاَ))(١ ــ ٤).

س ٧٠٦ ــ إذا كان المطلوب قيام نصف الليل أو قريباً منه، فيكون الباقي من الليل النصف، ونصف الشيء لا يعتبر قليلاً منه، فكيف قال: ((إِلا قَلِيلًا))؟

ج ــ لعلّ ذلك باعتبار أن ما يبقى للراحة منه هو القليل، حيث يكون نصفه للصلاة والدعاء، وينقضي شطر من نصفه الآخر لشؤون أخرى عامة أو خاصة داخل البيت، فلا يبقى منه للنوم والراحة سوى القليل.

((وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا))(١١ ــ ١٢).

س ٧٠٧ ــ لماذا خصّ الوعيد بأولي النعمة منهم مع أنّ العذاب الإلهي والجحيم لكل كافر؟

ج ــ باعتبار أنّ وطأة عداوة هؤلاء وإيذائهم كانت أشدّ على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من غيرهم.

((السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولا))(١٨).

س ٧٠٨ ــ لماذا لم يقل منفطرة به مع أنّ السماء مؤنث مجازي فيؤنث خبره؟

ج ــ السماء مما يؤنث ويذكّر، ومن ذكّره أراد به معنى السقف.

((...وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ...))(٢٠).

س ٧٠٩ ــ لماذا لم يقل (تحصوهما) باعتبار عود الضمير للّيل والنهار؟

ج ــ كأن المقصود إحصاء الوقت، لأنهم لم يَحدّدوا الوقت المطلوب فيه القيام بالدقة، فيطيلون القيام احتياطاً. وفي ذلك مشقة لهم، فجعل قيام الليل طوعياً لا الزامياً، وحثّ على صلاة الليل.

سورة المدّثّر

((وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ))(٥ ــ ٦).

س ٧١٠ ــ كيف يــخاطب النبي بترك الرجز والمنّة مع أنه تارك لهما بالفعل؟

ج ــ مثل هذه الخطابات يراد منها بيان شروط وتعاليم الإسلام، ولا تعني نهي النبي (صلى الله عليه وآله وســلّم) عن فعل أو توجيه أمر له بالخصوص عما لم يكن يفعلــه، فــانّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) عُرف تاريخياً بنبذه للأصنام ومكارم الأخلاق قبل نبوّته.

((كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ))(٣٨ ــ ٤٠).

س ٧١١ ــ لماذا استثنى أصحاب اليمين مع أنّهم مرهونون بأعمالهم أيضاً؟

ج ــ الرهن: الحبس، بينما أصحاب اليمين لم تحبسهم أعمالهم بــل رفعــتهم إلــى الجنان، بالإضافة إلى الرحمة الإلهية والشفاعة التي ربما حررّتهم مــن تبعــات بعــض الأعمال، بعكس أصحاب الشمال المحرومين من الشفاعة والرحمة.

سورة القيامة

((لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)) (١٦ ــ ١٩).

س ٧١٢ ــ ما هو الحدث الذي تشير إليه هذه الآية؟

ج ــ أشار المفسّرون إلى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان يبادر بقراءة ما ينزل عليه من الآيات، وكأنه كان يحذر من فوات بعضها ــ كما يصنع كلّ من يهتم بحفظ نص من النصوص ــ فطمأنته هذه الآيات بعدم سهوه عما ينزل عليه، وأنه تعالى ضامن بتبليغ آياته بواسطة نبيّه إلى الأمة، وبالتالي فلا داعي لاستعجاله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وشــدة حرصه.

وعن ابن عباس قال: فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بعد هذا إذا نزل عليه جبريل (عليه السلام) أطرق، فإذا ذهب قرأ(١).

---

(١) مجمع البيان: ١٠/٦٠٠.

سورة الإنسان

((وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا))(١٥).

س ٧١٣ــ لماذا قال: ((قَوَارِيرَا)) بالتنوين مع أنها لا تنوّن لامتناعها عن الصرف لأنها على وزن مصابيح؟

ج ــ القراءة المعروفة لهذه الآية بعدم التنوين، نعم عند الوقف عليها تلحقها الألف، لكنّ هذه ليست الألف التي هي تحلّ محلّ التنوين عند الوقف، وإنّما هي ألف الإطلاق كالألف في قول جرير:

يعود الفضل منك على قريــش وتفرج عنهم الكرب الشدادا
فما كعب بن مامة وابن سعدى بأكرم منك يا عمرَ الــجوادا

وهذه ليست بدلاً عن التنوين ولذلك لحقت بالمعرّف بــ((أل)) الذي لا ينوّن.

سورة النازعات

((يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ))(٦ ــ ٧).

س ٧١٤ ــ لماذا تتكرّر النفخة؟

ج ــ الأولى تصعق الخلائق وتقوّض الكون، والثانية التي يعقبها بعث الخلائق، كما قال تعالى: **((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ))**(١).

((فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى))(٣٤).

س ٧١٥ ــ لماذا سمّيت القيامة بالطامة؟

ج ــ الطامة: كلّ ما عظم أو عَلا حتى غلب، وتسمّى الداهية التي تغلب وتطغى على ما سواها (٢)، وباعتبار أن القيامة هي الداهية التي ليس مثلها داهية، سميت بالطامة الكبرى تأكيداً.

---

(١) سورة الزمر: ٦٨.

(٢) يراجع لسان العرب: ١٢/٣٧٠.

سورة الأعلى

((ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى))(١٣).

س ٧١٦ ــ كيف يــخلو الإنسان من الحياة والموت؟

ج ــ ليس المقصود انعدام حياته، وإنما حيث كانت الحياة نعمة، فمن فقد النعمة في حياته التي تحوّلت إلى شقاء وعذاب شديد فكأنه فاقد للحياة، كما يوصف المريض الذي يشتد مرضه بأنه لا حيّ ولا ميّت.

سورة البلد

((لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ))(١ ــ ٤).

س ٧١٧ ــ كيف ينفي القسم بالبلد مع انه أقسم به في سورة التين: ((وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ))؟

ج ــ الظاهر أن ((لا)) ليست نافية، بل في آية سورة ((البلد)) هناك قسم بالبلد بقرينة القسم بالوالد وما ولد، حيث ان ((لا أقسم)) بمعنى لأُقسم وان الألف في ((لا)) هي إشباع للفتحة، نظير ما يذكره علماء العربية أنه يجوز أن تشير إلى الأنثى بقولك هذ هي فاطمة، وأصلها هذهِ لكنّ الكسرة أُشبعت فصارت ياءً، وعلى هذا الرأي فيكون هناك قسَمٌ بالبلد في كلتا السورتين ولا مناقضة بينهما.

((فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ))(١١ ــ ١٣).

س ٧١٨ ــ كيف يكون عتق الرقبة وإطعام اليتيم والمسكين عقبة مع أنهما من أسباب رقي الإنسان وخيره؟

ج ــ لعلّ تسميتها بالعقبة، لصعوبتهما على النفس، فيحتاجان إلى عزم وإرادة تتجاوز شحة النفس.

سورة الضحى

((وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى))(٧).

س ٧١٩ ــ كيف يصف النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) بالضلال مع أنه كان موحّداً ويتعبد لله تعالى في غار حرّاء؟

ج ــ ليس المقصود ضلال العقيدة، وإنما الحيرة والشعور بالضياع ممن يعرف الله تعالى بفطرته وعقله، ولا يعرف طبيعة مسؤوليته تجاه ربِّه أو عباده الغافلين عنه، خاصة في مثل مجتمع الجزيرة العربية الجاهلي، فلم يكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ــ قبل نبوّته ــ عارفاً بما يريده الله تعالى وشريعته، وكيف يمكنه هداية الناس إلى ربّهم. فتكون هذه الآية نظير قولــه تعالى: **((مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ))** (١).

---

(١) سورة الشورى: ٥٢.

سورة التين

((وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ))(١ ــ ٣).

س ٧٢٠ ــ ما هو طور سينين؟

ج ــ كأن المقصود منه الجبل الذي كلّم الله تعالى موسى(عليه السلام) عليه ويسمى طور سيناء أيضاً. وهناك آراء أخرى لبعض المفسرين. والله العالِم.

((لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ))(٤ ــ ٥).

س ٧٢١ ــ ما معنى أن يردّ الله الإنسان أسفل سافلين وكيف يفعل ذلك بعباده؟

ج ــ بعد أن خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وزوّده بالعقل القادر على معرفة الحقيقة وتمييز الخير من الشر، وجعله حرّاً في تحديد مصيره، اختار اكثر البشر الانصياع للهوى فانحرفوا عن الطريق المستقيم فاستحقوا بذلك غضب الله تعالى وعقابه، فكان هذا المصير القاتم ــ الذي اوصلهم إليه سوء اختيارهم ــ هو ((اسفل سافلين)) ولم يُستثنَ من ذلك: ((إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)) (التين:٦).

((فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ* أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)) (٧ ــ ٨).

س ٧٢٢ ــ ما هو ارتباط هاتين الآيتين بما قبلهما؟

ج ــ ((الدين)) هنا هو الحساب والجزاء يوم القيامة. وذلك بعد أن ميّز الله تعالى في الآيات السابقة بين المؤمنين الصالحين الذين استثمروا عقولهم ونِعَمْ الله تعالى عليهم لسعادتهم وخيرهم، بينما الكافرون والفاسقون أضاعوا حظهم فكان لابد من حساب في حياة أخرى ينال كل فريق منهم جزاءه وما يستحقه من الثواب والعقاب، ولا يبقى حينئذٍ مجال للتكذيب بيوم القيامة والمعاد. ولذلك قال تعالى: ((أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)) حيث لا تضيع لديه الحقوق والظلامات مهما صغرت.

سورة القدر

((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ))(١).

س ٧٢٣ ــ القرآن نزل متدرّجاً خلال ثلاثة وعشرين عاماً فكيف يكون مُنــزلاً فــي ليلــة واحدة؟

ج ــ قد يكون المقصود بداية تنزيله في ليلة القدر. وقيل إنه أُنزل إلى السماء الدنيا دفعة واحدة في ليلة القدر، ونزل على النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) خلال ثلاثة وعشرين عاماً. وقيل غير ذلك. وقد تقدم تفصيل ذلك في جواب سؤال (٧٦).

سورة القارعة

((وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ))(٨ ــ ٩).

س ٧٢٤ ــ ما معنى أن تكون اُمه هاوية؟

ج ــ قيل إنه إشارة إلى أن الهاوية ــ جهنم ــ مأواه، كما يأوي الولد إلى اُمّه، ولذلك يقولون عند الدعاء على شخص: لاُمه الهبل، قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمرٍ شديد قيل هوت اُمه.

وقيل: إن المقصود من الاُم اُمّ الرأس، لأن العاصي يهوي على اُمّ رأسه في النار (١).

---

(١) يراجع مجمع البيان: ١٠/٨٠٨ ــ ٨٠٩.

سورة الناس

((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ)) (١ ــ٣).

س٧٢٥ ــ ما الفرق بين الربّ والإله؟

ج ــ الربّ هو المدبّر ، والإله هو المعبود. والله سبحانه هو العالم العاصم.

والحمد لله ربّ العالمين

انتهيت من الإجابة على الشبهات والأسئلة القرآنية في الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة الأحد الموافق الرابع عشر من جمادى الثانية عام ١٤٢٣ هجرية، على مهاجرها وآله الصلاة والسلام.

سائلاً الباري تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن ويجعله ذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفع به الباحثين والمتعلمين على سبيل النجاة.

إنه نعم المولى ونعم النصير

رياض الحكيم

فهرس المصادر

١ ــ بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١).
المكتبة الاسلامية/ طهران/ الطبعة الثالثة: ١٣٧٤هـــ. ش.
٢ ــ بداية المجتهد: محمد بن احمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٩٥ هـــ).
مطبعة أمير: ١٤١٢/ الطبعة الاولى.
٣ ــ تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
مطبعة الاستقامة بالقاهرة/ منشورات مكتبة ارومية.
٤ ــ تذكرة الخواص: سبط بن الجوزي.
٥ ــ ترتيب كتاب العين: الخليل بن احـــمد الفراهيدي: اعداد الشيخ مـــحمد حسن بكائي.
طبع مؤسسة النشر الإسلامي/ الطبعة الأولى.
٦ ــ تصحيح اعتقاد الإمامية: الشيخ المفيد أبو عبد الله مـــحمد بن مـــحمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـــ).
مطبعة أمير منشورات الرضي.
٧ ــ تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون
مكتب الأعلام الإسلامي/ الطبعة الثانية.
٨ ــ تفسير أسئلة القرآن الكريم واجوبتها: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٠).
مطبعة مهر.
٩ ــ تفسير العياشي: أبي نظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي
الطبعة الأولى/ مؤسسة الأعلمي / بيروت.
١٠ ــ تفسير القرآن الكريم: لأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي.
أعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين
مطبعة الهادي/ الطبعة الأولى.
١١ ــ التفسير الكاشف: الشيخ محمد جواد مغنية.
دار الملايين / الطبعة الثالثة تموز ١٩٨٠.
١٢ ــ التفسير الكبير: الفخر الرازي.
دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثالثة / بيروت.

١٣ ــ تلخيص التمهيد: مــحمد هادي معرفة.
مؤسسة النشر الإسلامي/ الطبعة الثانية: ١٤١٦هــ.
١٤ ــ الجامع الصحيح (سنن الترمذي): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ــ ٢٩٧هــ)
دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
١٥ ــ الجامع الصحيح: لابي عبد الله مــحمد بن اســماعيل البخاري (١٩٤ ــ ٢٥٦هــ).
المطبعة الإسلامية طهران/ الطبعة السادسة.
١٦ ــ شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (٦٩٨ ــ ٧٦٩هــ)
انتشارات ناصر خسرو/ طهران.
١٧ ــ علوم القرآن دروس منهجية: رياض الحكيم.
١٨ ــ فرائد السمطين: الحموي.
١٩ ــ في رحاب العقيدة: السيد مــحمد سعيد الطباطبائي الحكيم
دار الهلال الطبعة الأولى.
٢٠ ــ القاموس المحيط: ــ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٦ و٨١٧).
دار الجيل / بيروت.
٢١ ــ الكافي: أبو جعفر مــحمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت: ٣٢٨/٣٢٩).
دار صعب، دار التعارف/ بيروت / الطبعة الثالثة: ١٤٠١هــ.
٢٢ ــ الكتاب المقدس العهد الجديد
اتحاد جــمعيات الكتاب المقدس بيروت / الطبعة الرابعة/ ١٩٩٢م.
٢٣ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جاد الحق مــحمود بن عمر الزمــخشري.
٢٤ ــ لسان العرب: العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (٦٣٠ ــ٧١١هــ).
دار صادر.
٢٥ ــ مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هــ).
انتشارات ناصر خسرو/ الطبعة الثانية.

٢٦ ــ المعجم الكبير: الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ــ ٣٦٠هــ).

٢٧ ــ من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، أبي جعفر مــحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١).

طبع دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٢٨ ــ الموطأ: مالك بن أنس (ت: ١٧٩).

مطبعة دار الفكر/ الطبعة الاولى.

٢٩ ــ نهج البلاغة: الشريف الرضي: تحقيق الدكتور صبحي الصالح.

منشورات دار الهجرة ــ قم.

٣٠ ــ وسائل الشيعة: المحقق العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هــ).

دار الكتاب العربي/ بيروت.

- مقدمة
- سورة الفاتحة
- سورة البقرة
- سورة آل عمران
- سورة النساء
- سورة المائدة
- سورة الأنعام
- سورة الأعراف
- سورة الأنفال
- سورة التوبة
- سورة هود
- سورة يوسف
- سورة الرعد
- سورة ابرهيم
- سورة الحجر
- سورة النحل
- سورة الإسراء
- سورة الكهف
- سورة مريم
- سورة طه
- سورة الأنبياء
- سورة الحج
- سورة المؤمنون
- سورة النور
- سورة الفرقان
- سورة الشعراء
- سورة القصص
- سورة العنكبوت

- سورة الروم
- سورة لقمان
- سورة السجدة
- سورة الأحزاب
- سورة سبأ
- سورة فاطر
- سورة يس
- سورة الصافات
- سورة ص
- سورة الزمر
- سورة غافر
- سورة الشورى
- سورة الزخرف
- سورة الدخان
- سورة الجاثية
- سورة الفتح
- سورة ق
- سورة الذاريات
- سورة الطور
- سورة القمر
- سورة الرحمن
- سورة الواقعة
- سورة الحديد
- سورة المجادلة
- سورة الممتحنة
- سورة الجمعة
- سورة المنافقون
- سورة التغابن

- سورة الطلاق
- سورة التحريم
- سورة القلم
- سورة الحاقة
- سورة المعارج
- سورة نوح
- سورة الجن
- سورة المزمل
- سورة المدّثّر
- سورة القيامة
- سورة الإنسان
- سورة النازعات
- سورة الأعلى
- سورة البلد
- سورة الضحى
- سورة التين
- سورة القدر
- سورة القارعة
- سورة الناس
- فهرس المصادر